المحبة

صورها وأحكامها

د. عبد القادر محمد المعتصم دهمان

الإصدار الثالث

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

المحبة

صُوَرُهَا وَأَحكَامُهَا

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

المحبة

صورها وأحكامها

د. عبد القادر محمد المعتصم دهمان

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

حقوق النشر محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٤٠هـ، الموافق ٢٠١٩م

رقم الإيداع: ٢٠١٨/١٤٨٣١
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦١٨-٣٢-٩

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمدُ لله المحسن إلى عباده، والمحبوب لذاته وصفاته، قوله صدق، وحكمه عدل. إن أعطى فبِمَنِّه ورحمته وفضله، وإن منع فبِعَدْله وحكمته.

وهو القريب من عباده السائلين، والْمُحِبُّ لعباده المتقين، وهم يحبونه، ويذكرونه في كل وقت وحين، وقد جعلَ المحبةَ أساس الدين، كشجرةٍ طيبةٍ، عظيمة النفع، وغزيرة المواهب، وجعلَ حُبَّه أشرفَ المكاسب، وأعظمَ الغايات، وأسمى الرغائب، ورفع المتحابين فيه أعلى المراتب، وجعلَ للمتحابين فيه أعظمَ العوائد، كما جاءَ في الأدلةُ والشواهد، فأثمرت المحبةُ الخيرَ والفوائد.

والصلاةُ والسلام على خيرِ مبعوثٍ وقائد، ونذيرٍ بين يدي الساعة ومبشرٍ وشاهد.

أما بعد:

فإنَّ المحبة مضمارٌ تنافس فيه المتنافسون، وشمَّر العاملون، وتروَّح من نسائم عبيرها، وعبقِ مسكها السَّالكون، وبذل في سبيلها الباذلون، فاعتراهم من الأحوال والنتائج ما لا يعبر عنه، وما لا يدركه إلَّا المقربون.

والحبُّ هو أسمى وأرفع المعاني التي تسمو بالنفس، وهو محفِّزٌ على البذلِ والعطاء، ومصلحٌ للأحوال، وهو أملٌ يسكن في الأعماق، ويداعبُ الإحساس، ويستقرُّ داخلَ تجاويفِ القلب.

المحبة رحمة وعطف ومشاعر، وإحساس صادق يسكن القلب الطاهر..

المحبة صفاء النفس من الحقد والبغض، وبحر وافرٌ لا ينضب.

المحبة ماء الحياة، ولذة الروح، وبها تصفو الحياة، وتُشرقُ النَّفس، وتُغفرُ الزَّلاتُ، وتُقَالُ العثرات، وتُشهرُ الحسنات.

وقد جاء الحبُّ بأسمى معانيه مقرَّرًا في الشرائع، بل هو أساس الاتباع.

الحبُّ هو روح الوجود، وإكسيرُ القلوب، وصمامُ الأمان لبني الإنسان. إذا كان قانونُ الجاذبية يمسك الأرض والكواكب والأفلاك أن تصطدمَ فتتساقطَ أو تحترق وتزول، فقانون الحبِّ هو الذي يمسك العلاقاتِ الإنسانية أن تتصادمَ فتحترق، وتستحيلَ إلى دماء. هذا هو الحب الذي عرف الناس قيمته في القديم والحديث. وقالوا: لو ساد الحبُّ ما احتاجَ الناس إلى العدل ولا إلى القانون(١).

الحبُّ يمثِّلُ قمَّةَ الانفعالاتِ البشرية التي يمرُّ بها الإنسان؛ لما يحتويه من شحناتٍ وجدانية تنطوي على خبراتٍ ومواقفَ وأحاسيس تواكبها انفعالاتٌ هي مزيجٌ من الغبطةِ والسرور والسعادة(٢).

وإذا كان هذا وصفُ المحبة في (علم النفس) فإنَّ البعدَ الدِّيني قد أضفى على الحبِّ قداسةً فانعكسَ صدقًا في المعاملة، وإخلاصًا في النيةِ والقصد، ووفاءً خالصًا من قلبٍ نقيٍّ طاهر، وإيثارًا يحوِّلُ الأنانيةَ إلى بذلٍ وعطاء، وتعاونًا يَحُوْلُ دونَ الهجرِ والجفاء.

والمحبة لها صور متعددة، أعلاها وأسماها: محبَّةُ الله تعالى، فهي غايةُ الغايات، وهي إحدى أركان العبادات القلبية الثلاثة: (الخوف، والرجاء والمحبة)، بل هي رأسُها، فبفقدها لا تصحُّ العبادة، وبكمالها يكملُ الإيمان، وبنقصانها ينقصُ توحيدُ الإنسان، وهي قطبُ الإسلام ورحاه.

والعبادة بدافع المحبة تجعلها أكثرَ متعةً وحلاوة، وتحفِّزُ المكلَّفَ على مزيدٍ من الاهتمامِ والرعايةِ لها، وتحميها من تحولها إلى عاداتٍ ومظاهرَ وطقوسٍ شكلية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "المحبَّةُ هي قوتُ القلوب، وغذاءُ الأرواح، وقرَّةُ العيون. وهي الحياةُ التي من حُرِمَها فهو من جملةِ الأموات. والنور الذي من فَقَدَهُ فهو في بحارِ الظلمات. والشفاء الذي من عدمه حلَّت بقلبه جميعُ الأسقام. واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.

(١) انظر: الإيمان والحياة (ص:١٤٥).

(٢) انظر: الإنسان وصحته النفسية، د. سيد صبحي (ص:١٤٣).

وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه. تحمل أثقال السائرين إلى بلادٍ لم يكونوا إلا بشقِّ الأنفسِ بالغيها. وتوصلهم إلى منازلَ لم يكونوا بدونها أبدًا واصليها. وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها. وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائمًا إلى الحبيب. وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب. تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة؛ إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب"(١).

وقال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن المحبةَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هي الغايةُ القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلَّا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشوق والأنس والرضا وأخواتها. ولا قبل المحبة مقام إلَّا وهو مقدمة من مقدماتها، كالتوبة والصبر والزهد وغيرها"(٢).

فما أحوجنا في هذا الزّمان إلى محبةٍ صادقةٍ تؤلِّفُ بين القلوب، وتوحِّدُ الصفوف، فمتى قويت روابطُ الألفة، وتمكنتْ أسبابُ المحبَّة، امتدَّ رواقُ السَّلامِ بين الأفرادِ والعشائرِ والأمم، وتقاربتْ العقولُ والقلوبُ بالتفاهم، وتشابكتْ الأيدي في التعاون والتآزر، وتقرَّر الأمنُ، واطَّرد العمران، وتحقَّقَ المجتمعُ المترابطُ المتضامن المتكافلُ المتناسق. هذا المجتمع الذي حقَّقه الإسلامُ مرَّةً في أرقى وأصفى صوره. ثم ظلَّ يحققه في صورٍ شتى على توالي الحقب، تختلف درجةُ صفائه، ولكنه يظلُّ في جملته خيرًا من كلِّ مجتمعٍ آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر، وكل مجتمع لوَّثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية. هذا المجتمع الذي تربطه آصرةُ العقيدة، حيث تذوبُ فيها الأجناسُ والأوطان، واللغات والألوان. مجتمع الجسد الواحد. المجتمع النظيف العفيف.

مجتمع يحبُّ فيه المؤمن لأخيه ما يحبُّ لنفسه، ينفعُه ولا يضره، هذا المجتمع الذي حدَّث عنه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ((**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم**

---

(١) مدارج السالكين (٣/١٣- ١٨).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/٢٩٤)، وانظر: مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي (ص:٣٧٣).

وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى))[(١)].

وإنَّ المحبةَ أسمى ما جُبلت عليه النفوسُ، وهي تحقِّقُ أسمى معاني الإنسانية، بل إنَّ الإنسانيةَ محبَّةٌ، فمن لا يحبُّ لا يكونُ إنسانًا..فالمحبَّةُ تثمرُ الرَّحمةَ والإحسانَ والتعاونَ والإيثارَ وغيرَ ذلك من الصفاتِ النبيلة، والأخلاقِ الفاضلةِ الجميلة -مما سيأتي بيانه-.

وهي تتفاوتُ بتفاوتِ الـمُحِب والـمُحَبْ، وبمقدارِ المحبَّة.

وهذه دراسةٌ من الدراساتِ التربوية الهادفة، التي تغرسُ القيمَ والفضائلَ والأخلاق، وترتقي بالنَّفسِ إلى أفقٍ أسمى، وتعالجُ أمراضًا قد تفشَّت في المجتمعات الإسلامية، وهي تحتاجُ إلى العافيةِ مما قد اعتراها من غلوٍّ وتطرُّفٍ وتعَصُّبٍ وانحرافٍ، وهي أمراضٌ تفتكُ بجسدِ الأمة، وتمزِّقُ وحدَتها، ما لم يقمْ المصلحونَ من هذه الأمَّة، من أهلِ العلمِ وأصحابِ البصائرِ والقلوب بنشرِ العلم والمحبَّة والسَّلام، وإرشادِ الأنام، إلى الطريقِ الأقوم، وإلى المنهجِ الأَحكم.

فلا بدَّ من الصَّدع بالحقِّ، ومحاجَّةِ المغالينَ، الذين يَجْهَدونَ في طَمْسِ مَعَالم الحقِّ، والتَّلبيسِ على العامَّة، فيرفعونَ راياتِ الظَّلام، ويستقطبونَ فئةً من العوام، وهذا واقعٌ مُشاهد. فكان لزامًا على المصلحين: التبصيرُ والتنويرُ، والبناء في مناهجهم ودعوتهم على أسمى الغايات، مما يؤلِّفُ القلوبَ، ويوحِّدُ الصفوفَ، وينيرُ العقولَ.

وللمحبَّة صورٌ متعددةٌ تعكسُ بُعْدًا لمفهومِ المحبة في التَّشريعات الإسلامية التي تُقَوِّمُ السلوك في المعاملة، وتتميزُ عن تشريعاتٍ وضعيَّةٍ لا تعتمدُ المحبَّةَ كأساسٍ في دستورها.

وقد ذَكَرَ ابنُ حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ المحبةَ ضروبٌ، "فأفضلها: محبَّةُ المتحابينَ في الله عَزَّوَجَلَّ، إمَّا لاجتهادٍ في العمل، وإما لاتفاقٍ في أصل النِّحلة والمذهب، وإما لفضل علم يمنحه الإنسان؛ ومحبة القرابة، ومحبة الألفة في الاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب

---

(١) صحيح البخاري [٦٠١١]، واللفظ له، ومسلم [٦٦، ٦٧].

والمعرفة، ومحبة البر يضعه المرء عند أخيه، ومحبة الطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين؛ لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس.

فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عللها، وزائدة بزيادتها، وناقصة بنقصانها، متأكدة بدنوها، فاترة ببعدها. حاشا محبة العشق الصحيح المتمكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا بالموت"(١).

والمحبةُ التي تثمرُ وتدومُ هي محبَّةُ الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والمحبَّةُ في الله ﷻ ولله، فما كانَ لله عَزَّوَجَلَّ دامَ واتَّصل، وما كان لغيره انقطعَ وانفصل -كما سيأتي بيانه-.

والحاصلُ أنَّ للمحبة صورًا متعددة، وحدودًا يقفُ عندها أربابُ القلوبِ والبصائر، وأن منها ما هو محمودٌ ومطلوبٌ، ومنها ما هو مذمومٌ. فلا يَسلمُ من الآفاتِ من جَهِلَ الحدودَ والرُّسوم، وأطلقَ زمامَ الهوى، وأعرضَ عن التَّفقُّهِ والتَّبَصُّر.

وهذه الدراسةُ مبيِّنةٌ وهادية، أتناول فيها: تعريفَ بالمحبةَ، وبيانَ مكانتِها، وصورِها وأحكامِها، وقد قسمتها إلى تمهيد، ومباحث، وخاتمة إجمالية.

وهذه طبعة جديدة تتميز عن الطبعة السابقة بأن فيها زيادة في التحقيق والتنقيح وإضافة فوائد جديدة هامة.

وقد اعتمدتُ في ذلك على الآياتِ القرآنية وتفسيرها، والأحاديثِ النبويَّة وبيانها، وأقوالِ السلف والعلماء. وخرَّجت الأحاديثَ والأقوال.

أما تخريجُ الأحاديث فيأتي على النَّحو التَّالي: إذا كان الحديثُ في الصَّحيحين، فإني أقتصرُ عليهما في التَّخريج، وإن كان في أحدهما دون الآخر، فإني أخرجه منه وأكتفي. وأمَّا إذا لم يكن الحديثُ موجودًا في الصَّحيحين أو أحدهما فإنِّي أسعى جاهدًا إلى تخريجه من المسانيد والسنن، وقد اعتمدتُ الترتيب على حسب تاريخ الوفاة عدا البخاري ومسلم، وذكر رقم الحديث فقط بالنسبة لكتب الحديث المرقمة بين

---

(١) طوق الحمامة، لابن حزم (ص:٩٥-٩٦).

مقفيين [**] في أول موضع يذكر عدا البخاري ومسلم، وأذكر الجزء والصفحة بالنسبة للأحاديث غير المرقمة بين قوسين (**).

أمَّا الحكم على الحديث فإنني أذكرُ درجةَ الحديث إن لم يكن في الصَّحيحين. وطرقه إلا إذا كانت كثيرة فإني أكتفي بأحدها، وأبين أن للحديث أطرافًا أخرى.

وإذا تكرَّر ذكر الحديث الشَّريف في مواطنَ لاحقة، فإنَّني أكتفي بالإشارة لتقدُّمه، وكذلك إذا تكرَّر ذكرُ الأثر أو القول فإنَّني أكتفي بالإشارة إلى تقدُّمه. وقد التزمتُ توثيقَ الأشعار والأمثال من مصادرها. وأن يختم الاقتباس بذكر المرجع الَّذي قد اقتبس منه في الحاشية. وذكر مادة كل لفظ عند الرجوع إلى المعاجم.

وقد رتب هذا المصنف على النحو التالي:

أولًا: تمهيد يتضمن ثمان مسائل:

١ – تعريف المحبة.

٢ – بيان سر التسمية.

٣ – المحبة الحميدة النافعة.

٤ – منزلة المحبة.

٥ – مراتب المحبة.

٦ – التحذير من آفة العشق.

٧ – أقسام المحبة.

٨ – المحبة والعدالة الاجتماعية.

ثانيًا: المباحث، وتتضمن اثنين وعشرين مبحثًا:

المبحث الأول: محبة الله تعالى للخلق.

المبحث الثاني: محبة العبد لله تعالى ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المبحث الثالث: محبة الإيمان.

المبحث الرابع: محبة شرع الله تعالى.

المبحث الخامس: محبة آل البيت.

المبحث السادس: محبة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

المبحث السابع: محبة الإخوان.

المبحث الثامن: محبة العلماء والصالحين.

المبحث التاسع: محبة المساكين.

المبحث العاشر: محبة العمل الصالح.

المبحث الحادي عشر: محبة الوالدين.

المبحث الثاني عشر: محبة الأرحام.

المبحث الثالث عشر: محبة الصديق الصالح.

المبحث الرابع عشر: محبة الأولاد.

المبحث الخامس عشر: المحبة بين الزوجين.

المبحث السادس عشر: محبة الوطن.

المبحث السابع عشر: محبة النفس بين المحظور والمطلوب.

المبحث الثامن عشر: المحبة العامة.

المبحث التاسع عشر: محبة الدنيا بين المحظور والمطلوب.

المبحث العشرون: محبة الأماكن الفاضلة.

المبحث الحادي والعشرون: محبة الأزمنة الفاضلة.

المبحث الثاني والعشرون: محبة الجَنَّة.

ثالثًا: الخاتمة، وتتضمن:

إجمال فضائل المحبة المحمودة وآثارها.

الدكتور عبد القادر محمد المعتصم دهمان

الكويت حرسها الله

(٢٠/محرم/١٤٣٧هـ - ٢/١١/٢٠١٥م)

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

أولًا: تعريف المحبة:

الحُبُّ: نقيضُ البُغض. تقول: أحببت الشَّيء فأنا مُحِبٌّ، وهو مُحَبٌّ. وأحبَّه الله فهو محبوبٌ. و(الحِبُّ) و(الحِبَّةُ) بمنزلة: الحبيب والحبيبة.

و(الحُبُّ) –بضم الحاء المهملة–: الوداد والمحبة، وكذلك: (الحِبُّ) بالكسر.

و(الحِبُّ) بالكسر: المحبوب. وكان زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعى: حِبَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأنثى بالهاء. وفي الحديث: ((**ومن يجترئ على ذلك إلا أسامة، حِبُّ رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[1]، أي: محبوبه، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبه كثيرًا.

فالحِبُّ بالكسر: المحْبُوب، والأنثى: حِبَّةٌ. وجمع الحِبِّ: أحْبابٌ، وحِبَّانٌ، وحُبُوبٌ، وحِبَبةٌ.

و(أَحَبَّ الزَّرْع): بدا حبه. ويقال: (أحب الزَّرْع وألب): صار ذا حب ولب.

و(حابه محابة وحبابًا): واده وصادقه.

و(حبب الزَّرْع): بدا حبه والشَّيْءِ إليه جعله يُحِبهُ.

و(تحابوا): أحب بعضهم بعضًا. و(تحبب إليه): تودد.

و(استحبه): آثره. ويقال: استحبه عليه. وفي التَّنزيل العزيز: ﴿اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ [التوبة:٢٣].

و(الحباب): طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الرِّيح والفقاقيع على وجه الماء. ويقال: طفا الحباب على الشَّراب. والطل يصبح على النَّبات.

(١) صحيح البخاري [٣٤٧٥، ٦٧٨٨]، مسلم [١٦٨٨].

و(الحبُّ): ما يكون في السنبل والأكمام كالقمح والشعير والبزر، وما يشبه الحبِّ في شكله، فيقال: حبات العقد، وحب الغمام، وحب المزن، وحب قر البرد. واحدته: حبَّة (ج): حبوب.

و(عند الفلاسفة): ميل إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة أو الجذابة أو النافعة.

و(الحبَّة): واحدة الْحبِّ، ومن الشَّيء: جزؤه. ومن الأوزان: قدر شعيرتين وسطيين. وحبة القلب: مهجته وسويداؤه.

و(المستحبُّ): ما رغَّب فِيه الشَّارع ولم يوجبه[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلَّا خفاء وجفاء، فحدها وجودها. ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها، وعلاماتها وشواهدها، وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، وملكه للعبارة. وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء:

أحدها: الصفاء والبياض. ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حبب الأسنان.

الثاني: العلو والظهور. ومنه حبب الماء وحبابه، وهو ما يعلوه عند المطر الشديد، وحبب الكأس منه[2].

الثالث: اللزوم والثبات. ومنه: حب البعير وأحب، إذا برك ولم يقم[3].

---

(١) انظر: العين، مادة: (حب) (٣١/٣)، تهذيب اللغة، مادة: (حب) (٨/٤)، لسان العرب، مادة: (حبب) (٢٨٩/١)، تاج العروس (٢١٣/٢)، المعجم الوسيط، مادة: (حب) (١٥٠/١)، وانظر: الكليات (ص:٣٩٨)، وينظر: المفردات في غريب القرآن، مادة: (حب) (ص:٢١٤- ٢١٥).

(٢) فكأنَّ غليان القلب وثورانه عند الاضطرام والاهتياج إلى لقاء المحبوب يُشبه ذلك.

(٣) فكأن المحب قد لزم قلبه محبوبه فلم يرم عنه انتقالًا. وقيل: بل هي مأخوذة من القلق والاضطراب. ومنه سمي القرط: حبًّا؛ لقلقه في الأذن واضطرابه.

الرابع: اللب. ومنه: حبة القلب، للبه وداخله. ومنه الحبة لواحدة الحبوب؛ إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه(١).

الخامس: الحفظ والإمساك. ومنه: حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه، وفيه معنى الثبوت أيضًا.

ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة؛ فإنها صفاء المودة، وهيجان إرادات القلب للمحبوب. وعلوها وظهورها منه؛ لتعلقها بالمحبوب المراد. وثبوت إرادة القلب للمحبوب. ولزومها لزوما لا تفارقه، ولإعطاء المحب محبوبه لبه، وأشرف ما عنده. وهو قلبه، ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه. فاجتمعت فيها المعاني الخمسة(٢).

وقيل: الحب: انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه(٣).

وقد أورد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (المدراج) ثلاثين تعريفًا مما قيل: إنه حد المحبة(٤)، منها:

أولًا: الميل الدائم بالقلب الهائم.

ثانيًا: إيثار المحبوب، على جميع المصحوب..

ثالثًا: موافقة الحبيب، في المشهد والمغيب.

رابعًا: مواطأة القلب لمرادات المحبوب.

خامسًا: سقوط كل محبة من القلب إلَّا محبة الحبيب.

سادسًا: ميلك للشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك، وروحك، ومالك، ثم موافقتك له سرًّا، وجهرًا، ثم علمك بتقصيرك في حبه.

سابعًا: الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته، والحرية من استرقاق ما سواه.

---

(١) لأن القلب أصل كيان الإنسان ولُبِّه، ومستودع الحُبِّ ومكمنه.

(٢) مدراج السالكين (٣/١١)، وانظر: روضة المحبين (ص:١٧)، الرسالة القشيرية (٢/٤٨٦)، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/٢٩٢).

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص:٨١).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/١٣- ١٨)، وانظر: روضة المحبين (ص:١٩).

ثامنًا: أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء.

تاسعًا: أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب.

عاشرًا: سفرُ القلب في طلب المحبوب، ولهجُ اللسان بذكره على الدوام.

الحادي عشر: المحبة أن يكون كُلُّكَ بالمحبوب مشغولًا، وذلُّك له مبذولًا..

الثاني عشر: نار في القلب، تحرق ما سوى مراد المحبوب(١).

وقد استحسن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأخير، وقال: "وهذا الحد صحيح: وقائله إنما أراد: أنها تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب الديني الأمري، الذي يحبه ويرضاه، لا المراد الذي قدره وقضاه"(٢) اهـ. وما تقدم هو من فيض المعنى أو لازمه، أو أثر من آثاره.

ثانيًا: بيان سر التسمية:

١ - الحروف:

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (سِرَّ التَّسمية)، وسببَ اختيار حرف الحاء والباء للدلالة عليه، حيث قال: "وتأمل كيف أتوا في هذا المسمى بحرفين، أحدهما: الحاء التي هي أقصى الحلق، وهو مبدأ الصوت، ومخرجها قريب من مخرج الهمزة من أصل المصدر الذي هو معدن الحب وقراره. ثم قرنوها بالباء التي هي من الشفتين، وهي آخر مخارج الصوت ونهايته. فجمع الحرفان بداية الصوت ونهايته. كما اشتمل معنى: (الحب) على بداية الحركة ونهايتها؛ فإن بداية حركة المحبِّ من جهة محبوبه، ونهايتها إلى الوصول إليه، فاختاروا له حرفين، هما: بداية الصوت ونهايته. فتأمَّل هذه النكت البديعة تجدها ألطف من النسيم، ولا تعلق إلَّا بذهن يناسبها لطافة ورقة.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/١٦-١٨)، وانظر: روضة المحبين (ص:٤٠٨)، وذكره القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الرسالة) (٢/٤٠٨).

(٢) مدارج السالكين (٣/١٦).

٢ - الحركات:

وأما لماذا نقطوا لفظ: (الحب) -بضم الحاء- وعدلوا عن قياس مصدره، وهو الفتح؟

وقد بيَّن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ النَّكتة في جوابه عن ذلك السؤال، وأوضح أن قوة معنى العاطفة وتمكنها من النفس مما يتلاءم مع اختيار أقوى الحركات، فاختاروا الضمة؛ لأنها أقواها، حتى يتشاكل اللفظ والمعنى. وأن في الضمة من الجمع ما يوازي ما في معنى: (الحب) من جمع الهمة والإرادة على المحبوب، وبذلك يستشعر الناطق بلفظ: الحب والسامع له قوة معناه(١).

ثالثًا: المحبة الحميدة النافعة:

إن الحب أخص من العاطفة، والعاطفة أعم منه، فهي تشمل الحب والرحمة والتأثر بمختلف المواقف فقد يعطف الإنسان على حيوان -مثلًا-.

والحب هو أسمى العواطف..

ولكن ينبغي أن تبقى السلوكيات النفسية مرتبطة بالقانون الأخلاقي المنبثق من العقيدة حتى تكون المحبة نافعة.

فإن حياة الإنسان مزيج من العواطف، ولكنها تختلف من شخص إلى آخر، وللعاطفة أثر كبير في التفكير؛ ولذلك يسمى التفكير المستمد منها: (منطق العواطف).

وهو نوعان:

الأول: منطق يبرر به صاحبه العواطف التي تسيره: كالبخيل الذي يحاول دائمًا تبرير مركزه بالنسبة إلى جمع المال، أو السكير يسوغ لك لماذا يشرب الخمر، فالبخيل لا يحاول البحث عن سبب جمع المال، أو السكير لا يفكر لماذا يشرب الخمر، بل البخل والسكر حقيقتان بالنسبة لأصحابهما لا يبحثان فيها، وإنما يعملان على تبريرها،

---

(١) انظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/٨٧-٨٨)، وانظر: مدارج السالكين (٣/١٢).

وكذلك المحب الذي يبرر لنفسه مخالفات عند تحقق مقصوده، وأخرى عند عدم تحققه، وهذا ما يسمى: (منطق التبرير).

والثاني: منطق الإنشاء المبني على أسس وضوابط متوازنة، وهو الذي يرسم به صاحب العاطفة الخطط المختلفة التي توصله إلى مراده الذي يحقق له ما يصبو إليه، ويلبي حاجة كل من العقل والعاطفة عنده بالقدر الذي لا يترتب عليه مفسدة، أو ارتكاب محظور، وذلك من حيث النظر إلى المصالح والمفاسد والمآلات.

وليس هناك تعارض بين العاطفة والعقل، فهما يسيران جنبًا إلى جنب، ولكن الصلة بينهما تختلف، فقد يسيطر العقل على العاطفة ويقودها، وقد تعلو كلمة العاطفة فتجتاح العقل، ومعيار العاطفة يقاس بانتصارها على العقل أو خضوعها له.

ولا يخفى أن منطق العقل يقوم على التفكير والفحص والموازنة بين الأهداف والمصالح والطرق والوسائل، ومع ذلك يجب أن لا نضعها في موقف التناقض، فالحكمة تقول: إن العاطفة محرك السلوك، والعقل موجه السلوك، والأفضل أن نجعل أحدهما يساعد الآخر حتى تتوازن حياتنا فننعم بحكمة العقل، وجلال العاطفة[1].

والحاصل أن الصلة بين العقل والعاطفة تختلف، ولا يخلو الأمر من إحدى حالات ثلاث:

١ - إما أن ينتصر العقل على العاطفة.

٢ - وإما أن تنتصر العاطفة على العقل.

٣ - وإما أن يمتزجا ويسيرا جنبًا إلى جنب.

إنَّ عاطفة الإنسان إذا كانت مجرَّدة فإن ما يترتب من أثر على الفعل يكون غير منضبط، فلا شك أنها قد تدفع إلى فعل الخير أو الصواب في بعض المناحي، لكن من غير موازنة بين المثالية والواقعية، وقد تدفع في الغالب إلى مسالك خطيرة؛ لأن الاختيار قائم -والحالة هذه- على غير فكر ولا روية؛ ولذلك ينبغي أن تكون خاضعة لميزان الشرع، منضبطة بقواعده، مسترشدة بتوجيهاته.

---

(١) انظر: خلاصة علم النفس (ص:٨٦-٦٩).

ومن خصائص التشريعات: أن العاطفة تسير مع العقل جنبًا إلى جنب، ونلحظ هذه الموازنة بين متطلبات العقل والعاطفة في عموم التشريعات الإسلامية، وهي المحور الذي يدور عليه فلك النص في القرآن والسنة.

فالنصوص في عمومها تؤكد أنه لا ينبغي للإنسان أن يخضع لعاطفته خضوعًا يضعف عنده ضرورة تميز الخطأ من الصواب.

فالمحبة عاطفة ذات شقين، أحدهما: محمود، والآخر: مذموم، والإنسان مركب من صفات هي على طرفي نقيض بين الخير والشر، والعقيدة هي التي توجه الإنسان إلى ملازمة الصفات والميول الخيرة.

والإنسان فيه جميع الأخلاق المرضية منها والدنية، وكماله أن تغلب فيه الصفاتُ الحميدةُ الصفاتِ الذميمة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "المحبة المحمودة هي المحبة النافعة، وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه، وهو السعادة. والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره، وهو الشقاء.

ومعلوم أن الحيَّ العَالِم لا يختار أن يحب ما يضره، لكن يكون ذلك عن جهل وظلم؛ فإنَّ النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها، وذلك ظلم منها لها، وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوى الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضرة، وتتبع هواها، وهذا حال من اتبع هواه بغير علم.

وقد يكون عن اعتقاد فاسد، وهو حال من اتبع الظن وما تهوى نفسه. وكل ذلك من أمور الجاهلية.

وإن كان كل من جهلها وظلمها لا يكاد يخلو عن شبهة يشتبه بها الحق، وشهوة هي في الأصل محمودة إذا وضعت في محلها، كحال الذي يحب لقاء قريبه؛ فإن

هذا محمود، وهو أصل صلة الرحم التي هي شجنة[1] من الرحمن، لكن إذا اتبع هواه حتى خرج عن العدل بين ذوي القربى وغيرهم كان هذا ظلمًا.

وكذلك الذي يحب الطعام والشراب والنساء؛ فإن هذا محمود، وبه يصلح حال بني آدم، ولولا ذلك لما استقامت نفس الأنساب، ولا وجدت الذرية، ولكن يجب العدل والقصد في ذلك كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف:٣١]، وكما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون:٦-٧].

فإذا تجاوز حد العدل وهو المشروع صار ظالما عاديًا بحسب ظلمه وعدوانه"[2].

والحاصل أن محبة العباد على نوعين:

الأول: محبة محمودة كمحبة الله عَزَّوَجَلَّ، وهي أصل السعادة ورأسها، ولا تكفي هذه وحدها للنجاة من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ والفوز بثوابه؛ فإنَّ المشركين واليهود وغيرهم يزعمون أنهم يحبون الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن ذلك لا ينفعهم، بل لا بدَّ من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فيما أمر، واجتناب ما نهى، ومحبة ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ، والحب لله عَزَّوَجَلَّ وفيه.

والثاني: محبة مذمومة: وهي المحبة مع الله ﷻ، وهي المحبة الشركية، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واعلم أن كل من أحب شيئًا لغير الله عَزَّوَجَلَّ فلا بد أن يضره محبوبه، ويكون ذلك سببًا لعذابه؛ ولهذا كان الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ يمثَّل لأحدهم كنزُهُ يوم القيامة شجاعًا أقرع يأخذ بلهزمتيه

---

(١) (الشِّجْنَة) -بكسر الشين وضمها-: عروق الشجر المشتبكة. ويقال: بيني وبينه شِجْنَةُ رَحِم، أي: قرابة مشتبكة. وفي الحديث: ((الرحم شجنة من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى)) صحيح البخاري [٥٩٨٨، ٥٩٨٩]، أي: الرحم مشتقة من الرحمن، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا الحديث لا يخلو معناه من أحد شيئين: إما أن يراد أن الحق عَزَّوَجَلَّ يراعي الرحم بوصل من وصلها، وقطع من قطعها، والأخذ لها بحقها، كما يراعي القريب قرابته، فإنه يزيده في المراعاة على الأجانب. أو أن يراد أن الرحم بعض حروف الرحمن، فكأنه عظم قدره بهذا الاسم". كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/٤٠٥).

(٢) قاعدة في المحبة (ص:١٦- ١٧).

[يعني: بشدقيه]، يقول: أنا كنزك، أنا مالك[1]. فكل من أحب شيئًا دون الله عَزَّوَجَلَّ ولّاه الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة ما تولاه، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا؛ فمن أحب شيئًا لغير الله عَزَّوَجَلَّ فالضرر حاصل له إن وجد أو فقد؛ فإن فقد عذب بالفراق وتألم، وإن وجد فإنه يحصل له من الألم أكثر مما يحصل له من اللذة، وهذا أمر معلوم بالاعتبار والاستقراء. وكل من أحب شيئًا دون الله لغير الله عَزَّوَجَلَّ فإن مضرته أكثر من منفعته، فصارت المخلوقات وبالًا عليه إلّا ما كان لله جَلَّ وَعَلَا وفي الله، فإنه كمال وجمال للعبد.

وهذا معنى ما يروى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه**))[2]"[3].

وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**الدنيا ملعونة**))؛ لأنها غرت النفوس بزهرتها ولذتها فأمالتها عن العبودية إلى الهوى[4]. ((**ملعون ما فيها**)) مما شغل عن الله تعالى، وأبعد عنه، لا ما قرب إليه؛ فإنه محمود محبوب كما أشار إليه قوله: ((**إلا ذكر الله وما والاه**))، أي: ما يحبه الله جَلَّ وَعَلَا من الدنيا، وهو العمل الصالح. و(الموالاة): المحبة"[5]. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج:١٣].

---

(١) وتمام الحديث: ((من آتاه الله مالًا، فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه –يعني: بشدقيه– ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران:١٨٠])). صحيح البخاري [١٤٠٣، ٤٥٦٥، ٦٩٥٧].

(٢) حديث: ((إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم)) أخرجه ابن ماجه [٤١١٢]، والترمذي [٢٣٢٢] وقال: "حسن غريب".

(٣) مجموع الفتاوى (١/٢٨-٢٩)، بتصرف.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦/٥٠٥).

(٥) انظر: فيض القدير (٢/ ٣٢٦).

رابعًا: منزلة المحبة:

إنَّ التقرَّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما يحبُّ من صالح الأعمال والأقوال لا يكون مقبولًا عند الله عَزَّوَجَلَّ إلَّا إذا أقامه العابدُ على أركانٍ ثلاثة، وهي: (الحبُّ والخوفُ والرَّجاء).

فهذه الأركان الثلاثة هي أركان التعبُّد القلبيَّة التي لا قبول لأيِّ عبادةٍ إلَّا بها، فالله جلَّ وعلا، يعبد حبًّا فيه، ورجاءً لثوابه، وخوفًا من عقابه، وقد جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين هذه الأركان الثلاثة في (سورة الفاتحة) التي هي أفضل سور القرآن؛ فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] فيه المحبَّة؛ لأنَّ الله ﷻ منعم، والمنعم يُحب على قدر إنعامه؛ ولأنَّ الحمد هو المدح مع الحبِّ للممدوح.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣] فيه الرجاء، فالمؤمن يرجو رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، ويطمع في نيلها.

وقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] فيه الخوف، ويوم الدِّين هو يوم الجزاء والحساب.

ثم قال ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، أي: أعبدك يا ربِّ بما مضى بهذه الثلاث: بمحبَّتك، ورجائك، وخوفك، فهذه الثلاث هي أركان العبادة(١).

وقد جمع الله عَزَّوَجَلَّ أيضًا بين هذه الأركان في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧]، فابتغاء القرب إشارة إلى المحبة، ثم الرجاء، وبعده الخوف(٢).

"وهذه الأمور الثلاثة: (الخوف والرَّجاء والمحبَّة) التي وصف الله عَزَّوَجَلَّ بها هؤلاء المقرَّبين عنده هي الأصل والمادَّة في كلِّ خير. فمن تمَّت له تمَّت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحَّلت عنه الخيرات وأحاطت به الشُّرور.

وعلامة المحبة ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ: أن يجتهد العبد في كل عمل يقرِّبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله عَزَّوَجَلَّ، والنصح فيها، وإيقاعها

(١) انظر: فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (١/١٠٥).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٣٦)، طريق الهجرتين (ص: ٢٨٢)، فقه الأدعية (١/١٠٦).

على أكمل الوجوه المقدور عليها، فمن زعم أنه يحب الله عَزَّوَجَلَّ بغير ذلك فهو كاذب"[١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى: الذل، ومعنى: الحب، فهي تتضمن غاية الذُّل لله تعالى بغاية الحب له. ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له كما يحب الرجل ولده وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء..."[٢].

ومنزلة الحب أرفع من منزلة الخوف، وذلك لسببين:

١ - أن المحبة مقصودة لذاتها، وأما الخوف فمقصود لغيره.

٢ - أن الخوف يتعلق بأفعال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمحبة تتعلق بذاته وصفاته[٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "القلب في سيره إلى الله عَزَّوَجَلَّ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره، قال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإن غلب عليه الرجاء فسد.

وقال غيره: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله عَزَّوَجَلَّ الموصل بمنه وكرمه"[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص:٤٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/١٥٣)، الفتاوى الكبرى (٥/١٥٧)، العبودية (ص:٤٨).

(٣) شرح الرسالة التدمرية (ص:٤٥٠-٤٥١).

(٤) مدارج السالكين (١/٥١٣)، وانظر: تنوير المستبصر الفائز ببيان أحكام الجنائز، مطلب في معنى المحتضر، إبراهيم بن يوسف البولوي، تحقيق ودراسة وشرح: د. عبد القادر محمد المعتصم دهمان، مصطفى محمود سليخ (ص:٣٥).

أما المواضع التي ذكرت مادة: (الحب) في القرآن الكريم فهي تزيد على ثمانين موضعًا[1]، أما في السنة فمواضع كثيرة جدًّا، وذلك مما يفيد العناية والاهتمام.

والمحبة شعبة من شعب الإيمان، قال الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن الدنيا زائلة فانية، والآخرة آتية باقية، وإنك في الدنيا مسافر، ولا بد أن ينتهي سفرك، وتصل إلى دارك، فاحتمل مشقات السفر، واجتهد في عمارة دارك وإصلاحها وتزينها في هذا الأمد القليل؛ لتتمتع بها دهرًا مديدًا بلا نصب. والمؤمن حقًّا من كملت فيه شعب الإيمان، وهي بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة. وذلك الإيمان بالله وصفاته وحدوث ما دونه، وبملائكته وكتبه ورسله، والقدر واليوم الآخر، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه: الصلاة عليه، واتباع سنته، والإخلاص..ويدخل فيه: ترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف والرجاء، والشكر...الخ"[2].

خامسًا: مراتب المحبة:

أما مراتب المحبة فهي على النحو التالي:

الأولى: العلاقة:

وسميت علاقة؛ لتعلق القلب بالمحبوب.

الثانية: الإرادة:

وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الحاء (ص:١٩١-١٩٣).

(٢) إتمام الدراية لقراء النقاية (٢/٤١٧- ٤١٨)، تحقيق ودراسة: د. عبد القادر محمد المعتصم دهمان، د. عبد الرقيب الشامي، وفضيلة الشيخ مصطفى محمود سليخ، طبع دار الضياء، الكويت. وانظر: فتح الباري، لابن حجر (١/٥٢).

الثالثة: الصبابة:

وهي انصباب القلب إليه. بحيث لا يملكه صاحبه.

الرابعة: الغرام:

وهو الحب اللازم للقلب، الذي لا يفارقه. بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه. ومنه سمي عذاب النار: غرامًا؛ للزومه لأهله. وعدم مفارقته لهم.

الخامسة: الوداد:

وهو صفو المحبة وخالصها ولبها.

و(الودود) من أسماء الرب ﷻ. وفيه قولان:

أحدهما: أنه المودود -بصيغة اسم المفعول- قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (صحيحه): الودود: الحبيب[1].

والثاني: أنه الواد لعباده -اسم الفاعل-. أي: المحب لهم. وقرنه باسمه: الغفور إعلامًا بأنه يغفر الذنب، ويحب التائب منه، ويوده.

السادسة: الشغف:

يقال: شغف بكذا. فهو مشغوف به. وقد شغفه المحبوب. أي: وصل حبه إلى شغاف قلبه. كما قال النسوة عن امرأة العزيز: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف:٣٠][2].

(١) صحيح البخاري (١٢٤/٩). وانظر: فتح الباري، للحافظ ابن حجر (٤٠٨/١٣)، روضة المحبين (ص:٤٠٩).

(٢) بمعنى أنه خرق حبه شغاف قلبها، أي: غلافه المحيط به، وغاص في سويدائه، حتى وصل إلى الفؤاد، فملك عليها أمرها: كما قال الشاعر:

(يعـلمُ اللهُ أنَّ حُبَّـكِ مـني***في سواد الفؤاد وَسْطَ الشَّغاف).

ديوان عبيد الله بن قيس (ص:٣٧).

السابعة: العشق:

"العشق: فرط الحب[١]. وفي اشتقاقه قولان:

أحدهما: أنه من الْعَشَقَة -محركة-، وهي نبت أصفر يلتوي على الشجر، فشبه به العاشق.

والثاني: أنه من الإفراط"[٢].

قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وسمي العاشق عاشقًا؛ لأنه يذبل من شدة الهوى، كما تذبل العشقة إذا قطعت"[٣].

أقول: ولعل الأقرب أن سبب التسمية: أن العشقة، وهي شجرة يقال لها: اللبلابة، تخضر ثم تدق ثم تصفر، وهي تلتوي على الشجرة وتلزمها في كل حال، كما لا ينفك العاشق عن معشوقه حتى يقضي به ذلك إلى الدنف والتلف. وإلا فما وجه التخصيص بالعشقة؟!

قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واشتقاق العشق من العشقة وهي: اللبلاب؛ لأنه يلتوي على الشجر ويلزمه"[٤].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "العشق هو الإفراط في الحب، حتى يزيد على القصد الواجب، فإذا أفرط كان مذمومًا فاسدًا مفسدًا للقلب والجسم"[٥].

فالعشق هو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه..

---

(١) انظر: الصحاح، للجوهري، مادة: (عشق) (١٥٢٥/٤).

(٢) مدارج السالكين (٣١/٣)، وانظر: المخصص، لابن سيده (٣٧٨/١)، أساس البلاغة، مادة: (عشق) (٦٥٤/١).

(٣) تهذيب اللغة (١١٨/١)، ونحوه في (لسان العرب) مادة: (عشق) (٢٥٢/١٠)، و(تاج العروس) (١٥٩/٢٦).

(٤) أساس البلاغة، مادة: (عشق) (٦٥٤/١).

(٥) قاعدة في المحبة (ص:٥٦)، جامع الرسائل (٢٤٢/٢).

ولا يوصف به الرب جَلَّ، ولا العبد في محبة ربه، فلا يقال: إن الله يعشق، ولا عشقه عبده؛ لأن العشق مذموم مطلقًا، لا يمدح لا في محبة الخالق ولا المخلوق؛ لأنه المحبة المفرطة الزائدة على الحد المحمود؛ ولأن العشق محبة مع شهوة(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اختلفوا في سبب المنع على ثلاثة أقوال، أحدها: عدم التوقيف بخلاف المحبة. الثاني: أن العشق إفراط المحبة، ولا يمكن ذلك في حق الرب تعالى؛ فإن الله تعالى لا يوصف بالإفراط في الشيء، ولا يبلغ عبده ما يستحقه من حبه فضلًا أن يقال: أفرط في حبه. الثالث: أنه مأخوذ من التغير كما يقال للشجرة المذكورة: عاشقة، ولا يطلق ذلك على الله سبحانه وتعالى"(٢).

والعشق يقع بين طرفين: (عاشق ومعشوق). أما أنواعه فلا يخلو إما أن يكون من الرجال للنساء، أو العكس، ويقع شذوذًا من الرجال للرجال، ومن النساء للنساء.

وسيأتي بيان خطورته وآثاره، وسبل الوقاية منه.

الثامنة: التتيم:

وهو التعبد، والتذلل. يقال: تيمه الحب، أي: ذلله وعَبَّدَه. وتيم الله: عبد الله.

التاسعة: التعبد:

وهو فوق التتيم. فإنَّ العبد هو الذي قد ملَكَ الْمَحْبُوبُ رِقَّهُ، فلم يبق له شيء من نفسه البتة. بل كله عبد لمحبوبه ظاهرًا وباطنًا. وهذا هو حقيقة العبودية. ومن كَمَّلَ ذلك فقد كَمَّلَ مرتبتها.

ولما كَمَّلَ سَيِّدُ ولد آدم هذه المرتبة وصفه الله عَزَّوَجَلَّ بها في أشرف مقاماته -مقام الإسراء- فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١]، ومقام

(١) انظر: ذلك مفصلًا في (معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ)، لبكر بن عبد الله أبو زيد (ص:٣٨٠)، كتاب الفتاوى، للإمام العز بن عبد السلام (ص:٧١-٧٢)، مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣١/١٠)، روضة المحبين، لابن القيم (ص:٢٨)، شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (ص:١٢٤).

(٢) روضة المحبين (ص:٢٨-٢٩)، وانظر: طريق الهجرتين (ص:٣٢٨).

الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩]، ومقام التحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [البقرة:٢٣]، وبذلك استحق التقديم على الخلائق في الدنيا والآخرة.

وكذلك يقول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم، إذا طلبوا منه الشفاعة -بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-: ((**اذهبوا إلى محمد، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**))(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: فحصلت له تلك المرتبة. بتكميل عبوديته لله تعالى، وكمال مغفرة الله عَزَّ وَجَلَّ له.

وحقيقة العبودية: الحب التام، مع الذل التام والخضوع للمحبوب. تقول العرب: طريق معبد، أي: قد ذللته الأقدام وسهلته.

العاشرة: مرتبة الخلة:

مرتبة الخلة انفرد بها الخليلان -إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم- كما صح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((**إنَّ الله اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا**))(٢)، وقال: ((**لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن**))(٣). إنما سميت خلة؛ لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح"(٤).

وفي رواية: ((**ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذًا خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا، إن صاحبكم خليل الله**))(٥).

---

(١) الحديث في (صحيح البخاري) [٤٧١٢]، مسلم [١٩٤].

(٢) صحيح مسلم [٥٣٢].

(٣) والحديث في (صحيح البخاري) [٤٦٦، ٤٦٧، ٣٦٥٤، ٣٦٥٦، ٣٩٠٤]، و(مسلم) [٥٣٢، ٢٣٨٢، ٢٣٨٣، ٢٣٨٣، ٢٣٨٣] بألفاظ متقاربة.

(٤) بتصرف عن (مدارج السالكين) (٣/٢٩- ٣٣)، وانظر: روضة المحبين (ص:٤٦-٤٨).

(٥) صحيح مسلم [٢٣٨٣].

وفي رواية: ((**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا**))[1].

فبين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يصلح أن يُتخذ من المخلوقين خليل، وأنه لو جاز ذلك لكان أحق الناس بذلك أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فتبين بهذا أن الخلة أخص من المحبة، وأنها لكمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة فيها.

وذكر البعض مراتب أخرى للمحبة[2].

(١) صحيح مسلم [٥٣٢].

(٢) انظر: الكليات، لأبي البقاء الكفوي (ص:٣٩٨)، وانظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (١٢٨/٢-١٣٠).

سادسًا: التحذير من آفة العشق:

تقدم تعريف العشق، وإنما أفرد هنا بالبحث من بين المراتب الأخرى؛ لتفشيه؛ وعظم أثره، وبيان ذلك على النحو التالي:

١ - خطورته وآثاره:

إن العشق من أسباب الغفلة، وفساد الإدراك، والتيه والضلال. فهو أجلب شيء للمفاسد العاجلة في الدنيا، وأعظم شيء تعطيلًا لمصالحها؛ فإنه يحول بين العبد وبين رشده الذي هو ملاك أمره، وقوام مصالحه، وهو من أسباب الضلال، والضلال موجب للحساب في الآخرة، والعقاب على التقصير والتفريط. فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من الانصراف الكلي إلى المعشوق.

"سئل بعض العلماء عن عشق الصُّور فقال: قلوب غفلت عن ذكر الله فابتلاها الله عَزَّوَجَلَّ بعبودية غيره"(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور، أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب، وإقباله على الله عَزَّوَجَلَّ، وعشق الصور أعظم شيء تشعيثًا وتشتيتًا له. وأما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع"(٢).

وهو داء ومرض يصيب الكثيرين بسبب اتباعهم لهوى النفس والشيطان، وغفلتهم عن إدراك علَّة الخلق، وحقيقة المخلوق، وعن أسباب النجاة، وحقيقة السعادة؛ لأن العاشق ينصرف بكليته إلى معشوقه، فتصيبه آفات العشق حتى يقضي به ذلك إلى الدنف والتلف.

---

(١) مفتاح دار السعادة (ص:١١٢).

(٢) الجواب الكافي (ص:٢١٣).

إن العشق داءٌ صعبٌ ومرض ليس بالهين(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قيل: إن العشق فساد في الإدراك والتخيل والمعرفة؛ فإن العاشق يخيل له المعشوق على خلاف ما هو به، حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق، ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حد العشق -وإن حصل له محبة وعلاقة-"(٢).

كما أن العشق من أسباب انحطاط الهمم عن طلب الهداية، بسبب وقوع الإنسان في أسره، فيشغله ذلك عن التبصر، وعن محبّة الله ﷻ، ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله وعرضه ونفسه، وضيع دينه ودنياه؟!

كما أن المعشوق قد يُعرِّض العاشق للتلف، حيث يطمعه في نفسه، ويتزين له، ويستميله بكل طريق؛ للظفر بماله، أو لاستخدامه في مصالحه.

والعاشق ربما قتل معشوقه إذا وقع بينهما اختلاف -ولا سيما إذا جاد بالوصال لغيره-.

فكم للعشق من قتيل من الجانبين؟! وكم أزال من نعمة، وأفقر من غنى، وأسقط من مرتبة، وشتَّت من شمل؟!(٣).

"ومن الأضرار التي يجرها العشق: فاحشتي: الزنا إن كان المعشوق امرأة، واللواط إن كان المعشوق رجلًا، فالعشق سبيل إليهما، وكثيرًا ما يقترن بتلك الفاحشتين العظيمتين اللتين لا يخفى ضررهما على دين الإنسان، وعقله، وماله، وخلقه، وصحته"(٤).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سئل بعض الحكماء عن العشق، فقال: شغل قلب فارغ(٥).

---

(١) انظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح الحنبلي (١٢٥/٣).

(٢) جامع الرسائل (٢/٢٤٣- ٢٤٤)، قاعدة في المحبة (ص:٥٧- ٥٨).

(٣) انظر: روضة المحبين (ص: ١٨٤)، الجواب الكافي (ص:٢١٨).

(٤) العشق، حقيقته، خطره، أسبابه، علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد (ص:٢٥).

(٥) انظر: بهجة المجالس، لابن عبد البر (٨١٧/٢).

"وقال أفلاطون: العشق حركة النفس الفارغة. وقال أرسطاطاليس: العشق عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب. وقال أرسطو: العشق جهل عارض صادف قلبًا فارغًا لا شغل له من تجارة ولا صناعة، وقال غيره: هو سوء اختيار صادف نفسًا فارغة. قال قيس بن الملوح:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليًا فتمكنا[١]

وقال بعضهم: لم أر حقًّا أشبه بباطل، ولا باطلًا أشبه بحق من العشق، هزله جد، وجده هزل، وأوله لعب، وآخره عطب. وقال الجاحظ: العشق اسم لما فضل عن المحبة، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما جاوز الاقتصاد، فكل عشق يسمى: حبًّا، وليس كل حب يسمى: عشقًا.."[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن الذي يورثه العشق من نقص العقل والعلم، وفساد الخلق والدين، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود. وأصدق شاهد على ذلك: ما يعرف من أحوال الأمم، وسماع أخبار الناس في ذلك، فهو يغني عن معاينة ذلك وتجريبه، ومن جرب ذلك أو عاينه اعتبر بما فيه كفاية، فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته"[٣]. وقد صنَّف ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مصارع العشاق).

وسبب العشق: متابعة النفس والهوى، وضعف الوازع الديني. قال ابن مفلح: "قال بعض الحكماء: ليس العشق من أدواء[٤] الحكماء، إنما هو من أمراض الخلفاء الذين جعلوا دأبهم ولهجتهم: متابعة النفس، وإرخاء عن الشهوة، وإفراط النظر في المستحسنات من الصور، فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور فتأنس، ثم تألف، ثم

---

(١) انظر: البيان والتبيين، للجاحظ (٢٩/٢)، وهو من (الطويل).

(٢) بتصرف عن (روضة المحبين)، لابن القيم (١٣٧/١- ١٣٨)، وانظر: ربيع الأبرار، للزمخشري (٤٢٩/٣)، نهاية الأرب في فنون الأدب (١٣٠/٢)، المستطرف في كل فن مستطرف (ص:٤٠٤)، وانظر: كلام الحكماء والفلاسفة في العشق في (نهاية الأرب في فنون الأدب) (١٢٦/٢).

(٣) الاستقامة، لابن تيمية (٤٥٩/١).

(٤) الداء: المرض، والجمع: أدواء.

تتوق، ثم تتشوق، ثم تلهج فيقال عشق، والحكيم من استطال رأيه على هواه، وتسلطت حكمته أو تقواه على شهوته، فرعونات نفسه مقيدة أبدًا، كصبي بين يدي معلمه، أو عبد بمرأى سيده، وما كان العشق إلا لأرعن بطال، وقلَّ أن يكون في مشغول ولو بصناعة أو تجارة، فكيف بعلوم شرعية أو حكمية؟ فإنها صارفة عن ذلك"(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن عشق الصور المحرمة نوع تعبد لها، بل هو من أعلى أنواع التعبد، ولا سيما إذا استولى على القلب وتمكن منه صار تتيمًا، والتتيم: التعبد، فيصير العاشق عابدًا لمعشوقه، وكثيرًا ما يغلب حبه وذكره والشوق إليه، والسعي في مرضاته، وإيثار محابه على حب الله عَزَّوَجَلَّ وذكره، والسعي في مرضاته، بل كثيرًا ما يذهب ذلك من قلب العاشق بالكلية، ويصير متعلقًا بمعشوقه من الصور، كما هو مشاهد، فيصير المعشوق هو إلهه من دون الله عَزَّوَجَلَّ، يقدم رضاه وحبه على رضى الله وحبه، ويتقرب إليه ما لا يتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وينفق في مرضاته ما لا ينفقه في مرضاة الله، ويتجنب من سخطه ما لا يتجنب من سخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيصير آثر عنده من ربه: حبًّا، وخضوعًا، وذلًّا، وسمعًا، وطاعة؛ ولهذا كان العشق والشرك متلازمين، وإنما حكى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العشق عن المشركين من قوم لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعن امرأة العزيز، وكانت إذ ذاك مشركة، فكلما قوى شرك العبد بُليَ بعشق الصور، وكلما قوى توحيده صرف ذلك عنه. والزنا واللواطة كمال لذتهما إنما يكون مع العشق، ولا يخلو صاحبهما منه، وإنما لِتنقله من محل إلى محل لا يبقى عشقه مقصورًا على محل واحد، بل ينقسم على سهام كثيرة، لكل محبوب نصيب من تألهه وتعبده"(٢).

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/١٢٥-١٢٦).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/٦٤).

٢ - سبل الوقاية منه:

أما سبل الوقاية من آفات العشق فهي على النحو التالي:

السبيل الأول: الإخلاص في محبة الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إنَّ الإخلاص سبب لدفع آفة العشق. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، المعرضة عنه، المتعوضة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبة الله عَزَّوَجَلَّ والشوق إلى لقائه، دفع ذلك عنه مرض عشق الصور، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ في حق يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]، فدلَّ على أن الإخلاص سبب لدفع العشق، وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التي هي ثمرته ونتيجته، فصرف المسبب صرف لسببه. فصرف عنه السوء من العشق، والفحشاء من الفعل بإخلاصه؛ فإن القلب إذا أخلص عمله لله عَزَّوَجَلَّ لم يتمكن منه عشق الصور، فعشق الصور إنما يتمكن من القلب الفارغ؛ ولهذا قال بعض السلف: العشق حركة قلب فارغ، يعني: فارغًا مما سوى معشوقه. قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ [القصص:١٠]، أي: فارغًا من كل شيء إلا من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لفرط محبتها له، وتعلق قلبها به"(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ذكر الله عَزَّوَجَلَّ العشق في القرآن عن المشركين، فإن العزيز وامرأته وأهل مصر كانوا مشركين، كما قال لهم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف:٣٧-٤٠]، وقال جَلَّ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ

---

(١) بتصرف عن (زاد المعاد) (٤/ ٢٤٦).

امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف:٣٠].

وأما يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ذكر أنه عصمه بإخلاصه الدين لله جَلَّ وَعَلَا. قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]، فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه صرف عنه السوء والفحشاء، ومن السوء: عشقها ومحبتها، ومن الفحشاء: الزنا. وقد يزني بفرجه من لا يكون عاشقًا، وقد يعشق من لا يزني بفرجه. والزنا بالفرج أعظم من الإلمام بصغيرة كنظرة وقبلة. والمخلصون يصرف الله عَزَّوَجَلَّ عنهم السوء والفحشاء. ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان من المخلصين حيث كان يعبد الله عَزَّوَجَلَّ لا يشرك به شيئًا، وحيث توكل على الله عَزَّوَجَلَّ واستعان به، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف:٣٣-٣٤]. وهذا تحقيق قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل:٩٨-١٠٠].

فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن المتوكلين على الله عَزَّوَجَلَّ ليس للشيطان عليهم سلطان، وإنما سلطانه على المتولين له. و(المتولي) من الولاية، وأصله: المحبة والموافقة، كما أن العداوة أصلها: البغض والمخالفة"(١). فالإخلاص في محبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكون إلا بتقديم هذه المحبة على كل محبة.

إنَّ هناك من يحبُّ امرأةً أكثر من حبِّه لله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك هناك من يحبُّ المال أو المصلحة أكثر من حبِّه لله عَزَّوَجَلَّ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

(١) قاعدة في المحبة (ص:٧٦- ٧٧).

فالمحبة المشروعة محبة الله عَزَّوَجَلَّ، والمحبة في الله عَزَّوَجَلَّ. والمحبة الممنوعة هي المحبة مع الله عَزَّوَجَلَّ، وتقديم ما تحبُّه النفسُ على ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ، ومن ذلك: العشق، فهو مرض من أمراض القلوب؛ لأنه لا يتمكن إلا من قلب فارغ من محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

إنَّ فَقْدَ المحبة لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو ضعفها، أو تأخرها من أسباب السقوط في أودية الضلال.

وتقديم محبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم أسباب الهداية والاستقامة، ولا يجتمع الحبُّ مع الجهلِ بالمحبوب، وعدم العناية بأمره ونهيه. فمن أسباب الوقاية من آفات العشق: التبصر بمقتضيات ومحفزات محبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: مجاهدة النفس والهوى.

....

الثالث: الإنابة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والخوف منه:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وما يبتلى بالعشق أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه وإلا فالقلب المنيب إلى الله الخائف منه فيه صارفان يصرفان عن العشق:

أحدهما: إنابته إلى الله ومحبته له؛ فإن ذلك ألذ وأطيب من كل شيء، فلا تبقى مع محبة الله عَزَّوَجَلَّ محبة مخلوق تزاحمه.

والثاني: خوفه من الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن الخوف المضاد للعشق يصرفه. وكل من أحب شيئًا بعشق أو غير عشق فإنه يصرف عن محبته بمحبة ما هو أحب إليه منه إذا كان يزاحمه، وينصرف عن محبته بخوف حصول ضرر يكون أبغض إليه من ترك ذاك الحب، فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ أحب إلى العبد من كل شيء، وأخوف عنده من كل شيء لم يحصل معه عشق ولا مزاحمة إلا عند غفلة أو عند ضعف هذا الحب والخوف، بترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات؛ فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية،

فكلما فعل العبد الطاعة محبة لله عَزَّوَجَلَّ وخوفًا منه، وترك المعصية حبًّا له وخوفًا منه قوي حبه له وخوفه منه، فيزيل ما في القلب من محبة غيره ومخافة غيره"(١).

الرابع: الزواج:

ومن أسباب الوقاية من آفات العشق: الزواج. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "نكاح المعشوقة هو دواء العشق"(٢). ودواء المحبين في كمال الوصال الذي أباحه رب العالمين، كما بين ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (روضة المحبين)(٣).

فإن العشق قد يقع ابتلاء، ومن غير تسبب الإنسان فيه، كرجل وقع بصره على امرأة فعشقها، واحترز عن المعاصي التي يتسبب بها العشق. وقد أرشده النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أوجه العلاج من هذا المرض، والتي منها: الزواج، ففي الحديث: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((لم يُرَ لِلْمُتَحَابَّيْنِ مِثْلُ النِّكَاح))**(٤).

وفي الحديث: **((من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء))**(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٣٦).

(٢) الجواب الكافي (ص:٢٣٧).

(٣) انظر: روضة المحبين (ص:٢١٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه [١٨٤٧]، والبزار [٤٨٥٦، ٤٨٥٧]، والطبراني [١٠٨٩٥]، والحاكم [٢٦٧٧]، وقال: "صحيح على شرط مسلم"، كما أخرجه تمام [٨١٦، ٨١٧، ٨١٨]، والمقدسي في (المختارة) [٤٤]. و"لفظ: (متحابين) يحتمل التثنية والجمع. وفي (زوائد ابن ماجه) (٢/٩٤): "إسناده صحيح ورجاله ثقات والله أعلم"، وانظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/٥٦٧).

(٥) صحيح البخاري [١٩٠٥، ٥٠٦٥، ٥٠٦٦]، مسلم [١٤٠٠].

الخامس: التبصر بما يجلبه هذا الداء من آفات عاجلة وآجله:

وقد تقدم بيان هذه الآفات العاجلة منها والآجلة.

السادس: تذكر قبائح المحبوب وما يدعوه إلى النفرة منه:

وإنما يعلم ذلك بإدراك علَّة الخلق، وحقيقة المخلوق كما تقدم. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن لم تقبل نفسه مما تقدم من علاج لهذا الداء "فليتذكر قبائح المحبوب، وما يدعوه إلى النفرة عنه، فإنه إن طلبها وتأملها، وجدها أضعاف محاسنه التي تدعو إلى حبه، وليسأل جيرانه عما خفي عليه منها، فإنها المحاسن، كما هي داعية الحب والإرادة، فالمساوئ داعية البغض والنفرة، فليوازن بين الداعيين، وليحب أسبقهما وأقربهما منها بابًا، ولا يكن ممن غره لون جمال على جسم أبرص مجذوم، وليجاوز بصره حسن الصورة إلى قبح الفعل، وليعبر من حسن المنظر والجسم إلى قبح المخبر والقلب"(١).

السابع: الاشتغال بالعبادات الظاهرة والباطنة:

ومن أنفع أسباب الوقاية من آفات العشق: أن يشتغل بالعبادات الظاهرة والباطنة، ويكثر من النوافل والذكر والاستغفار والدعاء، واللجوء إلى الله سبحانه، والاستعانة به في صرف ذلك عنه، وحضور مجالس العلماء؛ فإن ذلك يقيه من آفات الشرود.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه مستغيثًا به، متضرعًا متذللًا، مستكينًا، فمتى وفق لذلك فقد قرع باب التوفيق، فليعف وليكتم، ولا

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/٢٥٢).

يشبب بذكر المحبوب، ولا يفضحه بين الناس ويعرضه للأذى، فإنه يكون ظالما معتديًا"(١).

سابعًا: أقسام المحبة:

تنقسم المحبة إلى قسمين:

الأول: محبة عبادة، وهي التي توجب التذلل والتعظيم، وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي أن يمتثل أمره ويجتنب نهيه، وهذه خاصة بالله عَزَّوَجَلَّ، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة، فهو مشرك شركًا أكبر.

الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها، وهذه أنواع:

النوع الأول: المحبة لله عَزَّوَجَلَّ وفي الله، وذلك بأن يكون الجالب لها محبة الله، أي: كون الشيء محبوبًا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من أشخاص: كالأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

ومن ذلك: حب أهل التوحيد، وبغض أهل الشرك، وهي أوثق عرى الإيمان، وأعظم ما يعبد به العبد ربه عَزَّوَجَلَّ.

أو أعمال: كالصلاة، والزكاة، وأعمال الخير، أو غير ذلك.

وهذا النوع تابع للقسم الأول الذي هو محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

النوع الثاني: محبة إشفاق ورحمة، وذلك كمحبة الولد، والصغار، والضعفاء، والمرضى.

النوع الثالث: محبة إجلال وتعظيم لا عبادة، كمحبة الإنسان لوالده، ولمعلمه، ولكبير من أهل الخير.

النوع الرابع: محبة طبيعية، كمحبة الطعام، والشراب، والملبس، والمركب، والمسكن، والزوجة والطيب.

---

(١) المصدر السابق (٤/٢٥٢).

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول، والبقية من قسم المباح، إلَّا إذا اقترن بها ما يقتضى التعبد صارت عبادة، فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب من أجل أن يقوم ببر والده صارت عبادة، وكذلك يحب ولده محبة شفقة، وإذا اقترن بها ما يقتضي أن يقوم بأمر الله عَزَّوَجَلَّ بإصلاح هذا الولد صارت عبادة.

وكذلك المحبة الطبيعية، كالأكل والشرب والملبس والمسكن إذا قصد بها الاستعانة على عبادة صارت عبادة؛ ولهذا ((**حبب للنبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **النساء والطيب**))(١) من هذه الدنيا، فحبب إليه النساء؛ لأن ذلك مقتضى الطبيعة، ولما يترتب عليه من المصالح العظيمة. وحبب إليه الطيب؛ لأنه ينشط النفس ويريحها ويشرح الصدر.

فهذه الأشياء إذا اتخذها الإنسان بقصد العبادة صارت عبادة، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**))(٢).

وقال العلماء: إن ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب، والوسائل لها أحكام المقاصد، وهذا أمر متفق عليه(٣).

"وقال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس، فجمع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصناف المحبة في محبته"(٤).

---

(١) حديث: ((حبب إلى من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة)) أخرجه أحمد [١٢٢٩٣]، والبزار [٦٨٧٩]، ومحمد بن نصر في (تعظيم قدر الصلاة) [٣٢٢]، والنسائي [٣٩٣٩]، وأبو يعلى [٣٤٨٢]، وأبو عوانة [٤٠٢٠]، والحاكم [٢٦٧٦]، وقال: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي. كما أخرجه البيهقي [١٣٤٥٤]، والضياء [١٦٠٨].

(٢) صحيح البخاري [١].

(٣) انظر: القول المفيد، محمد بن صالح العثيمين (٢/٤٤- ٤٦).

(٤) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٥/٢)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٦٦/١)، إكمال المعلم، للقاضي عياض (٢٠٤/١)، الديباج، للسيوطي (٦٢/١)، المجالس الوعظية، شمس الدين السفيري (٤٠٥/١)، شرح الأربعين النووية، لابن حجر العسقلاني (ص:٢٢٤)، بتحقيق الدكتور رياض منسي العيسى، وعبد القادر مصطفى طه.

ومن أنواع المحبة المنهي عنها:

١ - المحبة الشركية، وهي أن تحبَّ غير الله عَزَّوَجَلَّ حبَّ الإلهية، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة:١٦٥-١٦٧].

٢ - حب الباطل وأهله، وهذه صفة المنافقين.

ثامنًا: المحبة والعدالة الاجتماعية:

لا شكَّ أنَّ أسمى ما تتحقق به العدالة الاجتماعية: المحبَّة المنبثقة من العقيدة، فهي محبَّة الإيثار والوفاء والبذل والعطاء والإحسان والتضحية، محبة تقتضي الإحساس بمصاب الآخرين وآلامهم، فهي أقوى الدوافع التي تحقق التكافل الاجتماعي، والتراحم بين أفراد المجتمع.

"الحب لا يعرف الظلم، ولا يعرف القسوة، ولا يعرف إضاعة الحقوق.

الحب كتجربة بشرية لا يطلب سوى ذلك التفاهم الواعي، والتفاعل الرشيد؛ حتى لا تصطدم الحقوق، ولا تختفي الواجبات، فإذا عرف كل إنسان ما له وما عليه تجاه الآخر ساد الحب، وسادت المودة، وشعر كل إنسان بقيمة الحياة وسعادتها.

الحب لا يعرف إلَّا العدل، والعدل لا يمكن أن يسود إلَّا في حضرة النفوس الصافية. المحبة المخلصة التي تعبر عن سلوكيات سوية، وتصرفات أخلاقية، مشبعة بالقيم السامية الرفيعة"[١].

(١) الإنسان وصحته النفسية، د. سيد صبحي (ص:١٤٤).

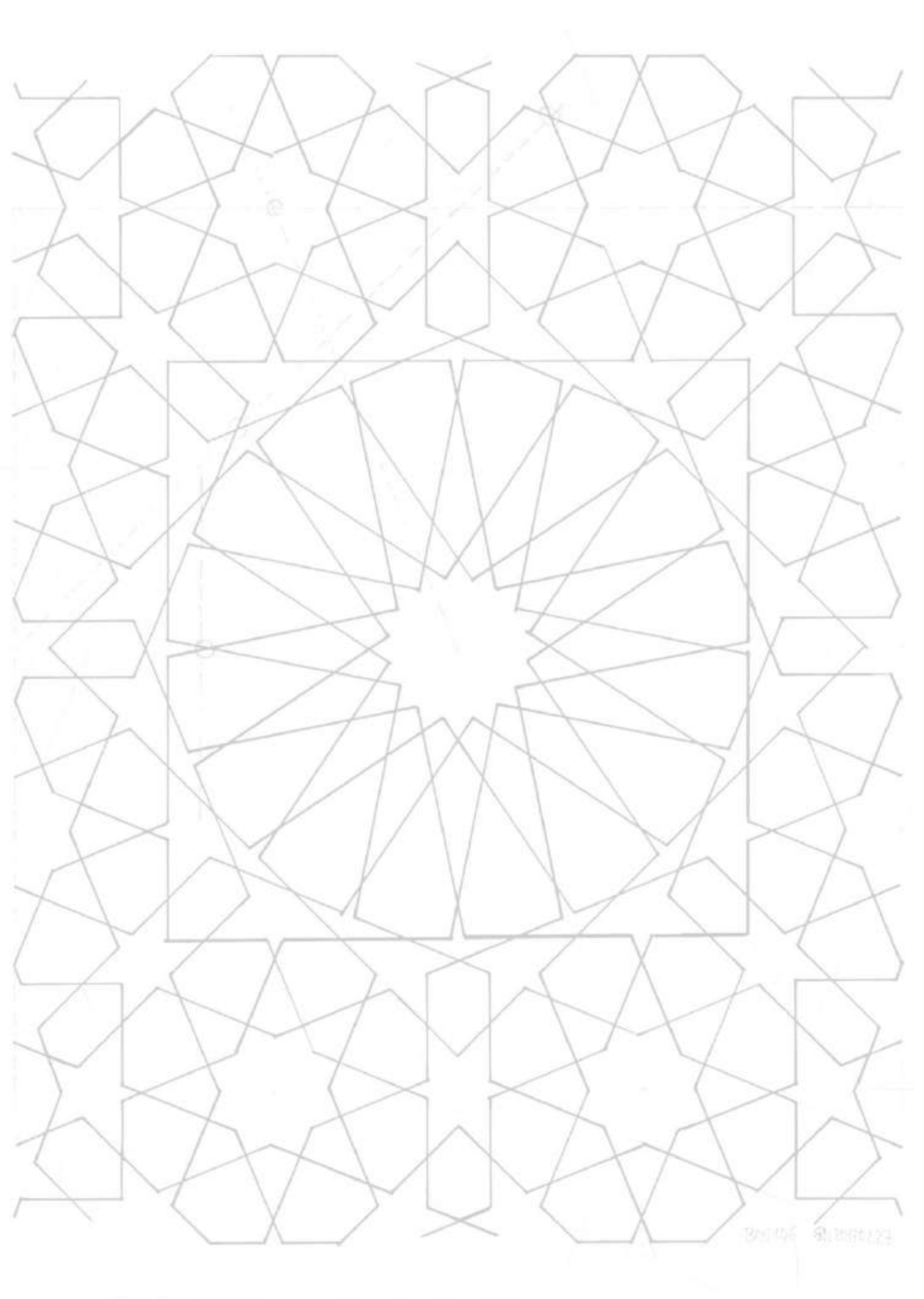

المبحث الأول

محبة الله ﷻ للخلق

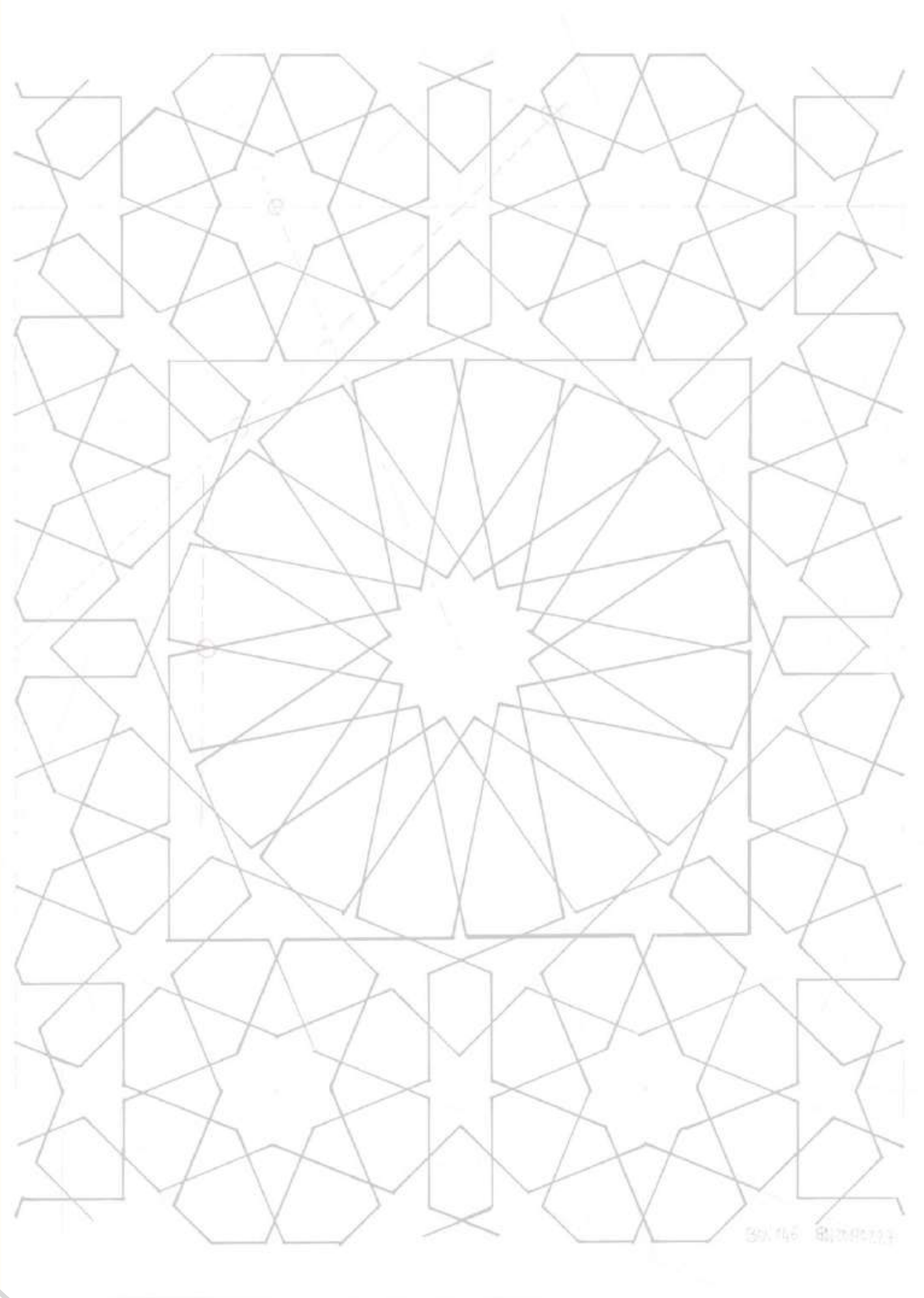

يندرج تحت هذا المبحث موضوعات متنوعة، وهذه صورة توضيحية لفقرات المبحث الأول:

أولًا: المحبة صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ	**ثانيًا: رد ما ادعته النصارى في شأن المحبة**
ثالثًا: الشواهد على محبة الله سبحانه للعبد الصالح	
١ - التحلي بالصفات الحميدة التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ	**٢ - اجتناب الأعمال التي لا يحبها الله عَزَّوَجَلَّ**
أ. الإحسان	أ. الاعتداء
ب. التوبة والتطهر من الأنجاس الحسية والمعنوية	ب. الفساد
ج. اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	ج. الربا والكفر والعصيان
د. التقوى	د. الظلم
هـ. الصبر	هـ. التكبر
و. التوكل	و. الخيانة
ز. العدل والقسط	ز. الجهر بالسوء
ح. التواضع والرحمة للمؤمنين والعزة على الكافرين	ح. الإسراف
ط. الثبات أمام العدو صفوفًا كالبنيان المرصوص	ط. البطر
ي. الابتلاء بالمصائب والكوارث	ي. قطيعة الأرحام
ك. الإيمان وسلامة المعتقد	ك. الألد الخصم
ل. الصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله تعالى	ل. أبغض الناس إلى الله ثلاثة
م. أحب العمل إلى الله تعالى: أدومه	م. الكذب
ن. أحب الصلاة والصيام إلى الله تعالى صلاة وصيام داود	ن. بغض أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
س. العناية والتدبير	س. الجعظري الجواظ المستكبر الجماع المناع
ع. صلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	ع. الفاحش البذي المتفحش
ف. التقي الغني الخفي	ف. التشدق والتكلف في الكلام
ص. الرفق.	ص. البَيَّاع الحلَّاف، والفقير المخْتَال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر
ق. الجمال	ق. الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف
ر. معرفة أسماء الله تعالى وصفاته وتدبرها وعقل معانيها	ر. قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال.
ش. الحياء والستر	خاتمة
ت. محبة ما يحبه الله ﷻ وبغض ما يبغضه	-
ث. معالي الأمور	-
رابعًا: الأسباب الجالبة لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ	

خامسًا: ثمرات محبة الله عَزَّوَجَلَّ		
١ - التوفيق والحفظ والعناية	٤ - الأمن من عذاب الله ﷻ	٧ - الخاتمة الحسنة
٢ - أن يحببه إلى العباد	٥ - القناعة والرضا وغنى النفس	-
٣ - أن يُؤتى المحبُّ الإيمانَ ويتذوق حلاوته	٦ - حسن الخُلق والرفق بالخَلق	-

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولًا: المحبة صفة من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

أجمع المسلمون على أن المحبة صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ القرآن نطق بإثباتها في آيات كثيرة، وكذلك جاءت النُّصوص في السُّنَّة.

فأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق به، من غير تكييف.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "إن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين: أثبتت محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعباده المؤمنين، ومحبتهم له"(١).

وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ أساس الاتباع المحبة، والمحب يود أن يحبه حبيبه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وفي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**))(٢).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "المراد بهذا الكلام أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالفرائض، ثم بالنوافل قربه إليه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله عَزَّوَجَلَّ على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ ومحبته

(١) مجموع الفتاوى (٢/٣٥٤).

(٢) صحيح البخاري [٦٥٠٢]، قوله: ((ما ترددت)): كناية عن اللطف والشفقة وعدم الإسراع بقبض روحه. و(مساءته): إساءته بفعل ما يكره.

وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه، حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدًا له بعين البصيرة"[١].

ومن النصوص الدالة على محبة الله عَزَّوَجَلَّ لمن أناب إليه قوله عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عن قيل شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: (ودود): "ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يوده ويحبه"[٢].

وقال الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ: "الود: محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الود؛ لأن التمني هو تشهي حصول ما توده، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦]. فإشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفة المذكورة في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال:٦٣]. وفي المودة التي تقتضي المحبة المجردة في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾، فالودود يتضمن ما دخل في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]"[٣].

و﴿الْوَدُودُ﴾ مأخوذة من الود، والود هو خالص المحبة، فهو جلَّ وعلا ودود، ومعنى: (ودود) أنه محبوب، وأنه حاب، فهو يشمل الوجهين جميعًا.

فهو جَلَّ وَعَلَا واد يحب الأعمال، ويحب الأشخاص الصالحين، ويحب الأمكنة الفاضلة، وهو كذلك أيضًا مودود محبوب يحبه أولياؤه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (ص:٣٤٥- ٣٤٦).

(٢) تفسير الطبري (٤٥٦/١٠)، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٣٤٥٥/٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن، مادة: (ودد) (ص:٨٦٠- ٨٦١).

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]. فكلما كان الإنسان أتبع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أحب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

يعني أن محبة الله عَزَّ وَجَلَّ قد تتعلق بشخص معين مثل قول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في يوم خيبر: ((**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**)) الحديث(١). ولما بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا على سرية صار يقرأ لهم في الصلاة ويختم القراءة بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، فلما رجعوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبروه بذلك؛ لأن عمله هذا وهو أنه يختم القراءة بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ غير معروف، فقال: ((**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**))، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أخبروه أن الله يحبه**))(٢). فهنا المحبة تعلقت بشخص معين يحبه الله عَزَّ وَجَلَّ. وقد تكون محبة الله عَزَّ وَجَلَّ لمتصفين ببعض الأوصاف، مثل قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]. فهذه ليست في شخص معين، لكن في شخص موصوف بصفة.

كذلك يحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأماكن الفاضلة كما في الحديث: ((**أحب البقاع إلى الله مساجدها**))(٣).

---

(١) صحيح البخاري [٣٠٠٩، ٣٧٠٢]، مسلم [١٨٠٧، ٢٤٠٤، ٢٤٠٧].

(٢) صحيح البخاري [٧٣٧٥]، مسلم [٨١٣].

(٣) رواه مسلم في (صحيحه) [٦٧١] بلفظ: (البلاد) بدل البقاع. وفي (مسند البزار) عن جبير أن رجلًا قال: أي البلدان أحب إلى الله؟ وأي البلدان أبغض إلى الله؟ قال: ((لا أدري حتى أسأل جبريل))، فأتاه فأخبره: ((أن أحب البقاع إلى الله المساجد وأبغض البقاع إلى الله الأسواق)). والحديث أخرجه رواه أحمد، والبزار واللفظ له، وأبو يعلى، والحاكم، وقال: "صحيح الإسناد". قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٧٦/٤): "ورجال أحمد، وأبي يعلى، والبزار رجال الصحيح خلا عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو حسن الحديث، وفيه كلام". قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (٣٣٩/٤): "إسناده حسن".

وأخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن (مكة) أحب البقاع إلى الله عَزَّوَجَلَّ[1].[2].

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (صحيحه): الودود: الحبيب[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (النونية):

وهـو الـودود يُحِبـهـم ويُحِبـهُ ... أحبـابه والفضـل للمنان

وهو الذي جعـل المحبَّة في قلو ... بهـم وجـازاهم بحـب ثان

هذا هو الاحسان حقًا لا معا ... وضة ولا لتوقع الشـكران[4]

ثانيًا: ردُّ ما ادَّعته النصارى في شأن المحبة:

يزعم بعض النصارى أنَّ مرتبة المحبة في الكتاب المقدس عندهم فوق مرتبة المحبة في النصوص الإسلامية من حيث بيان علة الخلق.

وليس الأمر في حقيقته كذلك. ويعلم من التحقيق أن النصوص في الكتاب المقدس عندهم إنما حرِّفت؛ لإسقاط التكليف؛ فلذلك يعتري هذه النصوص الخلل من حيث دقة المعنى، ولا تَسْلَم من التصادم مع الفطرة الخالصة، والطبع السليم، ومع مبادئ العدل العامة، ومع ما وُصف الله عَزَّوَجَلَّ به من صفات الكمال، وكذلك فإنها لا تخلو من التصادم مع المسلمات العقلية.

---

(١) أخرجه الترمذي [٣٩٢٥] وقال: "حسن غريب صحيح". ونصه في (الترمذي): عن عبد الله بن عدي بن حمراء، قال: رأيت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ واقفًا على الحزورة فقال: ((والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)) هذا حديث حسن صحيح غريب. والحديث مروي عن عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه، وعن عبد الله بن عدي. حديث عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه: أخرجه الحاكم [٥٢١٠] وتعقب. حديث عبد الله بن عدي: أخرجه ابن أبي شيبة [٦٧٨]، وأحمد [١٨٧١٥]، وعبد بن حميد [٤٩١]، وابن ماجه [٣١٠٨]، والترمذي -كما تقدم-، وابن حبان [٣٧٠٨]، والحاكم [٤٢٧٠، ٥٢٢٠]، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٢) بتصرف عن (تفسير جزء عم)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص:١٣٨- ١٤٠).

(٣) تقدم.

(٤) من القصيدة النونية (ص:٢٠٨-٢٠٩).

ومن ذلك: هذه الدعوى. فكان لزامًا بيان وجه الحق، وتحقيق هذه المسألة.

أما الآية التي يزعمون أنها تفيد قصر عِلَّة الخلق عند المسلمين على إرادة العبادة فهي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. وقد كانت هذه الآية وما زالت مثار شغب عند بعض النصارى الذين لم يفقهوا حقيقة المعنى؛ ولذلك قالوا: إن علة الخلق عندهم: محض المحبة، وعند المسلمين: محض العبودية، وهو فهم قاصر؛ إذ إن قصر عِلَّة خلق الله عَزَّوَجَلَّ الإنس والجن على إرادته أن يعبدوه ليس قصرًا حقيقيًّا -كما سيأتي بيانه-، ولو كانت عِلَّة الخلق محض العبادة لخلق الله عَزَّوَجَلَّ البشر كالملائكة لا يفترون عن عبادته وتسبيحه.

وعندما قال الله عَزَّوَجَلَّ للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ كان جواب الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

ويفهم من مجموع النصوص المراد من الدينونة لله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة، والتي هي من علل الخلق كما في الآية.

إنَّ العبودية تحقُّق معنى التكليف، وهو الإذعان لشرعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ذلك الإذعان الذي يخرج المكلَّف إلى حدِّ الإنسانية؛ إذ إن العبادات والتكاليف الشرعية لها مقاصد سامية، وهي تحقق في العبد معنى التكليف، وهو الإذعان لشرعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ذلك الإذعان الذي يخرج المكلَّف إلى حدِّ الإنسانية، وإلى مقام العبودية، فالصَّلاة ليست مجرَّد حركاتٍ يؤديها الإنسان دون أن يكون لها الأثر النَّاجع في المكلَّف، فقد بيَّن الحقُّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أنها تورث المراقبة لله عَزَّوَجَلَّ، فتزكو نفس العبد، وتعلو همته، ويبتعد عما يسخط الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من قول أو فعل؛ لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله جَلَّ مراقبه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

"فالصلاة تطهر الروح، وتزكي النفس؛ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتربي في المصلي ملكة مراقبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وخشيته لدى الإساءة، وحبه والرجاء فيه عند الإحسان، وتذكره دائمًا بكماله المطلق، فتوجه همته دائمًا إلى طلب الكمال"(١).

و"النفوس في حاجة إلى مذكِّر يرقى بها إلى العالم الروحي، ويخلعها من عالم الحس، ويوجهها إلى مراقبة من برأها وفطرها حتى تطهر من تلك الأرجاس والأدران، وتترفع عن البغي والعدوان، وتميل إلى العدل والإحسان، ذلك المذكر هى الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتنفي الجزع والهلع عند المصايب، وتعلِّم البخيل الكرم والجود"(٢).

وقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الطهارة شرطًا للدخول في الصلاة، ومقدمة لها تطهر البدن وتنشطه، فيسهل بذلك العمل من عبادة وغيرها. وفيها تنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى.

وفي (الصحيح): عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسلُ منه كُلَّ يوم خمسَ مَرَّاتٍ، هل يَبْقَى من دَرَنِهِ شيءٌ؟**))، قالوا: لا يبقى من دَرَنِهِ شيء، قال: ((**فذلك مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْس، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخطايا**))(٣).

وكذلك سائر العبادات لها مقاصد سامية. فالصيام –مثلًا– يعزز شعور المراقبة فهو جُنَّة ووجاء. وقل مثل ذلك في سائر العبادات والتكاليف؛ فإن لها مقاصد تسمو بالمكلف، وتصلح أحواله.

والحاصل أن العبودية لله عَزَّوَجَلَّ شرفٌ وعزةٌ، وعطاء وإحسان، وقد وُصِف بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سياق ذكر حادثة (الإسراء). قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١].

---

(١) انظر: تفسير المنار (٦/ ٢١٤).

(٢) انظر: تفسير المراغي (٢/ ٢٠١).

(٣) صحيح البخاري [٥٢٨]، مسلم [٦٦٧].

ووصِفَ بها الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٣].

وَوَصْفُ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالعبوديَّة مشعرٌ بأنهم قد حصَّلوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة، والإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ التَّحققَ بالعبودية لله عَزَّوَجَلَّ يسمو بالروح، ويطهرُ النَّفْسَ، ويرتقي بالإنسان. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غنيٌّ عن عباده، وهم الفقراء إليه، وحاجتهم الدنيويَّة، وكذلك الأخرويَّة هي التي تحوجهم إلى هذه الدينونة له بالعبادة. وهذا مما لا يختلف فيه اثنان.

وأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن بلاغه إنما يعيه قوم عابدون في قوله: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٦].

"فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يأمر الخلق وينهاهم لا لأنه تضره معصيتهم، ولا تنفعه طاعتهم، بل نفع طاعتهم لهم وضرر معصيتهم عليهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]"(١).

وفي (صحيح مسلم): عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ أنه قال: ((**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**)) الحديث(٢).

أما العبودية للبشر فهي نقيصةٌ وذلٌّ؛ لأنَّ السيِّدَ يريد أن يأخذ خير عبده، وقد أرسل الله عَزَّوَجَلَّ الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد،

---

(١) أضواء البيان (١/ ٢٠٣).

(٢) صحيح مسلم [٢٥٧٧].

ومن الظلمات إلى النور، والناس سواسية لا فضل لأحد إلا بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ، فلا ينبغي لمسلم قد رسخت في نفسه العقيدة الصحيحة أن يذل نفسه إلا لله عَزَّوَجَلَّ.

ومن حِكَم الخلق: الابتلاءُ والاختبار(١). قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُٱللَّهُ: "التحقيق -إن شاء الله- في معنى هذه الآية الكريمة: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: إلا لآمرهم بعبادتي وأبتليهم، أي: أختبرهم بالتكاليف، ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق في معنى الآية؛ لأنه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فقد صرح سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملًا، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم.

قال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في أول (سورة هود): ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧]. ثم بين الحكمة في ذلك فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود:٧].

وقال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في أول (سورة الملك): ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]. وقال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في أول (سورة الكهف): ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:٧] .

فتصريحه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق، هي ابتلاؤهم أيهم أحسن عملًا، يفسر قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾، وخير ما يفسر به القرآنَ: القرآنُ.

---

(١) الشَّرع فيه تكاليف، وفيه ما يَشُقُّ على النُّفُوس، وهذا هو السَّبب في تسمية الأحكام بالتَّكليف؛ لأنَّ الجنة حُفَّت بالمكاره، وقد يكون ذلك في بداية الأمر، فإذا اعتاده وأدرك ما فيه من المصلحة والصِّلة والمقصد فإنَّه يتلذَّذ بالطَّاعة. والتكليف من أهم مستلزمات العبودية لله ﷻ؛ إذ لا معنى للعبودية لله ﷻ إن لم يكن ثمة تكليف. وقد استلزم التكليف تحمل المشاق ومجاهدة النفس والأهواء. ولو ترك الناس لدعوى الإسلام ومحبة الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ على ألسنتهم فقط، لاستوى الصادق والكاذب. ولكن الفتنة والابتلاء، هما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الم ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:١-٣].

ومعلوم أن نتيجة العمل المقصود منه لا تتم إلا بجزاء المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.."[١].

ويعلم من مجموع النصوص أن القصر في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ليس قصرًا حقيقيًّا. وقد بيَّن ذلك الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (تفسيره) فقال: "فالحصر المستفاد من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قصر علة خلق الله ﷻ الإنس والجن على إرادته أن يعبدوه. والظاهر أنه قصر إضافي، وأنه من قبيل قصر الموصوف على الصفة، وأنه قصر قلب[٢] باعتبار مفعول: ليعبدون، أي: إلا ليعبدوني وحدي، أي: لا ليشركوا غيري في

---

(١) انظر: أضواء البيان (٧/ ٤٤٥- ٤٤٦).

(٢) القصر إما حقيقيٌّ، وهو أن يختصَّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بألا يتعدَّاه إلى غيره أصلًا، نحو: (لا إله إلَّا الله)، فإنّنا نقصر وصف الإلهية الحق على موصوف هو الله وحده، هذا من قصر الصفة على الموصوف، وهو قصر حقيقي. وإما إضافيٌّ، وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه، نحو: (ما خليل إلَّا مسافر)، فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره، كمحمود مثلًا وليس قصدك أنه لا يوجد مُسافر سواه؛ إذ الواقع يشهد ببطلانه. وينقسم القصر باعتبار طرفيه: (المقصُور والمقصور عليه) -سواء أكان القصر حقيقيًّا أم إضافيًّا إلى نوعين: (أ) قصر صفة على موصوف: هو أن تحبس الصفة على موصوفها وتختص به، فلا يتَّصف بها غيره، وقد يتَّصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات. مثاله من الحقيقي: (لا رازق إلَّا الله). ومثاله من الإضافي، نحو: (لا زعيم إلَّا سعد). ب. قصر موصوف على صفة، هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختصّ بها، دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها. مثاله من الحقيقي، نحو: (ما الله إلَّا خالق كلّ شيءٍ). ومثاله من الإضافي، قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران:١٤٤]. وينقسم القصر الإضافي بنوعيه السابقين على حسب حال المخاطب إلى ثلاثة أنواع. (أ) قصر إفراد: إذا اعتقد المخاطب الشركة، نحو: ﴿إنما اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء:١٧١] ردًّا على من اعتقد أنَّ الله ثالث ثلاثةٍ. (ب) قصر قَلب: إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته نحو: (ما محمد إلا قائم) في الموصوف على الصفة لمن يعتقد اتصافه بالقعود دون القيام، ونحو قولنا: (ما تاجر إلَّا محمد) في قصر الصفة على الموصوف لمن يعتقد أن التَّاجر عبد الله. وسمى قصر قلب؛ لأنه يقلب -أي: يعكس- حكم المخاطب الذي كان معتقدًا إياه ويثبت له غيره. (ج) قصر تعيين: إذا كان المخاطب يتردّد في الحكم: نحو قولنا: (ما محمد إلَّا مدرس) ولا يعرف على التعيين وظيفته، وذلك في قصر الموصوف على الصفة. ومثل قولنا: (ما مزارع إلَّا إبراهيم) وذلك في قصر الصفة على الموصوف لمن ظن أن المزارع إما=

العبادة، فهو رد للإشراك، وليس هو قصرًا حقيقيًّا؛ فإنا وإن لم نطلع على مقادير حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من خلق الخلائق، لكنا نعلم أن الحكمة من خلقهم ليست مجرد أن يعبدوه؛ لأن حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أفعاله كثيرة لا نحيط بها. ألا ترى أن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر حكمًا للخلق غير هذه، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨- ١١٩] بَلْهَ[1] ما ذكره من حكمة خلق بعض الإنس والجن كقوله في خلق عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ [مريم:٢١]"[2].

والحاصل أن لله عَزَّوَجَلَّ حِكَمًا من الخلق عُلِمَ بعضها.

والإنسان السوي المتحقق بمعنى الإنسانية من خلال السير على النهج الذي جاء به الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يحبه. وهو يحبُّه؛ لإحسانه؛ ولرجوعه إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإنابته. بل ويعنيه على سلوك طريق الهداية، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]، ويحبُّه؛ لطهارته؛ ولاحترازه عن المعاصي؛ ولتوكله على الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولعدله، ولمحبته لإخوانه...الخ.

فإذا خالف منهج الله عَزَّوَجَلَّ فاعتدى أو ظلم، أو أفسد في الأرض، أو كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، أو تكبَّر، أو خان، أو جهر بالسوء، أو أسرف، أو بطر فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يحبه؛ لفعله ذلك.

ويزعم النصارى أنَّ علَّة الخلق: محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعالم، ويستدلون بما جاء في (يوحنا) [١٦:٣]: "لأني أحبك أرسلت ابني الوحيد؛ ليموت كفارة عن خطاياك..؛ لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد؛ لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"اهـ.

=إبراهيم أو أحمد من غير أن يعرفه على التعيين. وسمي قصر تعيين؛ لأنك عينت له إحدى الصفتين وأبقيت الأخرى أو أحد الوصفين وأبقيت الآخر.

(١) (بَلْهَ) بمعنى: دع عنك أو فضلًا عن...، وهي مبنية على الفتح، وقيل: معناها سوى.

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/٢٧).

وبصرف النظر عن قضية الفداء هذه، ومدى مناقضتها لمبدأ العدالة، وانتقاصها من قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فهي في هذا النص محبة لمن آمن به، ويفهم من المخالفة هلاك من لم يؤمن. فهل يحب من يهلك؟ وإذا كان الأمر كذلك فَلِمَ خلق أصلًا؟ أو قل: ما علَّة خلقه؟ ومن الذي أهلكه؟ وهل يهلك المحبُّ محبوبَه؟ وهل مجرَّد الإيمان يكفيه للنجاة؟ وما شأن من آمن وهو من المفسدين؟

"وقد وقع في التوراة والإنجيل التعبير بأبناء الله ففي (سفر التثنية) [١٤/١] أول الفصل الرابع عشر قول موسى: "أنتم أولاد للرب أبيكم". وأما الأناجيل فهي مملوءة بوصف الله تعالى بأبي المسيح، وبأبي المؤمنين به، وتسمية المؤمنين: (أبناء الله) في (متى) في (الإصحاح الثالث) [١٧/٣]: "وصوت من السماء قائلًا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت". وفي (الإصحاح الخامس) [٩/٥]: "طوبى لصانعي السلام؛ لأنهم أبناء الله يدعون". وفي الإصحاح السادس [٢٦/٦]: "وأبوكم السماوي يقوتها". وفي (الإصحاح العاشر) [٢٠/١٠]: "لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم". وكلها جائية على ضرب من التشبيه، فتوهمها دهماؤهم حقيقة، فاعتقدوا ظاهرها.

وقد ردَّ الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذه الدَّعوى بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨].

وعطف: ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ على ﴿أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أنهم قصدوا أنهم أبناء محبوبون؛ إذ قد يكون الابن مغضوبًا عليه.

وقد علَّم الله عَزَّوَجَلَّ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبطل قولهم بنقضين:

أولهما: من الشريعة، وهو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ يعني: أنَّهم قائلون بأن نصيبًا من العذاب ينالهم بذنوبهم، فلو كانوا أبناء الله عَزَّوَجَلَّ وأحباءه لما عذبهم بذنوبهم، وشأن المحب أن لا يعذب حبيبه، وشأن الأب أن لا يعذب أبناءه. روي أن الشبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سأل أبا بكر بن مجاهد: أين تجد في القرآن أن المحب لا

يعذب حبيبه؟ فلم يهتد ابن مجاهد، فقال له الشبلي في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾(١).

وليس المقصود من هذا أن يرد عليهم بوقوع العذاب عليهم في نفس الأمر، من تقدير العذاب لهم في الآخرة على كفرهم؛ لأن ذلك لا يعترفون به فلا يصلح للرد به؛ إذ يصير الرد مصادرة(٢)، بل المقصود: الرد عليهم بحصول عذاب يعتقدون حصوله في عقائد دينهم، سواء كان عذاب الآخرة أم عذاب الدنيا. فأما اليهود فكتبهم طافحة بذكر العذاب في الدنيا والآخرة(٣)، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الذي قاله حسن، وله شاهد من السنة. وسيأتيك بيان ذلك.

(٢) يعني: مصادرة على المطلوب. هي عبارة عن أقوال، أو مبادئ، أو قضايا يفترض الباحث صحتها في أوَّل بحثه، وهي قضايا ليست يقينية بنفسها كما لا يمكن أن يُبَرْهن عليها، ولكن يصادر عليها، أي: يطالب بالتسليم بها؛ لأن من الممكن أن نستنتج منها نتائج لا حصر لها دون الوقوع في إحاله، فصحَّتُها إذن لتبيِّن من نتائجها، أما مصطلح: (المصادرة على المطلوب) عند المناطقة والأصوليين، فالمراد به أن تجعل النتيجة جزء القياس أو تلزم النتيجة من جزء القياس نحو: الإنسان بشر، وكل بشر ضحاك فينتج أن: الإنسان ضحاك.

(٣) وهاك بعض النصوص في (الكتاب المقدس) عندهم التي تدل على العذاب، فقد ورد في سفر (متى) [١٨:٨]: "فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية، ولك يدان أو رجلان"، [١٨:٩] "وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان". وفي (أشعياء) [٢٤:٦٦]: "ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا عليَّ؛ لأن دودهم لا يموت، ونارهم لا تطفأ، ويكونون رذالة لكل ذي جسد". وفي إنجيل (مرقس) [٤٣:٩]: "وإن أعثرتك يدك فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم إلى النار التي لا تطفأ، [٤٤:٩]: حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ، [٤٥:٩]: وإن أعثرتك رجلك فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح في جهنم في النار التي لا تطفأ [٤٦:٩]: حيث دودهم لا يموت، والنار لا تطفأ، [٤٧:٩]، وإن أعثرتك عينك فاقلعها خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار، [٤٨:٩]: حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ". وفي (متى): [٤٩:١٣]: "هكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار، [٥٠:١٣] ويطرحونهم في أتون النار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان". وفي (متى) [٤١:٢٥]: ثم يقول أيضًا للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته". وفي (رؤية يوحنا اللاهوتي) [١٠:٢٠]: "وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي=

إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]. وأما النصارى فلم أر في الأناجيل ذكرًا لعذاب الآخرة إلَّا أنهم قائلون في عقائدهم بأن بني آدم كلهم استحقوا العذاب الأخروي بخطيئة أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجاء عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ مخلصًا وشافعًا، وعرض نفسه للصلب؛ ليكفر عن البشر خطيئتهم الموروثة، وهذا يلزمهم الاعتراف بأن العذاب كان مكتوبًا على الجميع لولا كفارة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فحصل الرد عليهم باعتقادهم به بله اعتقادنا.

ثم أخذت النتيجة من البرهان بقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾، أي: ينالكم ما ينال سائر البشر. وفي هذا تعريض أيضًا بأن المسيح بشر؛ لأنه ناله ما ينال البشر من الأعراض والخوف، وزعموا أنه ناله الصلب والقتل[1].

وفي (إنجيل متى): [٥:٤٣]: "سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك، [٥:٤٤]، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم".

هذا ما يستدل به النصارى على المحبة، ولكن هذا الاستدلال يعتريه الخلل من أكثر من جانب، فمن ذلك: أنهم يعتقدون بألوهية المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فعندما يقول: "سمعتم أنه قيل" يعني أنه كان فيما سبق، فمن الذي أمر به؟ إن الإله لا يتغير ولا يختلف قوله؛ ففي (سفر ملاخي) [٣:٦]: "لأني أنا الرب لا أتغير فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا".

فكيف يأتي المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ الآن فيقول: "سمعتم أنه قيل". أليس هو الذي أمر وقال؟!

=الكذاب وسيعذبون نهارًا وليلًا إلى أبد الآبدين". وفي (متى) [٥:٢٢]: "وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلًا يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه: رقا يكون مستوجب المجمع، ومن قال: يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم". فقد ذكرت جهنم في (الكتاب المقدس) عندهم في (متى) [٥:٢٢]، [٥:٢٩]، [٥:٣٠]، [١٠:٢٨]، [١٨:٩]، [٢٣:٣٣]، [٤٣:٩]، [٤٤:٩]، [٤٥:٩]، [٤٧:٩]، وفي (لوقا): [١٢:٥]، وفي (رسالة يعقوب): [٣:٦]، وفي (رسالة بطرس الثانية): [٢:٤]، فضلًا عن ذكر النار.

(١) التحرير والتنوير (٦/١٥٥-١٥٦).

وفي (سفر التثنية): [٨:١٣]: "فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له و لا تستره". وفي (سفر التثنية) كذلك: [٢١:١٩]: "لا تشفق عينك نفس بنفس عين بعين سن بسن يد بيد رجل برجل".

وفي (سفر حزقيال): [٤:٩] "وقال له الرب: اعبر في وسط المدينة في وسط أورشليم، وسم سمة على جباه الرجال الذين يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة في وسطها [٥:٩]: وقال لأولئك في سمعي: اعبروا في المدينة وراءه واضربوا لا تشفق أعينكم ولا تعفوا، [٦:٩]: الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء، اقتلوا للهلاك، ولا تقربوا من إنسان عليه السمة، وابتدئوا من مقدسي فابتدأوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت".

فهل للكون إلاهان (إله للعهد القديم، وآخر للعهد الجديد)؟

وفي (متى): "[١٧:٥] لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل". فالنقض مردود بالنص عندهم.

وما ورد في إنجيل (متى) من قوله: "أحبوا أعداءكم" يفتقر إلى تحقيق نسبة القول إلى قائله؟ ومن ثم كيف تفهم النصوص المخالفة من غير تحميلها أو تحميله ما لا تحتمله أو يحتمله من التأويل؟! فإن لم يكن ثمة ضوابط للتأويل فليقل من شاء ما شاء.

وجاء في (رسالة يوحنا الرسول الثانية): "[١٠:١] إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له: سلام، [١١:١]؛ لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة".

وفي (متى): "[٣٤:١٠]: لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الارض، ما جئت لألقي سلامًا، بل سيفًا".

ومن قبل داود يبغض أعداؤه باعتبار أنهم مبغضوا الرب، ويطلب من الله عَزَّوَجَلَّ أن يقتل الأشرار

(سفر المزامير): "[١٤:٣٧] الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمي المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم، [١٥:٣٧] سيفهم يدخل في قلبهم، وقسيهم

تنكسر، [١٦:٣٧] القليل الذي للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين، [١٧:٣٧]؛ لأن سواعد الأشرار تنكسر، وعاضد الصديقين الرب، [١٨:٣٧] الرب عارف أيام الكملة، وميراثهم إلى الأبد يكون، [١٩:٣٧] لا يخزون في زمن السوء، وفي أيام الجوع يشبعون؛ [١٩:٣٧]؛ لأن الاشرار يهلكون، وأعداء الرب كبهاء المراعي فنوا كالدخان فنوا".

وفي (سفر المزامير): "[١٣٩: ١٩] ليتك تقتل الأشرار يا الله، فيا رجال الدماء إبعدوا عني، [١٣٩: ٢٠] الذين يكلمونك بالمكر ناطقين بالكذب هم أعداؤك، [١٣٩: ٢١] ألا أبغض مبغضيك يا رب، وأمقت مقاوميك، [١٣٩:٢٢] بغضًا تامًّا، أبغضتهم صاروا لي أعداء".

فهذا تصريح ببغض الأعداء. هذا هو رب المحبة كما يطلقون عليه، ونحن نتساءل ما موقف الكنيسة من الحروب الصليبية التي قتلت ملايين المسلمين؟ فهل هي من آثار فهم النصوص في (الكتاب المقدس)؟ وأين الكنيسة من ذلك؟ وهذا تصادم بين المحبة العامة –أعني: التي تعم كل مخلوق حتى الأعداء–، وبين الواقع والفطرة، ويتنافى مع الحكمة من الاختبار في الدنيا.

يحدثنا الكتاب المقدس عن الأوامر المنسوبة لله تعالى، والتي تبين شروط القتال والحصار وأخذ السبايا. وتبين وجوب قتل الأطفال والنساء والشيوخ وحتى الحيوان ، كما تبين القصص التي حدثت وكيف شقوا بطون الحوامل بأمر الرب إلههم، إله المحبة؟!

وهاك النصوص: ففي (التثنية): "[١٦:٢٠] وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبق منها نسمة ما".

وفي (العدد): "[٣١-١٥] وقال لهم موسى: هل أبقيتم كل أنثى حية؟ [١٦:٣١] إن هؤلاء كن لبني اسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في امر فغور فكان الوبا في جماعة الرب، [١٧:٣١] فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلًا بمضاجعة ذكر اقتلوها، [١٨:٣١] لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيات".

وفي (يشوع): "[٦:٢٠]: فهتف الشعب، وضربوا بالأبواق، وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافًا عظيمًا، فسقط السور في مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه، وأخذوا المدينة، [٦:٢١]، وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف".

تأمل الأمر بقتل من هو في بطن الحامل والنساء والأطفال والشيوخ والبقر والغنم والحمير!!

وفي (يشوع): "[١١:٩] ففعل يشوع بهم كما قال له الرب؛ عرقب خيلهم، وأحرق مركباتهم بالنار، [١١:١٠] ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ حاصور وضرب ملكها بالسيف؛ لأن حاصور كانت قبلًا رأس جميع تلك الممالك، [١١:١١] وضربوا كل نفس بها بحد السيف حرموهم ولم تبق نسمة، وأحرق حاصور بالنار، [١١:١٢] فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها، وضربهم بحد السيف، حرمهم كما أمر موسى عبد الرب".

فإن قيل: إن المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يأمر بالقتل؛ يقال: إن المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يأت بدين جديد، وإلا وقع الاختلاف والتناقض في التشريع الإلهي.

وفي (متى) ما يقرر عدم الاختلاف حيث قال المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: "[٥:١٧]: لا تظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض، بل لأكمل".

ويتبين لك مما سبق ومما سيأتي عناية النصوص في الإسلام بالمحبة التي لا تتناقض مع الفطرة، ومع الحكمة من الخلق، بما لا يتناقض مع الواقع في الحال والمآل، ويتبين لك ما يعتري النصوص في الكتاب المقدس من الاختلاف الذي إن دلَّ فإنما يدل على تحريف تلك النصوص واختلافها.

والنصوص في القرآن والسنة الواردة في المحبة لا تكاد تحصى، مما يدل على مدى العناية بالمحبة، وبيان أنها أساس الاتباع، وإحدى أركان العبادات القلبية، بل رأسها.

تأمل قول النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا**)) الحديث(1). ثم اعقد موازنة بين النصوص الآنفة وبين ما وصَّى به النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمته. فقد حُرِّم في الإسلام: قتلُ الأطفال والنساء والشيوخ، والغدر والتمثيل بالميت، وقتل الرهبان في كنائسهم، وقطع الأشجار أو حرقها، وكذلك قتل البهائم.

وفي وصية الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "أوصيكم بتقوى الله، لا تعصوا، ولا تغلوا، ولا تجبنوا، ولا تغرقوا نخلًا، ولا تحرقوا زرعًا، ولا تحبسوا بهيمة، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تقتلوا شيخًا كبيرًا، ولا صبيًّا صغيرًا، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم للذي حبسوها فذروهم وما حبسوا أنفسهم له.."(2)..إلى غير ذلك. ولهم في بعض ما تقدم من النصوص تأويلات كما أسلفت، ولكنا نتساءل دائمًا عن ضوابط التأويل والفهم عندهم! وهل تخرج عن حدود النص؟ وكيف لنا أن نخضع ذلك التأويل للاختبار؟ وما هو قانون المحاكمة وآليات التأويل التي لا يختلف عليها أحد؟

قال ابن العربي رَحِمَهُٱللَّهُ: "ثبت النهيُ عن قتل البهيمة بغير حق، والوعيد في ذلك، فكيف بِقَتل الآدمي؟ فكيف بالمسلم؟ فكيف بالصالح؟!"(3).

والحاصل أن المحبة في الإسلام لا تنافي الابتلاء.

وقد يظن البعض أن الابتلاء لا يتلاءم مع المحبة وليس كذلك، فقد أحبَّ الله عَزَّوَجَلَّ أنبيائه عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، فاصطفاهم على العالمين، لكن هذا لم يمنع من أن يقعوا تحت البلاء، فالابتلاء فيه رفع للدرجات، وتكفير للسيئات، وتصفية للنفس، وارتقاء بالمحبة. وسيأتي بيانه في الشواهد على محبَّة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للعبد الصالح.

---

(١) صحيح مسلم [١٧٣١].

(٢) مسند أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لأبي بكر أحمد بن علي المروزي، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط (ص:٧١-٧٢)، و(ابن زنجويه) كما في (كنز العمال) [١٤١١]، وأخرجه ابن عساكر (٢/٥٠)، فوائد ابن أخي ميمي الدقاق [٥٤٩]، الكامل في التاريخ (٢/١٩٦).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١٢/١٨٩)، فيض القدير (٤/٥٠٦).

ولكن من الخطأ ركونُ الإنسان إلى أن الله عَزَّوَجَلَّ يحبه فيفعل ما بدا له. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]. وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧]. وقد فتح الله عَزَّوَجَلَّ للعصاة باب التوبة، فتحقق مفهوم التكليف والاختيار، والتمحيص بالابتلاء.

أما المحبة عند النصارى فهي مناقضة للفطرة، فهي قائمة على الفداء المزعوم، فهل تغير العالم بعده؟ وما شأن من مات قبله؟ وهل انتهت مشكلة الفقر والأمراض والحوادث والفقر والظلم بعده؟

وما شأن من آمن به وفعل ما فعل من الجرائم والقبائح والإفساد؟! قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء:١٢٣-١٢٤]، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:١٦٤]. فهذا هو الأساس العادل في الحكم؛ فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يبتلي الله عَزَّوَجَلَّ من شاء من عباده بما شاء من البلاء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥]، فمن رضي بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ كان له من الله عَزَّوَجَلَّ الرضا، ومن سخط فعليه السخط.

وقد يبتلي الله جَلَّ جَلَالُهُ عبادَه بسبب ذنوبهم فيصيبهم بالبأساء والضراء؛ لعلَّهم يذكرون، فيتوبون، ويتضرَّعون ويلتجئون إليه سبحانه، كما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام:٤٢].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فعلنا ذلك بهم؛ ليتضرعوا إليَّ، ويخلصوا لي العبادة، ويفردوا رغبتهم إليَّ دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إلي بالإنابة"(١).

ومن أعظم أسباب البلاء: الذُّنوب والمعاصي، فقد يكون ما أصابك من مصائب بسبب ذنبٍ أتيته، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران:١١]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

ويكشفُ البلاءُ بالتوبة والاستغفار والرجوع إلى الله ﷻ، فما نزل بلاء إلا بذنبٍ، ولا رُفِع إلا بتوبة، وليس بفداءِ الغير، أو بالاعتراف أمام القس.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق:٢-٣]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝﴾ [الطلاق:٤].

ثالثًا: الشواهد على محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للعبد الصالح:

إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يحبُّ الصفات الحميدة، وقد اقترنت محبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمن تحلَّى بها، وهي من المكرمات والفضائل والأخلاق السامية. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحبُّ للمسلم

---

(١) تفسير الطبري (١١/٣٥٥).

معالي الأمور، ويكره له سفاسفها، كما جاء في الحديث: ((**إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأمور، ويكره سفسافها**))(1).

وبالمقابل فإنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد كره له المعاصي والصفات الذميمة.

فعلامة محبة الله عَزَّوَجَلَّ بالنسبة للمكلف: (تحلية وتخلية).

أي: بقدر تحلي العبد بالصفات الحميدة، وتخليه عن الصفات الذميمة تحصل وتعظم محبة الله عَزَّوَجَلَّ له.

والنصوص في الكتاب والسنة دالة على الصفات الحميدة التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ، والتي ينبغي على المكلف أن يلتمسها، ويتصف بها، ودالة كذلك على الصفات المذمومة التي ينبغي أن يحترز عنها. وإليك بيان ذلك:

١ - التحلي بالصفات الحميدة(2) التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ:

وينبغي هنا التفريق بين حب الله عَزَّوَجَلَّ للصفة، وحبه للمتصف بها؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد يحب صفة ما ولا يحب المتصف بها؛ لما اتصف من أوصاف أخرى أو فعل ما يمنع عنه محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن الصفات الحميدة التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) الحديث مروي عن سهل بن سعد، وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعي مرسلًا. حديث سهل بن سعد: أخرجه الطبراني [٥٩٢٨]، قال الهيثمي (١٨٨/٨): "رجاله ثقات". كما أخرجه ابن قانع (٢٦٩/١)، والطبراني في (الأوسط) [٢٩٤٠]، والحاكم [١٥١]، وأبو نعيم في (الحلية) (٢٥٥/٣)، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٧٦٤٧]. قال الحافظ العراقي في (المغني عن حمل الأسفار) (ص:١١٥٠): "إسناده صحيح". حديث طلحة بن عبيد الله: أخرجه عبد الرزاق عن معمر في (الجامع) [٢٠١٥٠]، وابن أبي شيبة [٢٦٦١٧]، والبخاري في (التاريخ الكبير) (٣٤٧/٤)، والخرائطي في (المكارم) [٥٧٢]، والحاكم [١٥٣].

(٢) يعني: (في ذاتها)، والتعبير بالحميدة أصح من التعبير بالمحمودة؛ لأن الفطر قد تنتكس فيحمد الناس ما ليس حميدًا في ذاته.

أ. الإحسان:

جاء في الحديث: ((**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**))[1]. إن الإحسان على مرتبتين -كما في الحديث-:

الأولى: أن تعبد الله كأنك تنظر إليه من شدة اليقين والإيمان.

والمرتبة الثانية: وهي أقل منها، أن تعبد الله عَزَّوَجَلَّ وأنت تعلم أنه يراك ويطلع عليك، فلا تعصيه ولا تخالف أمره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. وهذه مرتبة الإحسان، وهي أعلى مراتب الدين، وقبلها مرتبة الإيمان، وقبلها مرتبة الإسلام. والله يحب المحسنين كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

ويشمل مفهوم الإحسان: إحسان الإنسان إلى نفسه، وذلك بحملها على ما فيه الخير والصلاح والفلاح لها في الحال والمآل، كما تشمل الإحسان للوالدين والأقربين والزوجة والأولاد، وكذلك الإحسان إلى الناس جميعًا، بتقديم العون والنصح، وحسن المعاملة، والمساهمة في أعمال الخير، كما لا يقف مفهوم الإحسان في الإسلام على إحسان المرء لنفسه، وللآخرين من أبناء جنسه، ولكنه يعم كذلك الإحسان إلى الحيوانات كما جاء بيان ذلك في النصوص.

ب. التوبة والتطهر من الأنجاس الحسية والمعنوية:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]. فقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ يعني: من الذنوب، و﴿ويحب المتطهرين﴾ أي: من الأقذار، فالتطهر شامل للطهارتين الحسية والمعنوية، أي: المتطهرين من الأقذار والأحداث، ومن الفواحش والمنكرات.

ومن نعم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على عباده أنه نزل عليهم من السماء ماء يتطهرون به. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:٤٨]. ووصف الماء به؛ إشعار بتمام النعمة فيه، وتتميم للنعمة فيما بعده؛ فإنَّ الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما

(١) صحيح البخاري [٥٠، ٤٧٧٧]، مسلم [٨، ٩].

يزيل طهوريته، وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم أحق بذلك وأولى(1).

والتوبة: طهارة للنفس من دَرَن المعاصي، ولا بدَّ فيها من الندم على ما فعل في الماضي، والترك في الحاضر، والعزم على أن لا يفعل مثله في المستقبل. و(التوابون) هم الذين كلما أذنبوا تابوا. قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]. قال ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال، لا من حيث أضر ببدن أو مال، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان، والعزم أن لا يعود إليه أبدًا، ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزمًا مجدَّدًا، وآدابها ثلاثة: الاعتراف بالذنب مقرونًا بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والإكثار من الحسنات؛ لمحو ما تقدم من السيئات، ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر، وتوبة المخلطين من الذنوب الكبائر(2)، وتوبة العدول من الصغائر، وتوبة العابدين من الفترات، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات. والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم بالمقام، وشكر الإنعام"(3).

ج. الاتباع:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٤/ ١٢٧)، تفسير أبي السعود (٦/٢٢٤).

(٢) المخلطين: الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا.

(٣) تفسير ابن جزي (٢/ ٦٨).

الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ [آل عمران:٣١- ٣٢]. إن حب الله عَزَّوَجَلَّ ليس دعوى باللسان، ولا هيامًا بالوجدان، إلا أن يصاحبه الاتباع لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسير على هداه، وتحقيق منهجه في الحياة. وإن الإيمان ليس كلمات تقال، ولا مشاعر تجيش، ولا شعائر تقام، ولكنه طاعة لله عَزَّوَجَلَّ والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمل بمنهج الله عَزَّوَجَلَّ الذي يحمله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في (تفسيره) عن الآية الأولى: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في (الصحيح): عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**))(١).

وقال عن الآية الثانية: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، "أي: تخالفوا عن أمره، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب لله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين -الجن والإنس-، الذي لو كان الأنبياء -بل المرسلون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بل أولو العزم منهم- في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه، والدخول في طاعته، واتباع شريعته"(٢).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة، وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أن الإسلام أمر وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهرًا وباطنًا"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) [٢٦٩٧]، ومسلم [١٧١٨].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢/٢).

(٣) زاد المعاد (٥٥٨/٣).

فمن يدعي محبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عليه أن يقيم البينة، والبينة هي الاتباع وليست الابتداع. قال الآمدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومحبة الله عَزَّوَجَلَّ واجبة، والآية دلت على أن متابعة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لازمة؛ لمحبة الله الواجبة، ويلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم، وهو ممتنع"(١).

د. التقوى:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦].

والتقوى: صيانة المرء نفسه عما يضر في الآخرة، والمراتب متعددة؛ لتعدد مراتب الضرر(٢).

فإذا عمل العبد بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ أحبه الله، فإذا أحبه الله عَزَّوَجَلَّ حببه إلى عباده، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغضه إلى عباده، كما روي في الأثر عن أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

هـ. الصبر:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٧٦). إن بين الملزوم واللازم تناسبٌ عكسيٌّ بالنِّسبة للوجود والعدم. وتصوير المسألة: أن نقول مثلًا: الشَّمس ملزوم، والضُّوء لازم، فكلَّما وجدت الشَّمس وجد الضُّوء، فيلزم من وجود الملزوم وجود اللازم، وليس كلَّما انعدمت الشَّمس انعدم الضَّوء. كأن يأتي الضُّوء من القمر مثلا أو الكهرباء، فلا يلزم من عدم الملزوم عدم اللازم. والعكس بالنِّسبة للازم. نقول: يلزم من عدم اللازم عدم الملزوم، فيلزم من عدم الضُّوء عدم الشَّمس، ولا يلزم من وجود اللازم وجود الملزوم، فلا يلزم من وجود الضُّوء وجود الشَّمس.

(٢) انظر: روح المعاني (١/١١١).

(٣) أخرجه معمر بن راشد في (الجامع) [١٩٦٧٥]، والبيهقي في (الزهد الكبير) [٧٩٧]، وفي (الأسماء والصفات) [١٠٤١]، وذكره البغوي في (شرح السنة) (١٣/٥٦).

والصبر: حبس النفس على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، أو عن معصيته، أو على أقداره المؤلمة(١).

و. التوكل:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

التوكل: تفويض الأمر إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والاعتماد عليه مع الأخذ بالأسباب المشروعة؛ لتحصيل المنافع ودفع المضار، وهو بخلاف التواكل الذي هو اعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ في الرزق وفي كل شؤون الحياة من غير أخذ بالأسباب المشروعة.

ز. العدل والقسط:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢].

العدل: وضع الأمور في مواضعها، وإعطاء كل ذي حق حقه، والقسط: العدل، وبه قوام الدنيا والدين، وسبب صلاح العباد والبلاد.

ح. التواضع والرحمة للمؤمنين، والعزة على الكافرين:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ﴾ [المائدة:٥٤].

ففي هذه الآية ذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ صفات القوم الذين يحبهم، فهم رحماء لأهل دينهم وإخوانهم من المؤمنين، وأقوياء على أعدائهم الكافرين، يبلغون رسالات الله عَزَّوَجَلَّ ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين (٢/ ٢٨٠)، وانظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٧٤).

ط. الثبات أمام العدو صفوفًا كالبنيان المرصوص:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]. فليس هو مجرد القتال، ولكنه هو القتال في سبيله، والقتال في تضامن مع الجماعة المسلمة داخل الصف، والقتال في ثبات وصمود.

ي. الابتلاء بالمصائب والكوارث:

ومن علامة حب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للعبد المؤمن: صبره ورضاه على ما يصيبه من الكوارث، وما يقع عليه من الابتلاء؛ ففي الحديث: ((**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، والصبر عند الصدمة الأولى، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط**))(١). فالمصائب والبلاء امتحانٌ للعبد، وهي علامة على حب الله عَزَّوَجَلَّ له.

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "((**وإن الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم**)) بأنواع البلايا؛ حتى يمحصهم من الذنوب، ويفرغ قلوبهم من الشغل بالدنيا، غيرة منه عليهم أن يقعوا فيما يضرهم في الآخرة. وجميع ما يبتليهم به من ضنك المعيشة، وكدر الدنيا، وتسليط أهلها؛ ليشهد صدقهم معه، وصبرهم في المجاهدة. قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]"(٢).

وفي الحديث: ((**إذا أحبَّ الله قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع**))(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه [٤٠٣١]، والترمذي [٢٣٩٦]، وقال: "حسن غريب"، وأخرجه أيضًا: القضاعي [١١٢١]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٩٣٢٥] عن أنس.

(٢) فيض القدير (٢٤٦/١).

(٣) أخرجه أحمد في (مسنده) عن محمود بن لبيد [٢٣٦٢٣، ٢٣٦٣٣، ٢٣٦٤١]. قال الهيثمي (٢٩١/٢): "رواه أحمد ورجاله ثقات". كما أخرجه: البيهقي في (شعب الإيمان) [٩٣٢٧]. قال الحافظ في=

وفي الحديث: ((**إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذَنْبه حتى يُوَافي به[1] يوم القيامة**))[2]، أي: حتى يأتي العبد بذنبه يوم القيامة حاملًا له على كاهله، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٢٧].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعينه ويصبره على ما أصابه من البلاء كما في الحديث: عن إبراهيم بن مهدي السلمي عن أبيه، عن جده -وكانت له صحبة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((**إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة، لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده**))

=(الفتح) (١٠/١٠٨): "رواته ثقات إلَّا أن محمود بن لبيد اختلف في سماعه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد رآه وهو صغير، وله شاهد من حديث أنس عند الترمذي وحسنه".

(١) قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي: لا يجازيه بذنبه حتى يجيء في الآخرة متوفر الذنوب وافيها، فيستوفي حقه من العقاب" وفي لفظ: ((حتى يوافيه)) أي: يجازيه جزاء وافيًا. ((به)) أي: بذنبه. قال الطيبي: الضمير المرفوع راجع إلى الله تعالى، والمنصوص إلى العبد، ويجوز أن يعكس اهـ. قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: ولعل الموافاة حينئذ بمعنى: الملاقاة. وهو في (الترمذي): ((حتى يوافي به)). انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ: (الكاشف عن حقائق السنن) (٤/١٣٥٠)، مرقاة المفاتيح (٣/١١٤٢)، التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٦٤).

(٢) الحديث مروي عن أنس، وأبي هريرة، وعبد الله بن مغفل، وعن عمار بن ياسر. حديث أنس: أخرجه الترمذي [٢٣٩٦]، وقال: "حسن غريب". وأخرجه أيضًا: أبو يعلى [٤٢٥٤]، الحاكم [٨٧٩٩]، والبيهقي في (الأسماء والصفات) [٣١٦]. حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه ابن عدي (٥/١٨٨)، ترجمة [١٣٤٦] علي بن ظبيان، وقال: "الضعف على حديثه بين". حديث عبد الله بن مغفل: أخرجه أحمد [١٦٨٠٦]. قال الهيثمي (١٠/١٩١): "رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي الطبراني". كما أخرجه الروياني [٨٩٣]، وابن حبان [٢٩١١]، والحاكم [١٢٩١، ٨١٣٣] وصححه، ووافقه الذهبي، كما أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) [٩٣٥٩]. حديث عمار بن ياسر: قال الهيثمي (١٠/١٩٢): "رواه الطبراني، وإسناده جيد". وانظر: كنز العمال [٦٧٩١]. وقال العراقي: "أخرجه أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن معقل مرفوعًا ومتصلًا. ووصله الطبراني أيضًا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر، ورواه أيضًا من حديث ابن عباس، وقد روى الترمذي وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس، وحسنه الترمذي" المغني عن حمل الأسفار (ص:١٤٧٨).

قال أبو داود: زاد ابن نفيل: ((**ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى**))(١).

وفي الحديث: ((**ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حِطَّةٌ**))(٢)، أي: يحط به منه ذنوبه.

والمقصود من البلاء هنا: ما يقع على المؤمن قدرًا بدون اختياره.

والمسلم لا يتمنى البلاء، ولا يسعى اليه؛ لأنه قد يفتن ولا يصبر. وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذ من جهد البلاء، ففي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((**كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء**))(٣).

وفي رواية: ((**تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء**))(٤).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عاد رجلًا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟**))، قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله

---

(١) الحديث مروي عن محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده، بلفظ: ((إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها)). وقد أخرجه أحمد [٢٢٣٣٨]. وأبو داود [٣٠٩٠]، وابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني) [١٤١٦]، وأبو يعلى [٩٢٣]، والطبراني [٨٠١]، وأبو نعيم في (معرفة الصحابة) من طريق الحسن بن سفيان [٦٧٦٢] والبيهقي في (السنن) [٢٢٣٣٨]، وفي (شعب الإيمان) [٩٣٨٩]. قال الهيثمي (٢/٢٩٢): "رواه الطبراني في (الكبير)، و(الأوسط)، وأحمد، ومحمد بن خالد، وأبوه لم أعرفهما، والله أعلم".

(٢) أخرجه الطيالسي [٢٢٧]، وأحمد [١٦٩٠]، البخاري في (التاريخ الكبير) (٧/٢١)، وأبو يعلى [٨٧٨]، قال الهيثمي (٢/٣٠٠): "فيه يسار بن أبي سيف ولم أر من وثقه ولا جرحه، وبقية رجاله ثقات". وأخرجه أيضًا: الشاشي [٢٦٥]، والحاكم [٥١٥٣]، والبيهقي في (السنن الكبرى) [١٨٥٦٧]، والضياء [١١١٨]، وقال: "إسناده حسن".

(٣) صحيح البخاري [٦٣٤٧]، مسلم [٢٧٠٧].

(٤) صحيح البخاري [٦٦١٦].

لي في الدنيا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**سبحان الله لا تطيقه -أو لا تستطيعه- أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**))، قال: فدعا الله له، فشفاه(١).

والمسلم يحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على العافية، فإذا أصابه البلاء صبر وشكر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "إنَّ الله تعالى يؤدِّب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده، بأدنى زلَّة وهَفْوَة، فلا يزال مستيقظًا حذرًا، وأما من سقط من عينه وهان عليه، فإنه يُخَلِّي بينه وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنبًا أحدث له نعمة، والمغرور يظن أن ذلك من كرامته عليه، ولا يعلم أن ذلك عين الإهانة، وأنه يريد به العذاب الشديد والعقوبة التي لا عاقبة معها، كما في الحديث المشهور: ((**إذا أراد الله بعبد خيرًا عَجَّلَ له عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد شَرًّا أَمْسَكَ عنه عقوبته في الدنيا حتى يُوافى به يوم القيامة**))"(٢).

فتبين أن ما يقع على المؤمن من الابتلاء بالمصائب والكوارث لا يعني أنه بعيد عن الله عَزَّوَجَلَّ، وما يغدق على العبد من النعم لا يعني أنه قريب من الله عَزَّوَجَلَّ، فقد يكون استدراجًا، فليست النعمة دائمًا دليل حب الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، ولا النقمة دائمًا دليل بغض الله عَزَّوَجَلَّ.

قال بعض السلف: "مصيبة تقبل بها على الله عَزَّوَجَلَّ خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله عَزَّوَجَلَّ"(٣).

وقال ابن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: "ما يكره العبد خير له مما يحب؛ لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه"(٤).

---

(١) صحيح مسلم [٢٦٨٨].

(٢) زاد المعاد (٥٠٦/٣). والحديث تقدم تخريجه.

(٣) انظر: تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي (ص: ١٧٥).

(٤) شعب الإيمان [٩٥٥٩].

وفي الحديث: ((**مثل المؤمن مثل السنبلة، تستقيم مرة، وتخر مرة، ومثل الكافر مثل الأرزة، لا تزال مستقيمة حتى تخر، ولا تشعر**))[1]، "أي: هو كثير الاسقام في بدنه وماله، فيمرض ويصاب، ويخلو من ذلك أحيانًا؛ ليكفر عنه ذنوبه"[2].

"فمن ثم يميل يمنة ويسرة. والمنافق على حالة واحدة من دوام الصحة في نفسه وأهله، ويفعل الله عَزَّوَجَلَّ ذلك بالمؤمن؛ ليصرفه إليه في كل حال، فكلما سكنت نفسه إلى شيء أمالها عنه؛ ليدعوه بلسانه وجنانه؛ لأنه يحب صوته، فاختلاف الأحوال تميل بالمؤمن إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والمنافق وإن اختلفت عليه الأحوال لا يرده ذلك إلى ربه عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه أعماه وختم على قلبه، فنفسه كالخشب المسندة لا تميل لشيء، وقلبه كالحجر، بل أشد، ليس فيه رطوبة الإيمان، كالأرز لا تهتز حتى تحصد بمنجل الموت. ومقصود الحديث: أن يحذر المؤمن دوام السلامة؛ خشية الاستدراج، فيشتغل بالشكر، ويستبشر بالأمراض والرزايا"[3].

والمعنى: أن المؤمن مِثْلَ السنبلة لا يكاد يمر عليه يوم بِلا بلاء، كما أن السنبلة لا تكاد تثبت؛ لتقليب الرياح لها، وكذلك شجرة الأرزة لا تكاد تهتز، وكذلك الكافر لا يكاد يصيبه البلاء؛ حتى يهوي مرة واحدة، فينقلب من فيض النعم إلى سلبها، ومن الصحة إلى المرض، ومن الأمن إلى الخوف، ومن الانبساط إلى الضيق، ومن النعيم إلى العذاب، ومن الحياة إلى الموت. نسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى السلامة والعافية.

---

(١) أخرجه البزار [٧٢١٧، ٧٢١٨]. قال الهيثمي في (المجمع) (٢/٢٩٣): "رواه البزار بسند رجاله ثقات". وانظر: فيض القدير (٥/٥١٢). و(الأرزة) بفتح الهمزة وفتح الراء المهملة ثم زاي على ما ذكره أبو عمرو. وقال أبو عبيدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بكسر الراء بوزن: فاعلة، وهي النابتة في الأرض. وقيل: بسكون الراء شجر معروف بالشام، وهو شجر الصنوبر والصنوبر ثمرها. فيض القدير (٥/٥١٢)، وانظر: مشارق الأنوار، للقاضي عياض، مادة: أرز (١/٢٧).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٣٧٢).

(٣) فيض القدير (٥/ ٥١٢).

وفي (الصحيح): ((**مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تُفَيِّئُهَا الريح مرة، وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة، لا تزال حتى يكون انْجِعَافُهَا مرة واحدة**))(١)

وفي رواية: ((**مثل المؤمن كمثل الخَامَة من الزرع، من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تَكَفَّأُ بالبلاء، والفاجر كالأرزة، صَمَّاءَ معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء**))(٢).

قال أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد دل الحديث على أن القويَّ يَحْمِلُ مَا حَمَلَ، وَالضَّعيف يُرْفَق به، إلا أنه كلما قويت المعرفة بالمبتلى هان البلاء الشديد. ومن أهل البلاء من يرى الأجر فَيَهُون البلاء عليه، وأعلى منه من يرى تصرف المبتلِي(٣) في

(١) صحيح البخاري [٥٦٤٣]، واللفظ له. مسلم [٢٨١٠]. قوله: ((كالخامة)) بالخاء المعجمة وتخفيف الميم: الغض الرطب من النبات أول ما ينبت. ((تفيئها)) أي: تحركها وتميلها يمنة ويسرة. وأصل التفيئة: إلقاء الفيء على الشيء، وهو الظل، فالريح إذا أمالتها إلى جانب ألقت ظلها عليه. ذكره القاضي. ((تعدلها)) ترفعها. ((لا تزال)) قائمة لا تلين. ((انجعافها)): انقلاعها. والمعنى كما ذكر المناوي: أن المؤمن كثير الآلام في بدنه وأهله وماله، وذا مكفر لسيئاته رافع لدرجاته، والكافر قليلها، وإن حل به شيء لم يكفر، بل يأتي بها تامة يوم القيامة. فيض القدير (٥/٥١٢). وينظر المعنى مفصلًا في (فتح الباري)، لابن حجر (١٠/١٠٦)، مرعاة المفاتيح (٥/٢٣١)، إكمال المعلم، للقاضي عياض (٨/١٧٢).

(٢) صحيح البخاري [٥٦٤٤، ٧٤٦٦]. ((كفأتها)) بفتح الكاف والفاء والهمزة، أي: أمالتها. ونقل ابن التين أن منهم من رواه بغير همزة كأنه سهلها. ((تكفأ بالبلاء)) تقلب بالمصيبة. أي: المؤمن إذا أصابه بلاء رضي بقدر الله ﷻ، فإذا زال عنه قام واعتدل بشكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فانقلب البلاءُ خيرًا ورحمة. ((صماء)) صلبة شديدة. ((يقصمها)) من القصم، وهو الكسر مع الإبانة، أي: فصل الأجزاء عن بعضها. انظر المعنى مفصلًا في (فتح الباري)، لابن حجر (١٠/١٠٧)، عمدة القاري، للعيني (٢١/٢١٠).

(٣) المبتلِي -بصيغة اسم الفاعل- هو الله عَزَّوَجَلَّ. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]. وفي (الفتح) (١٠/١٢)، و(فيض القدير) (١/٥١٩): "تصرف المالك في ملكه فيسلم ولا يعترض" مكان: "تصرف المبتلِي في ملكه" والمعنى واحد.

ملكه، وأرفع منه من تشغله محبة الحق عن وقع البلاء[1]، ونهاية المراتب: التلذذ بضرب الحبيب؛ لأنه عن اختياره نشأ"[2].

ك. الإيمان وسلامة المعتقد:

جاء في الحديث: ((**إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب**))[3].

ل. الصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله تعالى:

ومن علامة محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد: أن يوفقه لأداء الصلاة على وقتها، ولبر الوالدين، وللجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: فقد سئل النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أي العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: ((**الصلاة على وقتها**))، قيل: ثم أي؟ قال: ((**ثم بر الوالدين**)) قيل: ثم أي؟ قال: ((**الجهاد في سبيل الله**))[4].

(١) في المصادر السابقة: "من شغلته المحبة عن طلب رفع البلاء".

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (١/٢٨٧).

(٣) الحديث مروي عن عبد الله بن مسعود، وقد أخرجه ابن أبي شيبة [٣٤٤]، وأحمد [٣٦٧٢]، قال الهيثمي (١/٥٣): "رجال إسناده بعضهم مستور، وأكثرهم ثقات". وقال في (١٠/٢٢٨): "رجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف". كما أخرجه البزار [٢٠٢٦]، والدولابي [٧٧٧]، والشاشي [٨٧٧]، والطبراني في (الكبير) [٨٩٩٠]، والحاكم [٩٤] وقال: "صحيح الإسناد". ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا: البيهقي في (شعب الإيمان) [٥١٣٦]. وضعفه الألباني مرفوعًا في (ضعيف الترغيب والترهيب) [١٠٧٦، ١٥١٩]، وصححه موقوفًا على ابن مسعود في (صحيح الترغيب والترهيب) [١٥٧١]، وقال في (صحيح الأدب المفرد): "صحيح موقوف في حكم المرفوع". وقال في (الصحيحة) [٢٧١٤]: "فيظهر من هذا التخريج أن الأصح في إسناد الحديث أنه موقوف، لكن لا يخفى أنه في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي". وقال ابن الجوزي في (العلل المتناهية) [١٤٠١]، "قال: الدارقطني: رفعه جماعة ووقفه جماعة، والصحيح الموقوف".

(٤) صحيح البخاري [٥٢٧، ٥٩٧٠]، مسلم [٨٥].

م. أحب العمل إلى الله عَزَّوَجَلَّ: أدومه:

ومن علامة محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد: مداومة العبد على الطاعات، فقد سئل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: ((**أدومه وإن قل**))(١).

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل عليها وعندها امرأة، قال: ((**من هذه؟**)) قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: ((**مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا**))، وكان أحب الدين إليه مادام عليه صاحبه(٢).

وفي الحديث: الحث على المداومة على العمل، وأن قليله الدائم، خير من كثيره الذي ينقطع؛ فبدوام القليل تدوم الطاعة، ويثمر ذلك، بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة(٣).

ن. أحب الصلاة والصيام إلى الله عَزَّوَجَلَّ صلاة وصيام داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

ومن علامة محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد أن يوفقه للصلاة في جوف الليل، ولصيام التطوع، كما كان نبي الله داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد جاء في الحديث: ((**أحب الصلاة إلى الله: صلاة داود** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **وأحب الصيام إلى الله: صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يومًا، ويفطر يومًا**))(٤).

وفي الحديث كذلك: ((**لا صوم فوق صوم داود**))(٥).

---

(١) صحيح مسلم [٧٨٢، ٢٨١٨].

(٢) صحيح البخاري [٤٣، ١١٥١، ٥٨٦١]، مسلم [٧٨٢، ٧٨٥]. ((تذكر من صلاتها))، أي: من كثرة صلاتها، وأنها لا تنام الليل. (مه) اسم فعل بمعنى: اكفف. ((عليكم بما تطيقون)): اشتغلوا بما تستطيعون المداومة عليه من الأعمال. ((لا يمل الله حتى تملوا)): لا يقطع عنكم ثوابه إلَّا إذا انقطعتم عن العمل بسبب إفراطكم فيه. ((إليه)) إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي رواية: ((إلى الله)).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٧١/٦)، عمدة القاري، للعيني (١٨٢/٧)، مرعاة المفاتيح (٢٤٠/٤).

(٤) صحيح البخاري [١١٣١].

(٥) صحيح البخاري [١٩٨٠، ٦٢٧٧]، مسلم [١١٥٩].

س. العناية والتدبير:

ومن أقوى العلامات على محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد: "حسن التدبير له، فيربيه من الطفولة على أحسن نظام، ويكتب الإيمان في قلبه، وينور له عقله، فيتبع كل ما يقربه إلى محبوبه وهو الله عَزَّوَجَلَّ، وينفره عن كل ما يبعد عنه، ثم يتولاه بتيسير أموره من غير ذل للخلق، ويسدد ظاهره وباطنه، ويجعل همه همًّا واحدًا، فإذا زادت المحبة شغله به عن كل شيء"(١).

فما أعظم أن يتولى اللهُ عَزَّوَجَلَّ أمرَ العبد، ومن دعاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ((**اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**))(٢).

ع. صلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن علامة محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد: أن يوفقه لصلة الأرحام، فإنها من أحب الأعمال إلى الله عَزَّوَجَلَّ، كما أن قطيعة الأرحام من موانع محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، ومما يوجب العقاب في الآخرة(٣)؛ فعن قتادة، عن رجل من خثعم قال: أتيت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو في نفر من أصحابه قال: قلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: ((**نعم**))، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: ((**إيمان**

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص:٣٨٥).

(٢) الحديث مروي عن أبي بكرة. وقد أخرجه الطيالسي [٩١٠]، وابن أبي شيبة [٢٩١٥٤]، وأحمد [٢٠٤٣٠]، والبخاري في (الأدب المفرد) [٧٠١]، وأبو داود [٥٠٩٠]، والنسائي في (الكبرى) [١٠٤١٢]، وابن حبان [١٠٤١٢]. قال الهيثمي (١٠/١٣٧): "رواه الطبراني وإسناده حسن". وفي رواية عن أنس: ((يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله)) أخرجه البزار [٦٣٦٨]، النسائي [١٠٣٣٠]، والحاكم [٢٠٠٠]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٧٤٥]، والضياء [٢٣١٩] وقال: "إسناده حسن". قال الهيثمي (١٠/١١٧): "رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير عثمان بن موهب، وهو ثقة".

(٣) سيأتيك مبحث: (محبة الأرحام) مستقلًا.

بالله))، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟[1] قال: **((ثم صلة الرحم))**، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: **((الإشراك بالله))**. قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: **((ثم قطيعة الرحم))**، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: **((ثم الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف))**[2].

فتبين من المفهوم أن من علامة محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد: أن يأمر العبد بالمعروف وينهى عن المنكر؛ فإنه "القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله عَزَّوَجَلَّ له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله؛ لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد"[3].

ف. التقي الغني الخفي:

إن من أعظم علامات محبة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للعبد ما جاء في الحديث من قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **((إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي))**[4]، والمراد بالغنى إما غنى النفس، وهو الغنى المحبوب، أو غنى المال. والمال غير محذور لعينه، بل لكونه يَعُوق ويَشْغَلُ العبد عن الله عَزَّوَجَلَّ، فكم من غنيٍّ لم يشغلْه غناهُ عن الله عَزَّوَجَلَّ، وكم من فقير شَغَلَه فقره عن الله عَزَّوَجَلَّ، فالتحقيق أنه لا يطلق القول بتفضيل الغني على الفقير وعكسه.

و**((الخفي))** -بخاء معجمة- أي: الخامل الذكر المعتزل عن الناس الذي يخفي عليهم مكانه؛ ليتفرغ للتعبد[5]. ففي الحديث: إشارة إلى أن أحب العمل: ما كان

---

(١) هي هاء السكت، وهو استفهام، أي: ثم ماذا؟.

(٢) أخرجه أبو يعلى في (مسنده) [٦٨٣٩]، قال الهيثمي (١٥١/٨): "رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة".

(٣) انظر: إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي (٣٠٦/٢).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه) [٢٩٦٥].

(٥) انظر: فيض القدير (٢٨٨/٢)، فتح الباري، لابن حجر (٢٧٦/١١).

خالصًا لله ﷻ، وبعيدًا عن الرياء، وأن عبادة الخفاء فيها طهارة للقلب من النفاق، حيث يغيب الخلق، ولا يشهد على عمله إلا الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ص. الرفق:

وسيأتي بيانه في (الأخلاق تورث المحبة).

ق. الجمال:

ومن الصفات التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ: الجمال كما جاء في الحديث: ((**إن الله جميل يحب الجمال**))(1).

((**يحب الجمال**)) أي: التجمل منكم في الهيئة، يعني: إذا كان هذا التجمل من غير تكلف ولا تشبه بغير المسلمين، ومن غير من تشبه من الرجال بالنساء في الزِّيِّ، وقُلْ مثلَ ذلك في النساء من حيث الالتزام باللباس الشرعي، وعدم التكلف، وعدم التشبه بالرجال في الهيئة والملبس.

وسرُّ ذلك أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كامل في أسمائه وصفاته، فله الكمال المطلق من كل وجه، ويحب أسماءه وصفاته، ويحب ظهور آثارها في خلقه، فإن ذلك من لوازم كماله، فهو وتر(2) يحبُّ الوتر، جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، جواد يحب الجود، قوي يحب القوي، فالمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف(3)، حيي يحب أهل الحياء والوفاء، شكور يحب الشاكرين، صدوق يحب الصادقين، محسن يحب المحسنين،

---

(1) صحيح مسلم [91].

(2) الوتر: الفرد، وسيأتي بيان معناه في حق الله عَزَّوَجَلَّ، وتكسر واوه وتفتح.

(3) وفي الحديث: ((المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير)) صحيح مسلم [2664].

وفي يحب أهل الوفاء شكور يحب الشاكرين صادق يحب الصادقين محسن يحب المحسنين.. إلى غير ذلك(١).

ومن تأمَّل في نصوص الشرع، رأى الاعتناء بالجمال والحثَّ عليه، فحين سئل رجل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: ((**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَرُ الحق، وَغَمْطُ الناس**))(٢)، أي: يحب التجمُّل، فالتجمُّل قيمةٌ إسلاميَّة، وعمل صالح مرغوبٌ إذا صحَّت معه النيَّة، وانتفى معه الكبر والإسراف. فربُّكم الكريم الجميل يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عباده، تُرَى هذه النعمة في التجمُّل في اللباس والهيئات، والمسكن والمركب، وفي حَياتهم كلها، تجمُّل في غير سرف ولا مخيلة(٣).

وللجمال أثرٌ تربوي ونفسي؛ فالتجمُّل في المظهر له أثره البالغ في التأثير على الآخرين.

وفي الحديث: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: أتانا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأى رجلًا شَعِثًا قد تفرَّق شَعْرُهُ فقال: ((**أما كان يجد هذا ما يُسَكِّنُ به شعره، ورأى رجلًا آخر وعليه ثياب وسخة، فقال أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه**))(٤).

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتطهر، ويلبس ثيابًا حسنة، ويتطيَّب بأجمل الطيب، ولا يُفارِقه السواك إلى غير ذلك. قال أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ((**ما شممت عنبرًا قط، ولا مسكًا، ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))(٥).

---

(١) انظر: فيض القدير (٢/٢٢٤)، روضة المحبين (ص:٦٤)، شفاء العليل (ص:٢٦٣)، طريق الهجرتين (ص:١٢٩)، عدة الصابرين (ص:٤٨)، مدارج السالكين (١/٤٢١).

(٢) صحيح مسلم [٩١]. و((بطر الحق)) يعني: رده، و((غمط الناس)) يعني: احتقارهم وازدراءهم.

(٣) بتصرف عن مقالة: (إن الله جميل يحب الجمال) للشيخ إبراهيم العجلان.

(٤) أخرجه أبو داود [٤٠٦٢]، والنسائي في (السنن) [٥٢٣٦]، و(الكبرى) [٩٢٦١]، وأبو يعلى [٢٠٢٦]، وابن الأعرابي [٢٠٢٦]، وابن حبان [٥٤٨٣]، والحاكم [٧٣٨٠]، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، قال العراقي: "إسناده جيد". المغني عن حمل الأسفار (ص:١٦١). كما أخرجه تمام [١٦٧١]، وأبو نعيم في (الحلية) (٦/٧٨).

(٥) صحيح مسلم [٢٣٣٠].

فتبين أن التبذل ورثاثة الملبس ليست من الإسلام، وليست من الزهد؛ فإن حقيقة الزهد في الإسلام هي في زهد المستغْنِي، وهو مقام في حقيقته نفسيٌّ لا ظاهر. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣]. وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**))(١)، ومن دعائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا**))(٢).

وقد حرَّم الإسلام الإسراف في كل شيء في المال والطعام والشراب واللباس؛ لأنه السبب في تدمير الأسر والأمم وهلاكها.

كما حرم الكبر والعجب، والتظاهر والرياء والمباهاة والتطاول؛ فهي من الآفات التي قد تكون بسبب الثراء، والغنى المطغي، ومعاول هدم لجسور المحبة والتراحم والتواصل مع الآخرين.

ر. معرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته وتدبرها وعقل معانيها:

جاء في الحديث: ((**لله تسعة وتسعون اسمًا، مائة إلا واحدًا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**))(٣).

وفي رواية: ((**من أحصاها**))(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه) [٦٠٨١]، ومسلم [٢٤٦٧]. و(كثرة العرض) ما يصيبه من حطام الدنيا ومتاعها، أو من حظوظ الدنيا.

(٢) أخرجه ابن المبارك في (الزهد) [٤٣١]، والترمذي [٣٥٠٢]، وقال: "حسن غريب". وأخرجه أيضًا: الحاكم [١٩٣٤]، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه". وسكت عنه الذهبي. وأخرجه أيضًا: النسائي في (الكبرى) [١٠٢٣٤]، والديلمي [١٩٨١]. قال العلامة المناوي (١٣٣/٢): "فيه عبيد الله بن زحر ضعفوه"، قال في (المنار): "فالحديث لأجله حسن لا صحيح".

(٣) صحيح البخاري [٦٤١٠]، مسلم [٢٦٧٧].

(٤) صحيح البخاري [٢٧٣٦، ٧٣٩٢]، مسلم [٢٦٧٧، ٢٦٧٧].

الوتر: الفرد، ومعناه في حق الله عَزَّوَجَلَّ: الواحد الذي لا شريك له ولا نظير. ومعنى: ((**يحب الوتر**)) تفضيل الوتر في الأعمال وكثير من الطاعات، فجعل الصلاة خمسًا، والطهارة ثلاثًا ثلاثًا، والطواف سبعًا، والسعي سبعًا، ورمي الجمار سبعًا، وأيام التشريق ثلاثًا، والاستنجاء ثلاثًا، وكذا الأكفان، وفي الزكاة خمسة أوسق، وخمس أواق من الورق، ونصاب الإبل..وغير ذلك. وجعل كثيرًا من عظيم مخلوقاته وترًا؛ منها: السموات والأرضون والبحار، وأيام الأسبوع وغير ذلك. ((**من أحصاها**)) معناه: حفظها، وهذا هو الأظهر؛ لأنَّه جاء مفسرًا في الرواية الأخرى ((**من حفظها**)).

وقيل: ((**أحصاها**)): عدها في الدعاء بها، وقيل: أطاقها، أي: أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه، وصدق بمعانيها. والصحيح الأول[(١)].

ولكن معرفة المكلف لأسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصفاته وتدبرها وعقل معانيها من علامات محبة العبد لله تعالى وتوفيقه له، فمن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين[(٢)]، وهي أولى ما ينبغي فقهه.

وهي من أسباب المحبة -كما تقدم-، فمن عرف الله أحبه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

ش. الحياء والستر:

جاء في الحديث: ((**إن الله عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**))[(٣)].

---

(١) انظر: شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (٦/١٧)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/٢٩)، شروح سنن ابن ماجه: ١-(مصباح الزجاجة)، للسيوطي، ٢-(إنجاح الحاجة)، لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي، ٣-(ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات)، للكنكوهي (ص:٢٧٥)، قديمي كتب خانة، كراتشي.

(٢) صحيح البخاري [٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢]، مسلم [١٠٣٧].

(٣) أخرجه أحمد [١٧٩٧٠] بلفظ: ((إن الله حيي ستير، فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوارى بشيء))، وأخرجه أيضًا: أبو داود [٤٠١٢]، والنسائي [٤٠٦]، والبيهقي في (السنن) [٩٥٦]، وفي (شعب=

والمراد الحياء المحمود، فالحياء والستر من الصفات التي يحبها الله ﷻ فينبغي على العبد أن يتصف بهاتين الصفتين طالبًا مرضاة الله ومحبته.

والحياء المحمود الذي يحبه الله عَزَّوَجَلَّ: خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي حق. وهو ميراث الأنبياء؛ لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة، إذا لم تستحي فافعل ما شئت**))[(١)]، وهو لا يأتي إلَّا بخير كما أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عندما قال: ((**الحياء لا يأتي إلا بخير**))[(٢)]؛ لأن من استحيا من الناس أن يروه بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه وخالقه عَزَّوَجَلَّ أشد، فلا يضيع فريضة، ولا يرتكب معصية. ولكن ينبغي أن يراعى في الحياء (القانون الشرعي) فإن منه ما يذم، كالحياء المانع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع وجود شرطه، فإن هذا عجز ومهانة، وكذلك الحياء المانع من السؤال في العلم[(٣)].

=الإيمان) [٧٣٩٣]. قال الحسن الصنعاني: "رواه أبو داود والنسائي بإسناد رجاله رجال الصحيح". فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار (١٥٩/١).

(١) صحيح البخاري [٣٤٨٣، ٣٤٨٤].

(٢) صحيح البخاري [٦١١٧]، مسلم [٣٧].

(٣) وقد ذكر البخاري (٦٠/١- ٦١) في باب الحياء في العلم: قال مجاهد: "لا يتعلَّم العلم مستحي ولا مستكبر. وقالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين". والحاصل أن الحياء كله خير، أما الخجل والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله عَزَّوَجَلَّ أو حقوق عباده فهو مذموم، وليس من الحياء في الحقيقة، بل هو جبن ومهانة، وإطلاق الحياء عليه مجاز؛ لمشابهته له، والحياء المذموم هو الذي يضر بدين المرء كأن يؤدي إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في دنياه كأن يأتيه من يطلب قرضًا منه وهو يعلم منه سوء التصرف -كأن يستعمله في معصية-، أو من يستعير منه دابة وهو يعلم أنه لا يَرْفُقُ بها، فيحمله الحياء على الإعطاء وعدم المنع، فيندم بعد ذلك، ومثل ما ذكر: الحياء في العلم المانع من سؤاله عن مهمات المسائل في الدين إذا أشكلت عليه، فهو مذموم. وكما ترى فإن هناك فرقًا بين الحياء والخجل، وأن الخجل عكس الحياء، فالخجل هو شعور بالنقص داخل الإنسان، فهو يشعر أنه أضعف من الآخرين، ولا يستطيع مواجهتهم حتى ولو لم يفعل شيئا خطأ، وهذا مختلف عن الحياء، فالحياء شعور نابع من الإحساس برفعة وعظمة النفس التي يأبى صاحبها أن ينزل بها إلى سفاسف الأمور، فهي أكبر من تلك الأمور الدنيئة. فالحيي يستحيي أن يكذب أو يزني؛ لأنه لا يقبل أن تكون نفسه في هذه الدنايا، ولكن الخجول إذا أتيحت له الفرصة أن يفعل ذلك دون أن يراه أحد لفعل.

ت. محبة ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ وبغض ما يبغضه:

ومن علامات محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد أن يوفقه الله عَزَّوَجَلَّ لمحبة ما يحبه، وبغض ما يبغضه كمحبة المساجد[1]، وبغض الأسواق. ومن ذلك: محبة الأسماء التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ كما جاء في الحديث: ((**إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن**))[2]. إلى غير ذلك -مما سيأتي بيانه-.

ث. معالي الأمور:

وقد تقدم.

٢ - اجتناب الأعمال التي لا يحبها الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ:

أ. الاعتداء:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠]. و(الاعتداء): تجاوز حدود الحق والعدل؛ اتباعًا لهوى النفس وشهواتها. وفي الكليات: "الاعتداء: هو مجاوزة حد ما، وذلك قد لا يكون مذمومًا، بخلاف الظلم، فإنه وضع الشيء في الموضع الذي لا يحق أن يوضع فيه. وقيل: هو في أصل وضعه تجاوز الحد في كل شيء، وعرفه: في الظلم والمعاصي"[3]. وبيانه فما قاله الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (المفردات) حيث قال: "الاعتداء مجاوزة الحق، وقد يكون على سبيل الابتداء، وهو المنهي عنه؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠]. وقال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾ [البقرة:٢٣١]، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ [النساء:١٤]، إلى غير ذلك. وقد يكون على سبيل المجازاة ويصح أن يتعاطى مع من ابتدأ كقوله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا

(١) تقدم أن أحب البقاع إلى الله مساجدها..وسيأتي مزيد من البيان في (محبة الأماكن الفاضلة).

(٢) صحيح مسلم [٢١٣٢].

(٣) الكليات (ص:١٥٠).

اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]، أي: قابلوه بحسب اعتدائه وتجاوزوا إليه بحسب تجاوزه. سمي بمثل اسمه؛ لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية"(١).

ب. الفساد:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤].

أي: يبغض الفساد، ولا يحب المفسدين. "بل كل ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به فهو صلاح. وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم المفسدين في غير موضع"(٢).

يقال: (فسد الشيء يفسد) بالضم (فسادًا) فهو (فاسد). و(فسد) بالضم أيضًا (فسادًا) فهو (فسيد) و(أفسده ففسد). و(المفسدة) ضد المصلحة(٣).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما الفساد فهو ضد الصَّلاح، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]، وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢]، وقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]، وقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥]، وقال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]، وقالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة:٣٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب (ص: ٥٥٤)، وانظر: مادة: (عدا) في كل من (لسان العرب (٣١/١٥)، المحكم والمحيط الأعظم (٣١٥/٢)، تاج العروس (٧/٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢٦/٢٨)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية (ص:١٠).

(٣) انظر: مادة: (فسد) في (مختار الصحاح) (ص:٢٣٩)، و(القاموس المحيط) (ص:٣٠٦).

الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة:٣٣]، وقال: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧١].

وجماع الصلاح للآدميين هو طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو فعل ما ينفعهم، وترك ما يضرهم، والفساد بالعكس. فصلاح الشيء هو حصول كماله الذي به تحصل سعادته. وفساده بالعكس،. والخلق صلاحهم وسعادتهم في أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ هو معبودهم، الذي تنتهي إليه محبتهم وإرادتهم، ويكون ذلك غاية الغايات، ونهاية النهايات"(١).

ج. الربا والكفر والعصيان:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦]، و(المحق) بمعنى الإزالة؛ أي: يزيل الربا؛ والإزالة يحتمل أن تكون إزالة حسية، أو إزالة معنوية، فالإزالة الحسية: أن يسلط الله عَزَّوَجَلَّ على مال المرابي ما يتلفه؛ والمعنوية: أن ينزع منه البركة. ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي يزيدها: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾. إذا نفى الله عَزَّوَجَلَّ المحبة فالمراد إثبات ضدها -وهي الكراهة-.

و(الكَفَّار): كثير الكفر، أو عظيم الكفر.

و(الأثيم): بمعنى الآثم، كالسميع بمعنى السامع، والبصير بمعنى الباصر، وما أشبه ذلك(٢).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٩/٣٧٢- ٣٧٣).

(٢) تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين (٣/ ٣٧٨- ٣٧٩).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يحب من يكفر به كفر حقيقيًّا، ولا من يكفر بنعمه -كما تقدم-؛ ولقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

د. الظلم:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

قال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: "وضع الشيء في غير موضعه(١) المختص به بنقص(٢) أو زيادة أو عدول عن وقته أو مكانه. ويقال لمجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة"(٣)؛ "وذلك لأن الشرائع تطابقت على قبحه، واتفقت جميع الملل على رعاية حفظ الأنفس، فالأنساب، فالأعراض، فالعقول، فالأموال. والظلم يقع في هذه أو في بعضها. وأعلاه: الشرك، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، وهو المراد بالظلم في أكثر الآيات: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤](٤). ويدخل فيه: ظلم الإنسان لنفسه بارتكاب المعاصي؛ إذ العصاة ظُلَّام أنفسهم، وأقبح أنواعه: ظلم من ليس له ناصر إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ"(٥).

---

(١) قال ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(الظلم) وضع الشيء في غير موضعه، كوضع الكفر موضع الإيمان، ووضع المعصية موضع الطاعة. وحق الله تعالى أن يؤمن به، ويوحَّد، ويطاع، فمن كفر أو أشرك به أو عصاه فقد ظلم". تفسير ابن باديس (ص:١٦٩)، آثار ابن باديس (١/٤٠١).

(٢) "وقد جاء في القرآن إطلاق الظلم على النقص في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف:٣٣]". أضواء البيان (٣/٢٦٧). قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومدار الظلم على النقص كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾. ويدور على أمرين: إما منع واجب للغير، وإما تحميله ما لا يجب عليه. مثال الأول: أن تمنع شخصًا من دين عليك فلا توفّيه، أو تماطل به؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مطل الغني ظلم)). صحيح البخاري [٢٢٨٧، ٢٢٨٨، ٢٤٠٠] مسلم [١٥٦٤]. ومثال الثاني: كأن تدعي عليه دينًا وتأتي بشهادة زور فيحكم لك به". شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين (ص:٢٤٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص:٥٣٧).

(٤) ولذا كثر في القرآن العظيم إطلاق الظلم بمعنى الشرك. انظر: أضواء البيان (٧/٢٠٠).

(٥) فيض القدير (١/ ١٣٤).

هـ. التكبر:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦]، يعني: "المختال في هيئته، والفخور بلسانه وقوله، فهو بهيئته مختال؛ في ثيابه، في ملابسه، في مظهره، في مشيته، فخور بقوله ولسانه، والله تعالى لا يحب هذا، إنما يحب المتواضع الغني الخفي التقي"(١).

قال القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ..﴾ الآية. [النساء:٣٨]: "أدخل هؤلاء أيضا تحت قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، "فعقوبتهم في العاجل أنهم ليسوا من جملة محبِّيه، وكفى بذلك محنة. و(المختال): الذي ينظر إلى نفسه، والمرائي الذي ينظر إلى أبناء جنسه، وكلاهما مسوَّمان بالشرك الخفيِّ، والله لا يحب المشركين"(٢).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣].

وفي الحديث: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**))، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: ((**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**))(٣).

و. الخيانة:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧]، أي: من اعتاد الخيانة وألف الإثم فلم يعد ينفر منه، ولا يخاف العقاب الإلهي عليه، فيراقبه فيه، وإنما يحب الله عَزَّوَجَلَّ أهل الأمانة والاستقامة(٤).

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين (٣/٥٤٠). وقد تقدم حديث: ((إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي))، وهو في (صحيح مسلم) [٢٩٦٥].

(٢) لطائف الإشارات (١/٣٣٣).

(٣) صحيح مسلم [٩١]. و((بطر الحق)): دفعه وإنكاره؛ ترفعًا وتجبرًا، و((غمط الناس)): احتقارهم.

(٤) المنار (٥/ ٣٢٥).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨]. قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: "والخوان والكفور كلاهما صيغة مبالغة؛ لأن (الفعال) بالتضعيف و(الفعول) بفتح الفاء من صيغ المبالغة، والمقرر في علم العربية أن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل، فلو قلت: زيد ليس بقتال للرجال فقد نفيت مبالغته في قتلهم، ولم يستلزم ذلك أنه لم يحصل منه قتل لبعضهم، ولكنه لم يبالغ في القتل، وعلى هذه القاعدة العربية المعروفة فإن الآية قد صرحت بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يحب المبالغين في الكفر والمبالغين في الخيانة، ولم تتعرض لمن يتصف بمطلق الخيانة ومطلق الكفر من غير مبالغة فيهما. ولا شك أن الله تعالى يبغض الخائن مطلقًا، والكافر مطلقًا، وقد أوضح جل وعلا ذلك في بعض المواضع، فقال في الخائن: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]، وقال في الكافر: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]"(١).

ز. الجهر بالسوء:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨]، أي: لا يحب الله عَزَّوَجَلَّ أن يجهر أحد بالقبيح من القول. ﴿إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾: إلا جهر المظلوم بأن يدعو على ظالمه، أو يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء. فإن ذلك غير مسخوط عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى(٢).

ثم حث على العفو، وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء -وإن كان على وجه الانتصار- بعد ما أطلق الجهر به؛ حثًّا على الأحب إليه، والأفضل عنده، والأدخل في الكرم(٣)، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

---

(١) أضواء البيان (٥/ ٢٦٢).

(٢) انظر: تفسير القاسمي (٣/ ٣٨٣)، تفسير أبي السعود (٢/ ٢٤٨).

(٣) انظر: الكشاف (٥٨٢/١)، تفسير النسفي (٤١٠/١).

عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩]. قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يصح أن يتعلق الحب والبغض بالأفعال، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦]"(١).

ح. الإسراف:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الإسراف: مجاوزة الحدِّ في كلِّ فعلٍ أو قولٍ، وهو في الإنفاق أشهر"(٢). والسرف والإسراف: مجاوزة القصد.

وأما السرف الذي نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنه، فهو ما أنفق في غير طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، قليلًا كان أو كثيرًا. والإسراف في النفقة: التبذير. وقوله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان:٦٧]. قيل: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾، أي: لم يضعوه في غير موضعه، ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ لم يقصروا به عن حقِّه(٣). وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأنعام:١٢١]، الإسراف: أكل ما لا يحل أكله، وقيل: هو مجاوزة القصد في الأكل مما أحله الله عَزَّوَجَلَّ(٤).

---

(١) الموافقات (٢/١٩٠).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٥٣).

(٣) اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية. فقال النحاس: "ومن أحسن ما قيل في معناه: إن من أنفق في غير طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فهو الإسراف، ومن أمسك عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فهو الإقتار، ومن أنفق في طاعة الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فهو القوام" معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس (٥/٤٨-٤٩)، وانظر: تفسير القرطبي (١٣/٧٢) فتح القدير، للشوكاني (٤/١٠١)، مفاتيح الغيب (١٣/١٦٥)، الكشف والبيان (٧/١٤٧)، معالم التنزيل (٣/٤٥٦)، الكشاف (٣/٢٩٢)، زاد المسير (٣/٣٢٨)، البحر المحيط في التفسير (٨/١٢٨)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/٧٥)، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٥/٥٣).

(٤) انظر: مادة: (سرف) في كل من (الصحاح) (٤/١٣٧٣)، لسان العرب، (٩/١٤٨)، المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٤٧٦)، تهذيب اللغة، للأزهري (١٢/٢٧٧).

ط. البطر:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفرحين: "المتمدحين الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله ﷻ فيما أعطاهم"[١]. والفرح: السرور، ويستعمل في المحمود، أما الذي يورث أشرًا أو بطرًا فيستعمل في المذموم[٢]، وهو المعنيُّ هنا -كما تقدم-. وقال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "معناه -والله أعلم-: لا تفرح بكثرة المال في الدنيا؛ لأن الذي يفرح بالمال ويصرفه في غير أمر الآخرة مذموم فيه"[٣]. وقيل: لا تفرح، لا تأشر. والمعنيان متقاربان؛ لأنه إذا سُرَّ ربما أَشِرَ[٤].

ي. قطيعة الأرحام:

وقد تقدم، وسيأتي مزيد من البيان في (محبة الأرحام).

ك. الألد الخصم:

ومن الصفات المذمومة التي لا يحبها الله عَزَّوَجَلَّ: الأَلَدُّ الخَصِم، كما جاء في الحديث: ((**إن أبغض الرجال إلى الله: الألد الخصم**))[٥]، أي: الذي يخاصم ويراوغ ويحتال؛ لدفع الحق[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦٢٣/١٩)، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٣٠٠٩/٩)، تفسير ابن كثير (٢٥٣/٦)، الدر المنثور (٦/ ٤٣٨)، تفسير مجاهد (ص:٥٣١).

(٢) انظر: الكليات (ص:٥٠٨)، الصحاح، للجوهري، مادة: (فرح) (٣٩٠/١)،

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١٥٥/٤).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، مادة: (فرح) (٣١١/٣)، لسان العرب (٥٤١/٢).

(٥) صحيح البخاري [٢٤٥٧، ٤٥٢٣، ٧١٨٨]، مسلم [٢٦٦٨].

(٦) ((الأَلَدُّ)): شديد الخصومة، مأخوذ من (لَدِيدَي الوَادِي) وهما جانباه؛ لأنه كلما أقيمت الحجة عليه أخذ في جانب آخر، يعني: أصبح يراوغ ويحتال؛ لدفع الحق. وأما ((الخَصِمُ)) فهو الحاذق بالخصومة. والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق أو إثبات باطل. فالخصم: المائل عن الحق والمولع بالخصومة، والماهر بها.

ل. أبغض الناس إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثلاثة:

جاء في الحديث: ((**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سُنَّةَ الجَاهِلِيَّة، وَمُطَّلِبُ دم امرئ بغير حق؛ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ**))[1].

أخبر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ أبغض الناس إلى الله عَزَّوَجَلَّ هؤلاء الثلاثة، وأن أعظمَ فساد الدنيا: قتلُ النفوس بغير الحق؛ ولهذا كان أكبرَ الكبائر بعد فسادِ الدين الذي هو الكفر[2]، وإنما تضاعف الذنب في الحرم؛ لعظم المكان. و(سنن الجاهلية): ما كان عليه أهلها من الاعتقادات والأعمال الباطلة.

وقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن أعتى الناس على الله عَزَّوَجَلَّ: من قتل في حرم الله، أو قتل غير قاتله، أو قتل بِذُحُولِ الجاهلية**))[3].

---

(١) صحيح البخاري [٦٨٨٢]. ((ملحد)): ظالم مائل عن الحق والعدل بارتكاب المعصية. ((مبتغ)): طالب ومتبع. ((سنة الجاهلية)): طريقتها وعاداتها وأخلاق أهلها. فكل من أراد في الإسلام أن يعمل بشيء من سنن الجاهلية دخل في الحديث. ((ومطلب)): متكلف للطلب وساع وراءه في كل مكان. ((بغير حق)): يستبيح دمه. ((ليهريق دمه)): ليسيله، وهو كناية عن القتل.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط (٢٥٣/١).

(٣) الحديث مروي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وعن وعن أبي شريح الخزاعي. حديث: عمرو بن شعيب: أخرجه أحمد [٦٧٥٧]، وابن زنجويه [٤٥٩]، والحارث كما في (بغية الباحث) [٦٩٧]. حديث أبي شريح: أخرجه أحمد [١٦٣٧٨]، وابن أبي عاصم [٢٣٠٣]، والطبراني في (الكبير) [٤٩٨]، والدارقطني [٣١٤٨]، والحاكم [٨٠٢٥] وصححه ووافقه الذهبي. والبيهقي [١٥٨٩٣]. قال الهيثمي (١٧٤/٧): "قلت: هو في الصحيح غير قوله: ((أو بصر عينيه)). رواه أحمد، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح". وفي بعض الروايات زيادة: ((ومن بَصَّرَ عينيه فى المنام ما لم يره)). وقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بذحول الجاهلية)) جمع: (ذَحْل) -بفتح الذال المعجمة وسكون الحاء المهملة-: وهو الثأر وطلب المكافأة والعداوة أيضًا. والمراد هنا: طلب من كان له دم في الجاهلية بعد دخوله في الإسلام. والمراد أن هؤلاء الثلاثة، أعتى أهل المعاصي، وأبغضهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وإلا فالشرك أبغض إليه من كل معصية، كذا قال المهلب وغيره". نيل الأوطار، للشوكاني (٥٣/٧). أما قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ومن بَصَّرَ عينيه فى المنام ما لم يبصر))، ففيه وعيد على من كذب في المنام، وجاء في حديث آخر: ((من تَحَلَّمَ بِحُلْم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل)) صحيح البخاري [٧٠٤٢]، قال الطبري: "إنما اشتد فيه الوعيد مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه؛ إذ قد تكون شهادة في قتل أو حدٍّ أو أخذ مال؛ لأن الكذب في المنام كذب على الله عَزَّوَجَلَّ أنه أراه ما لم يره، والكذب=

م. الكذب:

جاء في الحديث: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ((**ما كان خلق أبغض إلى رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من الكذب**))(١).

وفي الحديث: ((**عليكم بالصدق؛ فإنَّ الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب؛ فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**))(٢).

"و(الصدق): مطابقة الخبر للواقع وتصويره على ما هو عليه. و(الكذب): عدم مطابقة الخبر للواقع وتصويره على خلاف مما هو عليه(٣). وعبر بالمضارع في (يصدق) و(يكذب) و(يتحرى)؛ ليفيد التجدد، وأن ذلك هو شأنه الذي يتكرر منه. والمعنى: تمسكوا بالصدق والزموه؛ فإن الصدق يوصل إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم، وإن العمل الصالح يوصل إلى الجنة، وإن الرجل ليتكرر منه الصدق، ويتكرر منه تعمد الصدق والقصد إليه والتزامه حتى يكتب عند الله عَزَّوَجَلَّ كتابة خاصة: صديقًا فيثاب ثواب الصديقين ويرضى عليه رضاهم. و(احذروا الكذب واجتنبوه)؛ فإن الكذب يوصل إلى الشر والانبعاث فيه، وأن الشر يوصل إلى النار. وأن الرجل

=على الله أشد من الكذب على المخلوقين؛ لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ الآية [هود:١٨]، وإنما كان الكذب في المنام كذبًا على الله؛ لحديث: ((الرؤيا جزء من النبوة))، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قِبَل الله تعالى". فتح الباري، لابن حجر (١٢/٤٢٨).

(١) أخرجه معمر بن راشد [٢٠١٩٥]، وإسحاق بن راهويه [١٢٤٥]، وأحمد [٢٥١٨٣]، والترمذي [١٩٧٣] وقال: "هذا حديث حسن"، وأخرجه أيضًا: والبزار [٢٠٣]، وابن حبان [٥٧٣٦]، والحاكم وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضًا: البيهقي في (السنن الكبرى) [٢٠٨٢١]، وفي (شعب الإيمان) [٤٤٧٥].

(٢) أخرجه البخاري [٦٠٩٤]، ومسلم [٢٦٠٧] في صحيحهما، واللفظ لمسلم.

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١/٣٤١). ومن الألفاظ ذات الصلة: الافتراء والبهتان والإفك. انظر: الفرق بين الكذب والافتراء والبهتان في (الفروق) (ص: ٤٤٩-٤٥٠).

ليتكرر منه الكذب ويتكرر منه تعمده والقصد إليه حتى يكتب عند الله عَزَّوَجَلَّ كتابة خاصة: كذابًا، فيؤثم إثم الكذابين، ويسخط عليه سخطهم"(١).

وفي المقابل فقد تقدم أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ صدوق يحب الصادقين.

ن. بغض أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وسيأتي بيان ذلك في موضعه.

س. الجعظريُّ الجوَّاظ المستكبر الجَمَّاع المَنَّاع:

ومن الصفات المذمومة التي لا يحبها الله عَجَلَّ ما جاء في الحديث من بيان صفات أهل النار: ((**إن أهل النار: كل جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مستكبر جَمَّاعٍ مَنَّاعٍ، وأهل الجنة: الضعفاء المغلوبون**))(٢). ويقابلها صفات أهل الجنة التي يحبها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

و(الجعظري): -بفتح الجيم والظاء المعجمة بينهما عين مهملة وآخره راء مكسورة ثم تحتانية ثقيلة-.

قيل: هو الفظ الغليظ المتكبر.

وقيل: الجسيم الغليظ الأكول الشروب، أو السمين الثقيل من الشره والتنعم.

---

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد بن باديس (ص:١١٤).

(٢) الحديث مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن سراقة بن مالك. حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أخرجه أحمد [٧٠١٠]، قال الهيثمي (٣٩٣/١٠): "رجاله رجال الصحيح"، وأخرجه أيضًا: الحاكم [٣٨٤٤]، وقال: "صحيح على شرط مسلم". ووافقه الذهبي. حديث سراقة بن مالك: أخرجه أحمد [١٧٥٨٥]، والطبراني في (الكبير) [١٧٥٨٥]، و(الأوسط) [٣١٥٧]، والحاكم [٦٥٩٧]، والبيهقي في (الشعب) [٧٨٢٠]. قال الهيثمي (٢٦٥/١٠): "إسناده حسن". وفي (الصحيحين): ((ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل، جواظ مستكبر)) صحيح البخاري [٤٩١٨، ٦٠٧١]، مسلم [٢٨٥٣].

وقيل: الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده(١).

و(الجواظ) -بفتح جيم وتشديد واو وظاء معجمة-: الضخم المختال في مشيته(٢).

و(الجواظ) فيه تفاسير متعددة(٣)..قيل: إنه الجموع المنوع، يعني: الذي يجمع المال ويمنع ما يجب فيه(٤).

والظاهر أن الجواظ هو الرجل الذي لا يصبر، وهو دائمًا في أنينٍ وحزنٍ وهمٍّ وغمٍّ، معترضًا على القضاء والقدر، لا يخضع له، ولا يرضى بالله عَزَّوَجَلَّ ربًّا. فجواظ يعني: جزوع لا يصبر على شيء، ويرى أنه في قمة أعلى من أن يمسه شيء(٥).

و(الجماع) -بالتشديد-، أي: كثير الجمع للمال.

(المنوع) أي: كثير المنع له والشح والتهافت على كنزه.

ع. الفاحش البذي المتفحش:

جاء في الحديث: ((**ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء**))(٦).

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦٦٣/٨)، فيض القدير (١٠١/٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (جعظر) (٢٧٦/١)، معالم السنن (١١٠/٤)، شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٨٨/١٧).

(٢) انظر: الصحاح، للجوهري، مادة: (جوظ) (١١٧١/٣).

(٣) انظر ما قيل في ذلك مفصلًا في (مرقاة المفاتيح) (٣١٧٦/٨).

(٤) انظر: لسان العرب، مادة: (جوظ) (٤٣٩/٧).

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين (٥٠/٣).

(٦) أخرجه الترمذي [٢٠٠٢]، وقال: "حسن صحيح" عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كما أخرجه الخرائطي في (مساوئ الأخلاق) [٤٩]، وابن حبان [٥٦٩٣]، والبيهقي [٢٠٧٩٨]. وللحديث أطراف.

وفي رواية: ((**إن الله يبغض الفاحش المتفحش**))[1].

قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصل الفحش: الزيادة والخروج عن الحد. قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفاحش: البذيء. قال ابن عرفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفواحش عند العرب: القبائح. وقال الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفاحش: ذو الفحش، والمتفحش: الذي يتكلف الفحش ويتعمده؛ لفساد حاله. وقد يكون المتفحش الذي يأتي الفاحشة[2] أو يجاهر بها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(الفاحش): المجبول على الفحش، وهو: الجفاء في الأقوال والأفعال. و(المتفحش): هو المتعاطي لذلك، والمستعمل له"[3].

وقيل: "الفاحش: المتبلس بالفحش، والمتفحش المتظاهر به؛ لأنه تعالى طيب جميل فيبغض من لم يكن كذلك. قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١]"[4].

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والفحش: الكلام بما يكره سماعه مما يتعلق بالدين. وفي (الصحيح)[5] ولم يكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فاحشًا؛ يعني: لطهارة أخلاقه وأفعاله، ولا متفحشًا، يعني: لم يكن يكتسب ذلك بقول ولا فعل"[6].

و(البذي) "الفاحش في منطقه -وإن كان الكلام صدقًا-"[7].

---

(١) الحديث مروي عن أسامة بن زيد. قال الهيثمي (٨/٦٤): "رواه أحمد والطبراني في (الكبير) و(الأوسط) بأسانيد، وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات". والحديث مروي كذلك عن أبي هريرة وعائشة وعن عبد الله بن عمرو، وله أطراف كثيرة.

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (٧/١٤٤)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/٧٨).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي (٦/١١٦).

(٤) فيض القدير (٢/٢٨٥).

(٥) سيأتي في (حسن الخلق) من (الأخلاق تورث المحبة).

(٦) عارضة الأحوذي (٨/١٤٤).

(٧) فيض القدير (٥/٣٦٠).

وقال المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ: "البذيء -بالذال المعجمة ممدودًا- هو المتكلم بالفحش ورديء الكلام"[1].

وفي (النهاية): "البذاء –بالمد-: الفحش في القول. وفلان بذي اللسان. تقول منه: بذوت على القوم وأبذيت أبذو بذاء. وقد يقال بالهمز وليس بالكثير"[2].

ف. التشدق والتكلف في الكلام:

وفي الحديث: ((**إن الله** عَزَّوَجَلَّ **يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها**))[3].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال**)) "أي: المظهر للتفصح تَيْهًا على الغير[4]، وتفاصحًا، واستعلاءً، ووسيلة إلى الاقتدار على تصغير عظيم، أو تعظيم حقير، أو بقصد تعجيز غيره، أو تزيين الباطل في صورة الحق، أو عكسه، أو إجلال الحكام له ووجاهته وقبول شفاعته، فلا ينافي كون الجمال في اللسان، ولا أن المروءة في البيان، ولا أنه زينة من زينة الدنيا، وبهاء من بهائها، ولا يناقض هذا: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن:٣-٤]؛ لأن جعله من نعم الوهاب آية أن موضع البغض ما كان على جهة الإعجاب والتعاظم. فمن فهم تناقض الخبر والآية فقد وهم، وإلى ذلك المعنى المراد يشير قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة**)): جماعة البقر. ((**بلسانها**))، أي: الذي يتشدق بلسانه كما

(١) الترغيب والترهيب (٣/ ٢٧١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة: (بذا) (١/١١١)، وانظر: الصحاح، للجوهري (٦/٢٢٧٩)، المخصص، لابن سيده (٣/٣٨٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة [٢٦٢٩٧]، وأحمد [٦٥٤٣]، وأبو داود [٥٠٠٥]، والترمذي [٢٨٥٣]، وقال: "حسن غريب". كما أخرجه البزار [٢٤٥٢]، والخرائطي في (مساوئ الأخلاق) [٥٧]، البيهقي في (شعب الإيمان) [٤٦١٨]. و(الباقرة): جمع البقرة، أريد بها الجنس. وقد جاء في رواية الترمذي وغيره: ((يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة)).

(٤) أي: تكبرًا..يقال: تاه يتيه تَيْهًا: تكبر.

تتشدق البقرة. ووجه الشبه: إدارة لسانه حول أسنانه وفمه حال التكلم كما تفعل البقرة بلسانها حال الأكل. وخص البقرة من بين البهائم؛ لأن سائرها تأخذ النبات بأسنانها والبقرة لا تحتش إلا بلسانها، فهي لا تستطيع أن تميز في رعيها بين الرطب والشوك والحلو والمر، بل تلف الكل بلسانها لفًّا"(١).

وهذا الحديث فيه أن الله عَزَّوَجَلَّ يبغض الذي يتكلف البلاغة، ويأتي بشيء عن تقعر وتكلف.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يكره التقعير في الكلام بالتشدق، وتكلف السجع والفصاحة، والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون، وزخارف القول، فكل ذلك من التكلف المذموم، وكذلك تكلف السجع، وكذلك التحري في دقائق الإعراب، ووحشي اللغة في حال مخاطبة العوام، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظًا يفهمه صاحبه فهمًا جليًّا ولا يستثقله"(٢).

وفي الحديث: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**هلك المتنطعون**)) قالها ثلاثًا(٣).

قال العلماء: يعني بالمتنطعين: المبالغين في الأمور.

وفي الحديث: ((**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**))، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: ((**المتكبرون**))(٤).

---

(١) انظر: فيض القدير (٢/ ٢٨٣).

(٢) الأذكار، للإمام النووي (ص:٣٧٢)، وانظر: رياض الصالحين (ص:٤٨٢).

(٣) صحيح مسلم [٢٦٧٠].

(٤) الحديث مروي عن جابر وعن أبي ثعلبة الخشني وعن أبي هريرة. حديث جابر: أخرجه الترمذي [٢٠١٨] وقال: "حسن غريب". كما أخرجه الخرائطي في (مكارم الأخلاق) [٢٤]، وأخرج بقيته في (مساوئ الأخلاق) [٦٣]، و[٥٨٣]، وابن عساكر (٣٩٧/٣٧). حديث أبي ثعلبة الخشني: أخرجه ابن أبي شيبة [٢٥٣٢٠]، وأحمد [١٧٧٣٢]، قال الهيثمي (٢١/٨): "رجاله رجال الصحيح". وأخرجه أيضًا: هناد في (الزهد) [١٢٥٥]، والحارث كما في (بغية الباحث) [٨٥٢]، والخرائطي في (مكارم الأخلاق) [٢٣]، وأخرج بقيته في (مساوئ الأخلاق) [٦٢]، وابن حبان [٤٨٢، ٥٥٥٧]، والطبراني=

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "و(الثرثار): هو الكثير الكلام. و(المتشدق): من يتطاول على الناس في الكلام ويَبْذُو عليهم[1].

واعلم أنه لا يدخل في الذم: تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب؛ لأن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله عز وجل، ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر"[2].

ص. البيَّاع الحلَّاف، والفقير المُخْتَال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر:

جاء في الحديث: ((**أربعة يبغضهم الله يوم القيامة: البيَّاع الحلَّاف، والفقير المُخْتَال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر**))[3].

((**البيَّاع الحلَّاف**)) –بالتشديد–، أي: الذي يكثِرُ الحَلِفَ على سلعته وهو كاذب، لأن الحلاف الكثير الحلف انتهك ما عظم الله من أسمائه وجعله سببًا وحيلة لدرك ما حقره من الدنيا؛ لعظمها في قلبه. فبغضه ومقته هذا في الحلف الصادق فما بالك بالكاذب؟

((**والفقير المختال**)) أي: المتكبر المعجب بنفسه، قد زَوَى الله عنه أسباب الكبر بحمايته له عن الدنيا فأبى لؤم طبعه إلا التكبر، ولم يشكر نعمة الفقر.

=[٥٨٨]، وأبو نعيم في (الحلية) (١٨٨/٥)، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٤٦١٦]، والبيهقي [٢٠٥٨٨] وله أطراف أخرى.

(١) البَذَاء: الفحش في القول. يقال: "بذا على القوم يبذو بذاء بالفتح والمد: سفه وأفحش في منطقه –وإن كان كلامه صدقًا– فهو بذي على فعيل، وامرأة بذية كذلك، وأبذى بالألف وبذي وبذو من بابي: تعب وقرب لغات فيه. وبذأ يبذأ مهموز بفتحهما بذاء وبذاءة بالمد وفتح الأول كذلك، وبذأته العين: ازدرته واستخفت به". المصباح المنير، مادة: (بذو) (٤١/١).

(٢) الأذكار (ص:٣٧٢).

(٣) أخرجه البزار [٨٤٥٣]، والنسائي [٢٥٧٦]، وابن حبان [٥٥٥٨]، والشهاب [٣٢٤]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٤٥١٢]. قال الحافظ العراقي في (المغني عن حمل الأسفار) (ص:١٠٢٥): "سنده جيد".

((**والشيخ الزاني**)) أي: الذي طعن في السن وهو مصر على الزنا، ومثله: الشيخة الزانية. والشيخ الزاني عمر عمرًا يحصل به الانزجار، واستولت أسباب الضعف، وكلها حاجزة عن الزنا، فأبى سوء طبعه إلا التهافت في معصية ربه عَزَّوَجَلَّ.

((**والإمام الجائر**)) أي: الحاكم المائل في حكمه عن الحق العادل إلى الباطل، أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليه بالسيادة والقدرة فأبى شؤم شح طبعه إلا الجور وكفر النعمة[١].

ق. الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

تقدم في الحديث: عن قتادة، عن رجل من خثعم قال: أتيت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو في نفر من أصحابه قال: قلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: ((**نعم**)). قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: ((**إيمان بالله**))، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: ((**ثم صلة الرحم**))، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: ((**الإشراك بالله**))، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: ((**ثم قطيعة الرحم**))، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: ((**ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**))[٢].

ر. قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال:

جاء في الحديث: ((**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**))[٣].

وفي رواية: ((**إن الله حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**))[٤].

---

(١) انظر: فيض القدير (١/٤٧٠)، التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (١/١٤٠).

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه البخاري [١٤٧٧]، مسلم [٥٩٣].

(٤) أخرجه البخاري [٢٤٠٨، ٥٩٧٥، ٦٤٧٣، ٧٢٩٢]، مسلم [٥٩٣].

وفي رواية: ((**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**))(١).

و((**عقوق الأمهات**)): إيذاؤهن وعدم القيام بحقوقهن.

و((**وأد البنات**)): دفنهن أحياء.

و((**منع**)): بسكون النون ويفتح وبفتح العين على أنه مصدر أو ماض. هات: بكسر التاء هو اسم فعل بمعنى أعط. والمراد: الامتناع عن إنفاق المال في وجوهه المشروعة، والحرص على جمعه، وطلب ما لا يستحق.

و((**قيل وقال**)): المراد: كثرة الكلام المفضي إلى الخطأ والزلل. وفي (الفائق): "نهى عن فضول ما يتحدث به المجالسون من قولهم: قيل كذا، وقال كذا"(٢).

والسؤال في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والحديث نوعان:

أحدهما: ما كان على وجه التَّبيين والتَّعلُّم مما تمسُّ الحاجة إليه فهو مباح أو مندوب أو مأمور به.

والآخر: ما كان على طريق التَّكلُّف والتعنُّت فهو مكروه ومنهيٌّ عنه. فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه فإنما هو ردع وزجر للسَّائل، وإن وقع الجواب عنه فهو عقوبةٌ وتغليظٌ، ومنه الحديث: أنه نهى عن كثرة السُّؤال. قيل: هو من هذا. وقيل: هو سؤال الناس أموالهم من غير حاجة. ومنه الحديث الآخر: أنه كره المسائل وعابها(٣) أراد: المسائل الدَّقيقة التي لا يحتاج إليها(٤). وجاء النهي عن سؤال من أجل السؤال من غير فائدة تترتب عليه، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ

---

(١) صحيح مسلم [١٧١٥].

(٢) الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري (٣/٢٣١).

(٣) والحديث له أطراف كثيرة، انظر: صحيح البخاري [٤٧٤٥، ٥٢٥٩، ٥٣٠٨، ٧٣٠٤]، ومسلم [١٤٩٢].

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (سأل) (٢/٨٢٦).

حَلِيمٌ﴾ [المائدة:١٠١]. وقد أكثر بنو إسرائيل سؤال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير فائدة، وكان ذلك من أسباب ضلالهم وكفرهم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة:١٠٨].

كما أن كل رسول يخاطِب قومه ويبلِّغهم ما يحتاجونه، فينبغي أن يحرص قومه على الاستفادة، دون هدرٍ منهم لوقته في القيل والقال، وكثرة السؤال. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم**))(١).

ويأتي السؤال بمعنى التعنت والاستكبار كما في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا..﴾ الآيات [الإسراء:٩٠ - ٩٣].

وليس في الكتاب والسنَّة تنفير من السؤال النَّافع، بل حثٌّ عليه كما جاء الآيات كما في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة:٢١١]، ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ﴾ [يونس:٩٤]، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل:٤٣]، ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الزخرف:٤٥]. وكما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أتدرون ما المفلس؟**))(٢)، ((**ما تعدون أهل بدر فيكم؟**))(٣)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي: السؤال**))(٤).

ولذلك جاء المنهج القرآني معلِّمًا للمخاطَبين أن يسألوا سؤالًا نافعًا فنهى عن سؤال لا نفع فيه، وكان التوجيه كذلك من خلال الجواب على طريقة: (أسلوب

(١) صحيح البخاري [٧٢٨٨]، ومسلم [١٣٣٧].

(٢) صحيح مسلم [٢٥٨١].

(٣) صحيح البخاري [٣٩٩٢].

(٤) والحديث مروي عن جابر وعن ابن عباس. حديث جابر: أخرجه أبو داود [٣٣٦]، والدارقطني [٧٢٩]، والبيهقي [١٠٧٥]. حديث ابن عباس: أخرجه عبد الرزاق [٨٦٧]، وأحمد [٣٠٥٦]، والدارمي [٧٧٩]، وابن ماجه [٥٧٢]، وأبو داود [٣٣٧]، وأبو يعلى [٢٤٢٠]، والطبراني [١١٤٧٢]، والدارقطني [٧٣٣]، والحاكم [٦٣٠]، قال الذهبي: "على شرطهما". والبيهقي [١٠٧٤] وللحديث أطراف أخرى. و(العِي): الجهل.

الحكيم)، كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩][١].

وللسؤال أهمية كبيرة في طلب العلم. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومفتاح العلم: حسن السؤال حسن الإصغاء"[٢]. وقال: "وللعلم ست مراتب، أولها: حسن السؤال.."[٣].

وقد ذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب (الحياء في العلم) قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر. وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: نعم النساءُ نساء الأنصار لم يمنعهنَّ الحياء أن يتفقهن في الدين[٤].

وقد كان الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يحرصون على التعلم والسؤال حتى ممن هو دونهم، كما في قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

خاتمة:

إن ما تقدم بيانه من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة فيه بيان ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ، وما يبغضه، فينبغي على كل محبٍّ أن يحرص على أداء المأمورات، وأن يحترز عن المكروهات، وأن يدلل على صدق دعواه بلسان العمل.

---

(١) (أسلوب الحكيم): تلقِّي المخاطَب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد؛ إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى. فقد سأل أصحاب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الأهلة: لم تبدو صغيرة ثم تزداد حتى يتكامل نورها ثم تتضاءل حتى لا ترى؟ وهذه مسألة من مسائل (علم الفلك) يحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة، فصرفهم القرآن الكريم عن هذا ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات؛ إشارة منه إلى أن الأولى بهم أن يسألوه عن هذا.

(٢) حادي الأرواح (ص:٤٨).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (١٦٩/١).

(٤) صحيح البخاري (٣٨/١).

رابعًا: الأسباب الجالبة لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ:

وهاك بعض الأسباب الجالبة لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ:

١ - قراءة القرآن بالتدبر، والتفهم لمعانيه وما أريد به.

٢ - التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالنوافل بعد الفرائض.

٣ - دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال.

٤ - إيثار محابه على محابك عند غلبة الهوى، والتسنم(١) إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

٥ - مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها. وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبه لا محالة.

٦ - مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة؛ فإنها داعية إلى محبته.

وقد جبلت القلوب على محبة من أحسن إليها، وذلك من شكر المنعم على نعمه، والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

٧ - انكسار القلب بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ.

٨ - الخلوة وقت النزول الإلهي، لمناجاة الله عَزَّوَجَلَّ، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه. ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

ففي الأسحار نسمات ينالها المقربون، ففي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إذا مضى شطر الليل، أو ثلثاه، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل يعطى؟ هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ حتى ينفجر الصبح**))(٢)، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ

---

(١) يقال: تسنمت الحائط: علوته. وفلان قد تسنم ذروة الشرف. ورجل سنيم: عالي القدر.

(٢) صحيح مسلم [٧٥٨].

وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران:١٦-١٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات:١٧-١٨].

٩ - مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر.

١٠ - مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ[١].

١١ - التفكر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله عَزَّوَجَلَّ من شيء، وتدبر آياته.

١٢ - الصدق والإخلاص، ومخالفة الهوى؛ فإن ذلك سبب لفضل الله عَزَّوَجَلَّ على عبده وأن يمنحه محبته.

١٣ — معرفة ما أعده الله عَزَّوَجَلَّ لعباده الصالحين في الآخرة من النظر إلى وجهه الكريم، وتأمل نصوص الكتاب وصحيح السنة في بيان أحوال أهل الجنة. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. وفي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ((**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]))[٢]. فأي جزاء أعظم من هذا؟!

خامسًا: ثمرات محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

١ - التوفيق والحفظ والعناية:

إن محبة الله عَزَّوَجَلَّ لعبده لها ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة، فيكفيه أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ معه في كل صغيرة وكبيرة، يوفقه، ويسدده، ويحفظه، ويرعاه، يحفظ سمعه عن السماع لما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ، ويحفظ بصره عن رؤية ما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ، ويحفظ

---

(١) بتصرف عن (مدارج السالكين) (٣/١٨-١٩).

(٢) صحيح البخاري [٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٧٤٩٨]، مسلم [٢٨٢٤، ٢٨٢٤، ٢٨٢٤، ٢٨٢٥].

يده عن أن تفعل ما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ، ويحفظ قدمه من أن تمشي إلى ما يكرهه الله عَزَّوَجَلَّ، ويحفظ جوارحه كلها عن كل ما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ ويغضبه. ويحبه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض بين الناس، وينجو من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر.

وفي الحديث: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**))(١)، يعني: إساءته بفعل ما يكره.

وفي الحديث: ((**إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء**))(٢).

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إذا أحب الله عبدًا حماه**))، أي: حفظه من متاع ((**الدنيا**))، أي: حال بينه وبين نعيمها وشهواتها، ووقاه أن يتلوث بزهرتها؛ لئلا يمرض قلبه بها وبمحبتها وممارستها ويألفها ويكره الآخرة.

((**كما يحمي**))، أي: يمنع.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الحديث مروي عن محمود بن لبيد عن قتادة، وعن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج. حديث محمود بن لبيد عن قتادة: أخرجه الترمذي [٢٠٣٦]، وقال: "حسن غريب". وأخرجه أيضًا: ابن أبي عاصم [١٩٥٧]، وابن حبان [٦٦٩]، الطبراني [١٧]، والحاكم [٧٤٦٤]، وقال: "صحيح الإسناد". ووافقه الذهبي، كما أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) [١٠٤٤٨]. حديث محمود بن لبيد عن رافع بن خديج: أخرجه الطبراني [٤٢٩٦]، قال الهيثمي (٢٨٥/١٠): "إسناده حسن". كما أخرجه الشهاب [١٣٩٧].

((**أحدكم سقيمه الماء**))، أي: شربه إذا كان يضره، والأطباء تحمي شرب الماء في أمراض معروفة.

٢ – أن يحببه إلى العباد:

إذا أحب الله عَزَّوَجَلَّ عبدًا حببه لعباده؛ ففي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: ((**إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**))[1]. وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦]، أي: حبًّا ومودة في قلوب الخلق.

وقال سمنون: ذهب المحبون لله عَزَّوَجَلَّ بشرف الدنيا والآخرة؛ لأنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: ((**المرء مع من أحب**))[2]، فهم مع الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا والآخرة[3].

٣ – أن يُؤتى المحبُّ الإيمانَ ويتذوق حلاوته:

ومن ثمرات محبة الله عَزَّوَجَلَّ: أن يؤتى المحب الإيمان كما في الحديث: ((**إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب**))[4].

وأن يتذوق المسلم حلاوة الإيمان، فيحيا حياة السعداء؛ لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..**)) الحديث[5].

(١) صحيح البخاري [٣٢٠٩، ٦٠٤٠، ٧٤٨٥]، مسلم [٢٦٣٧].
(٢) صحيح البخاري [٦١٦٩، ٦١٧٠]، مسلم [٢٦٤٠].
(٣) انظر: روضة المحبين (ص: ٤٠٩).
(٤) تقدم.
(٥) صحيح البخاري [١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١]، مسلم [٦٧]..

٤ – الأمن من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ:

ويدل عليه قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨].

روي أن الشبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سأل أبا بكر بن مجاهد: أين تجد في القرآن أن المحب لا يعذب حبيبه؟ فلم يهتد ابن مجاهد، فقال له الشبلي في قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: وهذا الذي قاله حسن، وله شاهد في (المسند) للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: مرَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار. قال: فخفضهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ((**لا، والله ما يلقي حبيبه في النار**))[٢].

٥ – القناعة والرضا وغنى النفس:

إن من أهم أسباب السعادة والاطمئنان: ما تورثه المحبة من الاقتناع والرضا بقضاء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وقدره.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٦٩).

(٢) حديث: (والله لا يلقى الله حبيبه فى النار) أخرجه أحمد [١٢٠١٨، ١٣٤٦٧]، والبزار [٦٥٧٩]، قال الهيثمي (١٠/٢١٣): "رواه أحمد، والبزار، ورجالهما رجال الصحيح"، وأخرجه أيضًا: أبو يعلى [٣٧٤٧]، والحاكم [١٩٤]، وقال: "صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي. كما أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) [٦٧٣١].

وقد قيل في تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]: الحياة الطيبة: القناعة(١).

كما قيل في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤]: إن فيه إشارة إلى القناعة، أي: اقنع بما أعطيتك، ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، أي: من المظهرين لإحساني إليك وفضلي عليك(٢).

والمحبون يصبرون على ما أصابهم في الدنيا من الابتلاء والنصب، ويثقون بالعاقبة والمآل، وقد علموا أن الدنيا ليست دار إقامة، وفيها الابتلاء والتصفية، وأن الصبر والشكر مما يقربهم إلى المحبوب، وهو يدفع عنهم الضر والكروب.

٦ – حسن الخُلق والرفق بالخَلق:

وسيأتي بيانه في (الأخلاق تورث المحبة).

٧ – الخاتمة الحسنة:

ففي الحديث: ((**إذا أراد الله بعبد خيرًا عسله**))، قيل: وما عسله؟! قال: ((**يفتح له عملًا صالحًا قبل موته، ثم يقبضه عليه**))(٣).

---

(١) قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (تفسيره) (١٧/ ٢٩٠) "حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو عصام، عن أبي سعيد، عن الحسن البصريّ، قال: الحياة الطيبة: القناعة"اهـ. وعزاه الماوردي في (النكت والعيون) (٣/ ٢١٢) إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن البصري. والقرطبي (١٠/ ١٧٤) إلى الحسن البصري وزيد بن وهب ووهب بن منبه، قال: ورواه الحكم عن عكرمة عن ابن عباس، وهو قول علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. والسمعاني في (تفسيره) (٣/ ٢٠٠) إلى مجاهد وعكرمة.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٨١)، وتفسير ابن جزي (١/ ٣٠١).

(٣) الحديث مروي عن أبي عنبة وعن أبي أمامة وعن عائشة وعن عن عمرو بن الحمق الخزاعي. حديث أبي عنبة: أخرجه أحمد [١٧٧٨٤]، وابن أبي عاصم في (السنة) [٤٠٠]، والطبراني في (الشاميين) [٨١٩]. قال الهيثمي (٧/ ٢١٥): "رواه أحمد والطبراني، وفيه بقية، وقد صرح بالسماع في المسند، وبقية رجاله ثقات". كما أخرجه القضاعي [١٣٨٩]. حديث أبي أمامة: سيأتي. حديث عائشة: أخرجه=

وفي رواية: ((**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله**))، فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: ((**يوفقه لعمل صالح قبل الموت**))(١). قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فمن كان مشغولًا بالله عَزَّوَجَلَّ وبذكره ومحبته في حال حياته، وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله عَزَّوَجَلَّ"(٢).

وفي رواية: عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((**إذا أراد الله بعبد خيرا طهره قبل موته**))، قالوا: يا رسول الله، وما طهور العبد؟ قال: ((**عمل صالح يلهمه إياه، حتى يقبضه عليه**))(٣).

فمن أراد الله عَزَّوَجَلَّ به خيرًا طهره من المادة الخبيثة قبل الوفاة حتى لا يحتاج لدخول النار ليطهره فيلهمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التوبة ولزوم الطاعات وتجنب المخالفات أو يصاب بالمصائب وأنواع البلاء المكفرات ليطهر من خبائثه مع كراهته لما أصابه.

=الطبراني في (الأوسط) [٤٦٥٦]. قال الهيثمي (٢١٥/٧): "رجاله رجال الصحيح، غير يونس بن عثمان، وهو ثقة". حديث عمرو بن الحمق الخزاعي: أخرجه ابن أبي شيبة [٨٦٢]، وابن حميد [٤٨١]، وابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني) [٢٣٤٠]، والبزار [٢٣٠٩]، والخرائطي في (مكارم الأخلاق) [٢٦٣]، وابن حبان [٣٤٢]، والطبراني في (الأوسط) [٣٢٩٨]، والشاميين [١٨٣]، والحاكم [١٢٥٨]، والبيهقي في (الزهد) [٨١٨]. قال العراقي في (تخريج الإحياء) (ص:٦٧٨): "رواه أحمد من حديث أبي عنبة الخولاني، ورواه الخرائطي في (مكارم الأخلاق)، والبيهقي في (الزهد) من حديث عمرو بن الحمق. زاد الخرائطي: قيل وما عسله؟ قال: ((حببه إلى جيرانه))، وقال البيهقي: (يفتح له عملًا صالحًا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله) وإسناده جيد".

(١) الحديث مروي عن أنس وعن عمر الجمعي. حديث أنس: ابن المبارك في (الزهد) [٩٧٠]، وأحمد [١٢٠٣٥]، وابن حميد [١٣٩٣]، والترمذي [٢١٤٢]، وقال: "حسن صحيح". وأخرجه أيضًا: ابن أبي عاصم [٣٩٣]، وأبو يعلى [٣٨٤٠]، وابن حبان [٣٤١]، والطبراني في (الأوسط) [١٩٤١]، والحاكم [١٢٥٧]، وقال: "صحيح على شرط الشيخين". كما أخرجه الضياء [١٩٣٦]، وقال: "إسناده صحيح". حديث عمر الجمعي: أخرجه أحمد [١٧٢١٧]، قال الهيثمي (٢١٥/٧): "فيه بقية، وقد صرح بالسماع، وبقية رجاله ثقات". وأخرجه ابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني) [٢٧٠٥].

(٢) طريق الهجرتين (ص:٣٠٨).

(٣) أخرجه الطبراني في (الكبير) [٧٩٠٠]. قال الهيثمي (٢١٥/٧): رواه الطبراني من طرق، وفي بعضها: (عسله) بدل (طهره)، وفي إحدى طرقه: بقية بن الوليد، وقد صرح بالسماع، وبقية رجالها ثقات". قال العلامة المناوي: "فالحكم عليه بالضعف في غاية الضعف" فيض القدير (٢٥٧/١).

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]. ولهذا كان الأب أو الأم يسوق لولده الحجام أو الطبيب ليعالجه بالمراهم المؤلمة الحادة ولو أطاع الولد لما شفي(١).

(١) فيض القدير (١/٢٥٧).

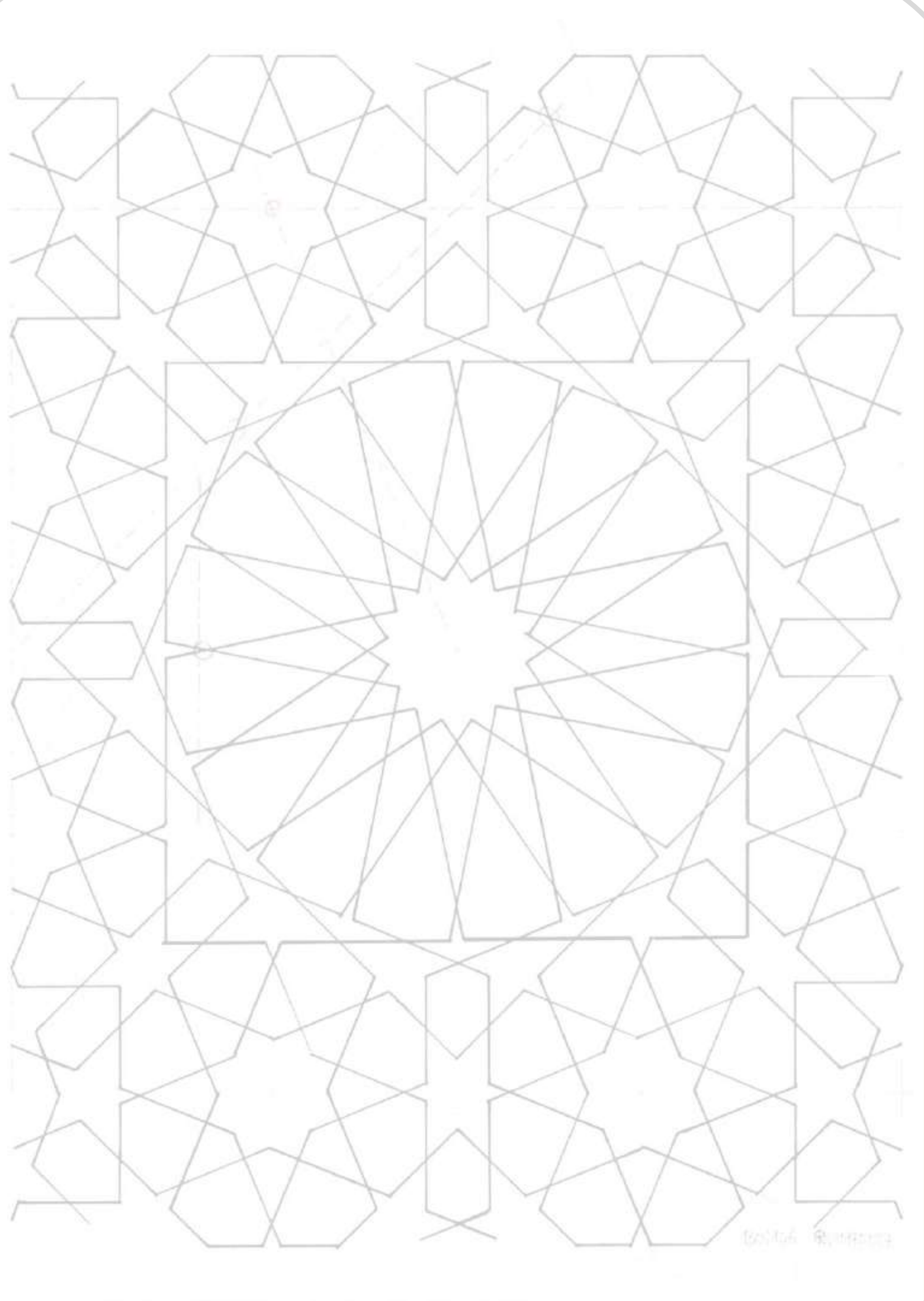

المبحث الثاني

محبة العبد لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

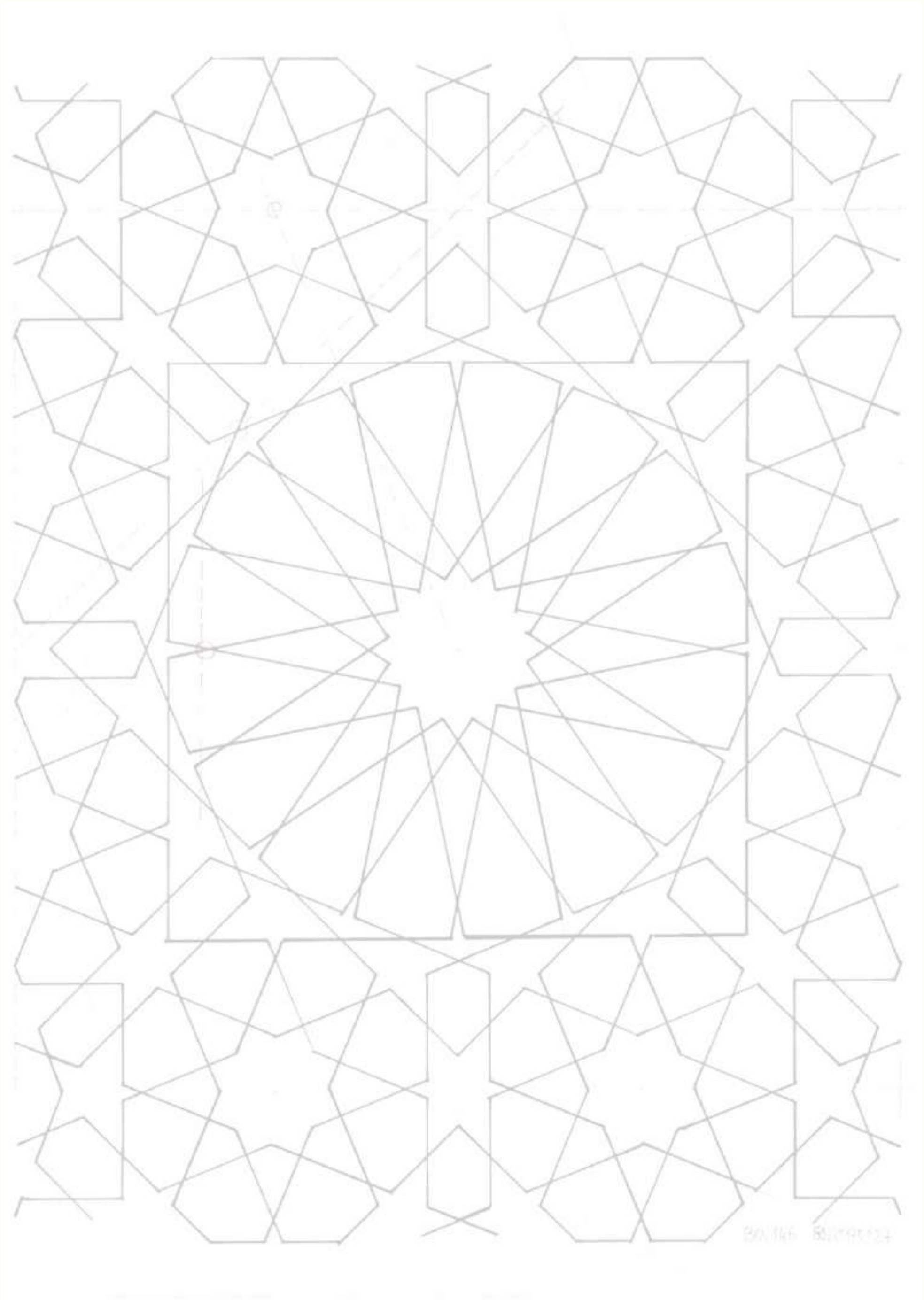

أولًا: بيان معنى محبة العبد لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وحكمها:

١ - بيان المعنى:

قال القاضي عياض رَحِمَهُٱللَّهُ في (شرحه لصحيح مسلم): "ومعنى حب العبد لله عَزَّوَجَلَّ: استقامته في طاعته، والتزام أوامره ونواهيه في كل شيء؛ ولهذا قال بعضهم: المحبة: (مواطأة القلب على ما يرضي الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فيحب ما أحب، ويكره ما كره).

واختلفت العبارات في هذا الباب بما لا يؤول إلى اختلاف إلَّا في اللفظ. وبالجملة أصل المحبة: الميل إلى ما يوافق المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه، كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها. وقد يستلذه بِعَقْلِه للمعاني الباطنة، كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقًا، وقد يكون لإحسانه إليه، ودفعه المضار والمكاره عنه. وهذه المعاني كلها موجودة في النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين، بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعم، والإبعاد من الجحيم. وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ فإن الخير كله منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. قال مالك رَحِمَهُٱللَّهُ وغيره: المحبة في الله عَزَّوَجَلَّ من واجبات الإسلام"(١).

٢ - بيان الحُكم والمكانة:

أجمعت الأمة على أن حب الله عَزَّوَجَلَّ وحب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فرض(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: "محبة الله عَزَّوَجَلَّ، بل محبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله، وأجلِّ قواعده؛ بل هي أصل

---

(١) إكمال المعلم، للقاضي عياض (٢٠٣/١)، بقليل من التصرف، وانظر: شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٤/٢)، عمدة القاري (١٤١/١-١٤٩)، فيض القدير (٦٢/١)، مرعاة المفاتيح (٥٠/١).

(٢) نقل الإجماع الإمام الغزالي رَحِمَهُٱللَّهُ في (إحياء علوم الدين) (٢٩٤/٤)، وقد نقله عنه ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُٱللَّهُ في (منهاج القاصدين) (ص:٣٧٣).

كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين"[(١)].

وهذه المحبة من شروط الإيمان؛ لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤].

ولقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**))[(٢)].

إنَّ محبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست مجرد الاتباع، بل هي أساس الاتباع وباعثه، وهي واجب من الواجبات.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤] جاءت هذه الآية تفضح كذب المدعين، وتختبر حبَّ الإنسان لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقوله في هذه الأشياء إذا كانت ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ يدل على أن محبة هذه الأشياء في الأصل لا حرج فيها، فالإنسان يحب والده، ويحب ولده، ويحب أخاه، ويحب قبيلته، ويحب ماله، ويحب تجارته، ويحب مسكنه. فأصل المحبة لهذه الأشياء مباح؛ لأنها من المحبة الطبيعية، لكن إنما يأتي اللوم إذا قدَّم محبة هذه الأشياء على محبة الله عَزَّوَجَلَّ فأخَّرته هذه الأشياء عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن الهجرة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٤٨-٤٩)، وانظر: أمراض القلب وشفاؤها (ص:٥٩)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية (٢/١٩٦).

(٢) صحيح البخاري [١٤، ١٥]، انظر: إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي (٤/٢٩٤)، مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي (ص:٣٧٣)، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦/١٨٧).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفي الآية دليل على وجوب حب الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب"(١).

وقال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها هو الله ﷻ الذي جعلها أشياء، فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله ﷻ فكأنه لم يعرف شيئًا. وعلامة المعرفة: المحبة؛ فمن عرف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحبه. وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات"(٢).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان لزوم محبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فكفى بهذا حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على التزام محبته ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ قرع الله عَزَّوَجَلَّ من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله ﷻ: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة:٢٤]، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"(٣).

وقد بيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مقياس الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ امتلاء القلب بمحبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحيث تغدو متغلبة على محبة الولد والوالد والناس أجمعين، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((**لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**))(٤) ليس نفيًا لأصل الإيمان، وإنما هو نفيٌ لكمال الإيمان، أي: لا يكمُل إيمان أحدكم. هذا إذا كان يحب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن لا يقدم محبته على محبة غيره من الخلق. أما إذا كان الإنسان لا يحب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلًا، بل يبغض الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا كافر. أما الذي يحب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنه يقدِّم محبة ولده ووالده على محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا ناقصُ الإيمان، بل لا يكمُل إيمان العبد، ولا يتم حتى يكون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبَّ إليه من نفسه التي بين

---

(١) تفسير القرطبي (٨/٩٥)، وانظر: الاستقامة، لابن تيمية (١/٢٦٣- ٢٦٤).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٦٣).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٤٣).

(٤) صحيح البخاري [١٥]، مسلم [٤٤].

جنبيه، وأحب إليه من ولده الذي هو بضْعَةٌ منه وجزءٌ منه، وأحب إليه من والده الذي هو أصله والمحسِن إليه، وأحب إليه من النَّاس أجمعين أيًّا كانوا.

وهذا يقتضي أن الإنسان يقدِّم طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طاعة غيره: فإذا أمرك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر وأمرك والدك أو ولدك أو أحد من النَّاس بأمر يخالف أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يجب عليك معصية هذا الآمر وطاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

وقال عبد الله بن هشام: كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلَّا من نفسي، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**)) فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**الآن يا عمر**))[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**من أشد أمتي لي حُبًّا، ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**))[٣].

ومحبة الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير ما يعده الإنسان للقاء الله عَزَّ وَجَلَّ، فهي سبب دخول الجنة، والنجاة من النار، ففي حديث: أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا سأل

---

(١) انظر: إعانة المستفيد، صالح الفوزان (٢/٤١- ٤٢).

(٢) صحيح البخاري [٦٦٣٢]، مسلم [١٤٠٠]. قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ في (أعلام الحديث) (٤/٢٢٨٢): "حب الإنسان نفسه طبع، وحبه غيره اختيار بتوسط الأسباب، وإنما أراد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله لعمر حب الاختيار؛ إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه. يقول: لا تصدق في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك، وتؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك". وقال الحافظ في (الفتح) (١١/٥٢٨): "فعلى هذا فجواب عمر أوَّلًا كان بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليه من نفسه؛ لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى، فأخبر بما اقتضاه الاختيار؛ ولذلك حصل الجواب بقوله: ((الآن يا عمر))، أي: الآن عرفت فنطقت بما يجب". وانظر: شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (٢/١٥)، طرح التثريب في شرح التقريب (٦/٢٢٨- ٢٢٩).

(٣) صحيح مسلم [٢٨٣٢].

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: ((**وماذا أعددت لها**))، قال: لا شيء، إلَّا أني أحب الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ((**أنت مع من أحببت**))، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما فرحنا بشيء، فرحنا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أنت مع من أحببت**))، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((**فأنا أحب النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم**))[(١)].

وفي رواية: قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: ((**أنت مع من أحببت**))[(٢)].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحبَّ قومًا ولم يلحق بهم؟

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**المرء مع من أحب**))[(٣)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومحبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على درجتين:

إحداهما: فرض: وهي المحبةُ التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عند الله وتلقِّيه بالمحبة والرِّضا والتعظيم والتسليم وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكليَّة، ثم حسن الاتباع له فيما بلَّغه عن ربِّه من تصديقه في كلِّ ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجباتِ، والانتهاء عمَّا نهى عنه من المحرَّمات، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بدَّ منه، ولا يتمُّ الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية فضل: وهي المحبة التي تقتضي حسن التَّأسِّي به، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب عند ذكره، وكثرة الصلاةِ عليه لما سكن في القلب من محبَّته وتعظيمه

---

(١) صحيح البخاري [٣٦٨٨]، مسلم [٢٦٣٩].

(٢) صحيح البخاري [٦١٧١]، مسلم [٢٦٣٩].

(٣) صحيح البخاري [٦١٦٩، ٦١٧٠] مسلم [٢٦٤٠].

وتوقيره، ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين. ومن أعظم ذلك: الاقتداء به في زهده في الدُّنيا والاجتزاء باليسير منها، ورغبته في الآخرة"(١).

و"محبة السنة وسيلة إلى محبة صاحبها فمن لم يحصل له كمال محبته عليه الصلاة والسلام فليواظب على سنته فيحصل محبته بالاضطرار"(٢).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن محبته: نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته، فيبذل نفسه وماله دونه"(٣).

ولأن يكون الحب هو الباعث على الاتباع فذلك أسمى من أن يكون ترغيبًا وترهيبًا.

قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا شك أن داعي العبادة التعظيم والإجلال، وهو إما عن محبة أو عن خوف مجرد، وأهمه ما كان عن محبة؛ لأنه يرضي نفس فاعله"(٤).

لقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ الرجال الذين يصلحون لدينه بأنهم قوم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة:٥٤].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فأهل التوحيد الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يبقى منهم في العذاب أحد، والذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونهم كحبه، وعبدوا غيره هم أهل الشرك الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء:٤٨]"(٥).

---

(١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ص:٨٥).

(٢) بريقة محمودية، للخادمي (١/ ٧٨).

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (١/٢٠٤).

(٤) التحرير والتنوير (١/١٨٢- ١٨٣).

(٥) قاعدة في المحبة (ص:١١).

فلا يتذوق القلب حلاوة الإيمان[1] إلَّا بمحبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

فعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: ((**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**))[2].

والإيمان بالله تعالى له حلاوةٌ لا يتذوق طعمها إلَّا المؤمنون الصادقون الذين يتصفون بصفات تؤهلهم لذلك، وليس كل من ادعى الإيمان يجد هذه الحلاوة.

إن هناك من يحب امرأة أكثر من حبه لله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك هناك من يحب المال أو المصلحة أكثر من حبِّه لله عَزَّوَجَلَّ، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]. فالآية تدل على أن من كان حبه لغير الله عَزَّوَجَلَّ كحبه لله فكأنه قد جعل له ندًّا -وإن كان يحب الله-؛ ولذلك سيأتي يوم القيامة من يقول: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "ومن الشرك نوع غير مغفور، وهو الشرك بالله في المحبة والتعظيم، بأن يحب مخلوقًا كما يحب الله عَزَّوَجَلَّ. فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الشرك الذي قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا..﴾ [البقرة:١٦٥] الآية، وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم، وقد جمعتهم الجحيم: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨].

ومعلوم أنهم ما سووهم به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الخلق والرزق، والإماتة والإحياء، والملك والقدرة، وإنما سووهم به في الحب والتأله، والخضوع لهم والتذلل. وهذا غاية الجهل والظلم فكيف يسوَّى من خلق من التراب، برب الأرباب؟ وكيف يسوَّى العبيد بمالك الرقاب، وكيف يسوى الفقير بالذات، الضعيف بالذات، العاجز بالذات، المحتاج

---

(١) ((وجد حلاوة الإيمان)): انشرح الصدر، والتلذذ بالطاعة، وتحمل المشاق في الدين. ((لا يحبه إلا لله)) لا يقصد من حبه غرضًا دنيويًّا.

(٢) صحيح البخاري [١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١]، مسلم [٦٧].

بالذات، الذي ليس له من ذاته إلا العدم، بالغني بالذات، القادر بالذات، الذي غناه وقدرته وملكه ووجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام، من لوازم ذاته؟ فأي ظلم أقبح من هذا؟ وأي حكم أشد جورًا منه؟ حيث عَدَلَ من لا عِدْلَ[1] له بخلقه، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]. فَعَدَلَ المشرك من خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، فيا لك من عَدْل تضمن أكبر الظلم وأقبحه!"[2].

إنَّ أعظم مرض للقلب أن لا يقوم بالمهمة التي خلق من أجلها، والتي هي معرفة الله ﷻ ومحبته.

فما قيمة أن تعرف كل شيء عن الدنيا وأنت لا تعرف شيئًا عن الله عَزَّوَجَلَّ؟!

وما قيمة أن تمد جسور الصلة مع المخلوقين وتقطعها مع الخالق؟!

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "حب الله عَزَّوَجَلَّ أصل التوحيد العملي.."، وقال: "أصل الإشراك العملي بالله عَزَّوَجَلَّ: الإشراك في المحبة، المؤمنون يحبون لله عَزَّوَجَلَّ ويبغضون لله عَزَّوَجَلَّ"[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن خصائص الإلهية: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل. هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين. فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله عَزَّوَجَلَّ فقد شبهه به في خالص حقه، وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيرت الشياطين فطر الخلق وعقولهم وأفسدتها

---

(١) العِدْل: بالكسر: المِثْل.

(٢) الجواب الكافي (ص:١٣٢- ١٣٢)، تفسير القاسمي (٦/ ٢٢٨- ٢٢٩).

(٣) قاعدة في المحبة (ص: ٦٨- ٦٩).

عليهم، واجتالتهم عنها، ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسنى، فأرسل إليهم رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم، فازدادوا بذلك نورًا على نور، ﴿يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور:٣٥]"(١).

قال بعض العارفين: "إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طربًا بأنسه بالله عَزَّوَجَلَّ وحبه له، وقال آخر: مساكين أهل الغفلة، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها. وقال آخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. ووجدان هذه الأمور وذوقها هو بحسب قوة المحبة وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب والقرب منه. وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوفر، كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى. فمن كان بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأسمائه وصفاته أعرف، وفيه أرغب، وله أحب، وإليه أقرب..وجد من هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يعرف إلا بالذوق والوجد، ومتى ذاق القلب ذلك لم يمكنه أن يقدم عليه حبًّا لغيره.."(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته، ثم لا تطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه، ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه، وأعجب من هذا علمك أنك لابد لك منه، وأنك أحوج شيء إليه، وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب"(٣).

وقال: "فهذه محبة تنشأ من مطالعة المنن والإحسان، ورؤية النعم والآلاء. وكلما سافر القلب بفكره فيها ازدادت محبته وتأكدت، ولا نهاية لها فيقف سفر القلب

---

(١) الجواب الكافي (ص:١٣٦-١٣٧).

(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١٩٧/٢- ١٩٨).

(٣) الفوائد، لابن القيم (ص:٤٧).

عندها، بل كلما ازداد فيها نظرًا ازداد فيها اعتبارًا وعجزًا عن ضبط القليل منها، فيستدل بما عرفه على ما لم يعرفه، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ دعا عباده إليه من هذا الباب، حتى إدا دخلوا منه دعوا من الباب الآخر وهو باب: (الأسماء والصفات) الذي إنما يدخل منه إليه خواص عباده وأوليائه، وهو باب المحبين حقًّا الذي لا يدخل منه غيرهم، ولا يشبع من معرفته أحد منهم، بل كلما بدا له منه علم ازداد شوقًا ومحبة وظمأ.

فإذا انضم داعى الإحسان والإنعام إلى داعى الكمال والجمال لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها، وأشدها نقصًا، وأبعدها من كل خير؛ فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده، فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحسانًا منه سبحانه وتعالى، ولا شيء أكمل منه ولا أجمل، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعه سبحانه وتعالى، وهو الذى لا يحد كماله، ولا يوصف جلاله وجماله، ولا يحصى أحد من خلقه ثناءً عليه بجميل صفاته وعظيم إحسانه وبديع أفعاله، بل هو كما أثنى على نفسه.

وإذا كان الكمال محبوبًا لذاته ونفسه وجب أن يكون الله هو المحبوب لذاته وصفاته؛ إذ لا شيء أكمل منه، وكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته تستدعى محبه خاصة؛ فإن اسمائه كلها حسنى وهى مشتقة من صفاته، وأفعاله دالة عليها، فهو المحبوب المحمود لذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه.

فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل وعلى كل أمر، إذ ليس في أفعاله عبث، ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، وكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والثناءَ والمحبة عليه، وكلامه كله صدق وعدل، وجزاؤه كله فضل وعدل: فإنه إن أعطى فبفضله ورحمته ونعمته، وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته"(١).

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص:٣١٧- ٣١٧).

"فلا ينبغي أن تنقطع صلة الحب بين الإنسان وربه عَزَّوَجَلَّ، فهي تلك الصلة التي تسمو به إلى آفاق الكمال، وتجعله مطمئنًا واثقًا من نفسه، مؤمنًا بسلامة تصرفاته، وحريصًا على أن يبذل ويضحي في سبيل المبادئ السامية، وابتغاء مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يبخل ولا يجبن؛ إيثارًا للمال أو رغبة في منصب أو جاه.

وإذا أخلص الإنسان في حبِّه لربه عَزَّوَجَلَّ فإن الله يحبه؛ لأن الله يحب عباده المتقين الصالحين"(١) -كما تقدم-.

ومحبة الله عَزَّوَجَلَّ مستلزمة لمحبة ما يحبه، ومحبة ملائكته وأنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعباده الصالحين. بل محبة الله عَزَّوَجَلَّ مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]؛ فإنَّ اتباع رسوله هو من أعظم ما أوجبه الله تعالى على عباده وأحبه. وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُبْغِضُ من لم يتبع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فمن كان صادقًا في دعوى محبة الله عَزَّوَجَلَّ اتبع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا محالة، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

والذنوب تنقص من محبة الله تعالى بقدر ذلك لكن لا تزيل المحبة لله ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب ولم تكن الذنوب عن نفاق كما في (صحيح البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث: حمار الذي كان يشرب الخمر، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقيم عليه الحد، فلما كثر ذلك منه لعنه رجل فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله**))(٢). وفيه دلالة على أنا منهيون عن لعن أحد بعينه -وإن كان مذنبًا- إذا كان يحب الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

وإنما تنشأُ المعاصي من تقديم هوى النفس على محبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) الإنسان وصحته النفسية، د. سيد صبحي (ص:١٦٢).

(٢) صحيح البخاري [٦٧٨٠].

(٣) انظر: قاعدة في المحبة (ص:٧٢- ٧٣).

فما قيمة دعوى يكذبها العمل، وكيف يجتمع الحب مع الجهل بالمحبوب وعدم العناية بأمره ونهيه؟

ولبعض المتقدمين:

تعـصي الإله وأنت تزعُمُ حُبَّه ... هذا لعَمْرِي في القياس شَنيعُ
لو كان حُبُّك صـادقًا لأطعتَه ... إنَّ المحبَّ لمن يُحبُّ مطيـعُ(١)

إنَّ العبد يستطيع أن يتلمس أثرَ محبته لله عَزَّوَجَلَّ في مواطن عديدة، منها:

الموطن الأول: عند أخذ المضجع حيث لا ينام إلَّا على ذكر من يحبه، ويشغل قلبه به.

الموطن الثاني: عند انتباهه من النوم، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه.

الموطن الثالث: عند دخوله في الصلاة؛ فإنها ميزان الإيمان، فلا شيء أهم عند المؤمن من الصلاة، فتجد قلبه قد انشرح واستراح، كما سيأتي في (محبة شرع الله ﷻ).

الموطن الرابع: عند الشدائد؛ فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلَّا أحب الأشياء إليه، ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده، وتزداد الحاجة إلى الثبات في الموطن الأخير؛ لكون المؤمن أشد عرضة للبلاء(٢).

---

(١) ينسب هذان البيتان لمحمود بن حسن الورَّاق، ولعبد الله بن المبارك، وجاءت في ديوانه (ص:٥٠)، وذكر ابن عبد البر في (بهجة المجالس) (٣٩٥/١) أنها تنسب للشافعي، وهي في الديوان المنسوب للشافعي (ص:٩٢). انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (١٣٩/١)، لباب الآداب (ص:١٨٣)، المحاضرات والمحاورات (ص:٢٨٢)، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار (ص:٢٦)، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (٤٣٤/١- ٤٣٥)، العقد الفريد (١٦٨/٣)، الكامل في اللغة والأدب (٤/٢)، فوات الوفيات (٨١/٤). وينسب هذان البيتان للحسن بن محمد بن الحنفية. انظر: تاريخ دمشق (٣٧٩/١٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٢٠/٦). وهما من (الكامل).

(٢) انظر: طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ٣٠٦- ٣٠٨).

ثانيًا: علامات محبة العبد لله عَزَّوَجَلَّ:

وهي كثيرة، فمنها:

١ - محبة لقاء الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ:

قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**))، قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أو بعض أزواجه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُنَّ: إنا لنكره الموت، قال: ((**ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه**))(١).

وقال العلماء: "إن محبة لقاء الله عَزَّوَجَلَّ لا تدخل في النهي عن تمني الموت الوارد في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**))(٢)؛ لأن محبة لقاء الله عَزَّوَجَلَّ ممكنة مع عدم تمني الموت، كأن تكون المحبة حاصلة لا يفترق حاله فيها بحصول الموت، ولا بتأخره، وأن النهي محمول على حالة الحياة المستمرة، وأما عند الاحتضار والمعاينة فلا تدخل تحت النهي، بل هي مستحبة، ومثله إذا تمنى الموت لخوف فتنة في الدين، أو لتمني الشهادة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ(٣)، أو لغرض أخروي آخر. وفيه أن في كراهة الموت في حال الصحة تفصيلًا فمن كرهه إيثارًا للحياة على ما بعد الموت من نعيم الآخرة كان مذمومًا، ومن كرهه خشية أن يفضي إلى المؤاخذة، كأن يكون مقصرًا في العمل لم يستعد له بالأهبة بأن يتخلص من التبعات ويقوم بأمر الله عَزَّوَجَلَّ كما يجب فهو معذور، لكن ينبغي لمن وجد

---

(١) صحيح البخاري [٦٥٠٧]، مسلم [٢٦٨٤].

(٢) صحيح البخاري [٦٣٥١]، مسلم [٢٦٨٠].

(٣) قال العلامة ملا علي القاري رَحِمَهُٱللَّهُ: "وقد أفتى النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: أنه لا يكره تمني الموت لخوف فتنة دينية، بل قال: إنه مندوب، ونقل عن الشافعي، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهما. وكذا يندب تمني الشهادة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ". انظر: مرقاة المفاتيح (٣/١١٥٧).

ذلك أن يبادر إلى أخذ الأهبة حتى إذا حضره الموت لا يكرهه، بل يحبه لما يرجو بعده من لقاء الله تعالى"[(١)].

وهذا كان حال السلف عند الموت كما روي عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان يتمنى الموت، فلما احتضر قال: حبيب جاء على فاقة[(٢)]. ونحوه عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[(٣)].

قال الإمام السيوطي رَحِمَهُٱللَّهُ في (حاشيته على البيضاوي): "قال الشيخ تاج الدين السبكي رَحِمَهُٱللَّهُ -فيما قرأته بخطه- أراد بالحبيب: لقاء الله"[(٤)].

وقال عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في اليوم الذي مات فيه: "اليوم نلقى الأحبة محمدًا وحزبه"[(٥)].

٢ - كثرة السجود لله عَزَّوَجَلَّ:

قال بعض السلف: ما من خصلة أحب إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله عَزَّوَجَلَّ من كثرة السجود[(٦)].

---

(١) انظر: فتح الباري، للحافظ ابن حجر (١١/٣٦٠)، وانظر: مرعاة المفاتيح (٥/٢٩١)، مرقاة المفاتيح (٣/١١٥٧)، إحياء علوم الدين (٤/٣٣٠)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦/١٩٢- ١٩٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة [٣٧٢٠٣]، والحاكم [٨٥٣٣] وصححه، ووافقه الذهبي. كما أخرجه أبو نعيم في (الحلية) (١/٢٨٢)، وابن عساكر (١٢/٢٩٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في (الحلية) (١/٢٣٩)، وانظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (١/٢٢٦).

(٤) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي) (٢/٢٨٤).

(٥) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): (٩/٢٩٦) "رواه الطبراني في (الأوسط)، وأحمد باختصار، ورجالهما رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه بإسناد ضعيف". كما أخرجه الحاكم [٥٦٦٨]، وقال: "صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٦) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٣٣٠)، قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب المكي (٢/٨٤)، تفسير القرآن من الجامع، لابن وهب (٣/٩١).

وفي الحديث: ((**أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**))(١).

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩]، فوصفهم الحق سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بأكمل الصفات المحببة.

٣ – التضحية في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ:

إنَّ بلوغَ الأهدافِ الكُبرى في الحياة يستلزم تضحياتٍ كبرى، ولا ريب أن سمو الأهداف وشرف المقاصد، ونبل الغايات تقتضي سموَّ التضحيات وشرفها ورُقِيَّ منازلها، وإذا كان أشرفُ التضحيات وأسماها هو ما كان ابتغاءَ رضوان الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ومحبته، ورجاءَ نيل النعيم المقيم في جنات النعيم، فإنَّ الذود عن حياض هذا الدين، والذَّبَّ عن حوذته والمنافحة عن كتابه وشرعه ومقدساته يتبوأُ أرفع درجات هذا الرضوان.

ثم إن للتضحيات ألوانًا كثيرة ودروبًا متعددة، لكن تأتي في الذروة منها: التضحية بالنفس، وبذل الروح رخيصة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ؛ لدحر أعداء الله ونصر دين الله، وذلك هو المراد لمصطلح الشهادة والاستشهاد، وهي من أعظم علامات الصدق في المحبة؛ فإن قول المسلم: أحب الله عَزَّوَجَلَّ هي دعوى ينبغي أن يصدقها العمل، ومن أعظم علامات الصدق في المحبة: بذل النفس في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤].

٤ – طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤].

قال العلماء: من علامات محبة العبد لربه جَلَّ: أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها، وأن يؤثر ما أحبه الله عَزَّوَجَلَّ على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيلزم مشاق العمل،

---

(١) صحيح مسلم [٤٨٢].

ويجتنب اتباع الهوى، ويعرض عن دعة الكسل، ولا يزال مواظبًا على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ومتقربًا إليه بالنوافل، وطالبًا عنده مزايا الدرجات، كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه، ولأن من أحب الله عَزَّوَجَلَّ لا يعصيه.

قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: محبة العبد لله ورسوله: طاعته لهما واتباعه أمرهما، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١][(١)].

قال بعض علمائنا: "الإيثار يشهد للحب، فعلامة حبه إيثاره على نفسك"[(٢)].

وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن علامة حبِّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "أن يعرض على المرء أن لو خير بين فقد غرض من أغراضه أو فقد رؤية النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن لو كانت ممكنة، فإن كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا، وليس ذلك محصورًا في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة سنته، والذب عن شريعته، وقمع مخالفيها. ويدخل فيه: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[(٣)].

٥ – حب القرآن والسنة:

قال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: علامة حب الله عَزَّوَجَلَّ: حب القرآن، وعلامة حب القرآن: حب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ...

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٩٢/٣٦)، تفسير القرطبي (٦٠/٤)، تفسير ابن عادل (١٥٨/٥)، فتح القدير، للشوكاني (٣٨٢/١)، إحياء علوم الدين (٣٣٣/٤).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٣٣١/٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٩/١).

(٤) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري الصالح المشهور لم يكن له في وقته نظير في العلم والورع، توفي سنة [٢٨٣هـ] بالبصرة. انظر: الأعلام (١٤٣/٣)، وفيات الأعيان (٤٢٩/٢)، سير أعلام النبلاء (٣٣٠/١٣)، الوافي بالوفيات (١١/١٦)، تاريخ الإسلام (٧٥٦/٦).

..وعلامة حب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: حب السنة، وعلامة حب السنة: حب الآخرة..[1].

وإن دعوة الناس إلى حبِّ القرآن والسنَّة وتعظيمهما ينبغي أن يسبق دعوتهم إلى التمسك بهما، أو بيان الجزاء والمحاسبة على التفريط أو الترك.

٦ – محبة أن يكون للعبد من صلبه من يعبد الله عَزَّوَجَلَّ:

ومن تمام محبة عبادة الله ﷻ أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله عَزَّوَجَلَّ. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن من تمام محبة عبادة الله تعالى أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له؛ ولهذا لما قال الله تعالى لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]، وهو قوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]. وقد ثبت في (صحيح مسلم)[2]: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: ((**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**))"[3].

وقل مثل ذلك في كلِّ صفة يحبها الله عَزَّوَجَلَّ –مما تقدم بيانه– إذا قام العبد بها كان ذلك علامة حبه لله عَزَّوَجَلَّ إذا أخلص النية لله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك الاحتراز عن كل صفة ذميمة لا يحبها الله عَزَّوَجَلَّ –مما تقدم بيانه–.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٦١)، تفسير ابن عادل (اللباب) (١٥٨/٥)، فيض القدير (٦٦/٢)، قوت القلوب (٨٨/٢)، المجالس الوعظية، شمس الدين السفيري الشافعي (٤١٠/١)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٦٣/٢)، استنشاق نسيم الأنس، لابن رجب (ص:٨٥).

(٢) صحيح مسلم [١٦٣١].

(٣) تفسير ابن كثير (٤٤٢/١).

٧ – تحقيق الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ في محبتك له.

....

٨ – حسن الظن به سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، والتقرب إليه بالذكر وصالح الأعمال:

ومن طرق تحقيق محبة الله جَلَّوَعَلَا: حسن الظن به سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، والتقرب إليه بالذكر وصالح الأعمال، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في الحديث القدسي: ((**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**))[1]. وحسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ يتضمن الثقة بوعده ونصره، وإجابة دعاء من دعاه.

٩ – الاستقامة على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ والاهتداء إلى الطريق الأقوم.

....

١٠ – معرفة المكلف لأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته وتدبرها وعقل معانيها.

وقد تقدم بيانه.

١١ – الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في العبادة والدعاء والمناجاة، وحضور القلب والتدبر، والبعد عن الرياء.

....

(١) صحيح البخاري [٧٤٠٥]، مسلم [٢٦٧٥].

١٢ – أن تحب لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ[(١)]، **وأن تحب من يحب الله** ﷻ، **وتُبغض من يبغض:**

فتحب أنبياءه عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ وملائكته وأولياءه، والصحابة الأخيار، وآل بيت رسوله الأطهار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ. وتبغض من أبغضهم وتبرأ ممن انتقصهم وحط من قدرهم. وأن توقن بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يدافع عن الذين آمنوا، وأن الله لا يحب كل خوان كفور، قال الله عَزَّ وَجَلَّ في الحديث القدسي: ((**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**))[(٢)].

١٣ – أداء الفرائض والإكثار من النوافل:

قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي: ((**وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**))[(٣)].

١٤ – ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ **على الوجه الرشيد الذي يستضاء فيه بأنوار الوحي من الكتاب، وصحيح السنة**[(٤)]:

---

(١) وقد تقدم التدليل على ذلك من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ((أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)).

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) انظر: تحقيق شيخنا: إسماعيل المجذوب لمختصر أذكار الإمام النووي (ص:أ) من المقدمة، ومن المفيد الرجوع إلى كتاب: (صفحات مضيئة في التصور والسلوك الديني)، لفضيلة الشيخ إسماعيل المجذوب (ص:١٣١-١٥٣).

فمن الأذكار المحببة: ما بينه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ((**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده**))(١).

ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده**))(٢).

وفي رواية: ((**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. لا يضرك بأيهن بدأت**))(٣)...إلى غير ذلك.

١٥ – نصرة الدين، والتخلق بأخلاق سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن علامات هذه المحبة [لله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]: نصر دين الإسلام بالقول والفعل، والذبُّ عن الشريعة المقدسة، والتخلُّق بأخلاق الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع وغير ذلك"(٤).

---

(١) صحيح البخاري [٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣]، مسلم [٢٦٩٤]. قوله: (خفيفتان): سهلتان. (ثقيلتان): في وزن ثوابهما. (حبيبتان): محبوبتان، أي: أن الله تعالى يقبلهما، ويوصل الخير لقائلهما ويكرمه.

(٢) صحيح مسلم [٢٧٣١].

(٣) صحيح مسلم [٢١٣٧].

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (١/١٠٤).

ثالثًا: الأسباب التي تدعو إلى محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١ - كمال رأفته ورحمته بأمته، وعظيم إحسانه، وحرصه على هداية جميع الناس واستنقاذهم من الهلكة:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ في وصف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣]. أما عظيم إحسانه إلى أمته؛ فلأنه كان سبب انتفاع هذه الأمة بحياتها وأرواحها وأبدانها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "الحياة النافعة إنما تحصل باستجابة لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية، مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات. فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرًا وباطنًا. فهؤلاء هم الأحياء -وإن ماتوا-، وغيرهم أموات -وإن كانوا أحياء الأبدان-؛ ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"(١).

"وإطلاق الحياة على حال الأمة المعنوية الشريفة في الأشخاص والأمم، والموت على مقابلها، معهود في القرآن كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]"(٢).

---

(١) الفوائد، لابن القيم (ص:٨٨).

(٢) تفسير المنار (٢/٣٦٣).

"إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما يدعوهم إلى ما يحييهم. إنها دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة، وبكل معاني الحياة. إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول، وتطلقها من أوهام الجهل والخرافة، ومن ضغط الوهم والأسطورة، ومن الخضوع المذل للأسباب الظاهرة والحتميات القاهرة، ومن العبودية لغير الله عَزَّوَجَلَّ، والمذلة للعبد أو للشهوات سواء. ويدعوهم إلى شريعة من عند الله عَزَّوَجَلَّ تعلن تحرر الإنسان وتكريمه بصدورها عن الله وحده، ووقوف البشر كلهم صفًا متساوين في مواجهتها لا يتحكم فرد في شعب، ولا طبقة في أمة، ولا جنس في جنس، ولا قوم في قوم. ولكنهم ينطلقون كلهم أحرارًا متساوين في ظل شريعة صاحبها الله رب العباد. ويدعوهم إلى منهج للحياة، ومنهج للفكر، ومنهج للتصور يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة المتمثلة في الضوابط التي وضعها خالق الإنسان، العليم بما خلق هذه الضوابط التي تصون الطاقة البانية من التبدد، ولا تكبت هذه الطاقة ولا تحطمها، ولا تكفها عن النشاط الإيجابي البناء. ويدعوهم إلى القوة والعزة والاستعلاء بعقيدتهم ومنهجهم، والثقة بدينهم وبربهم، والانطلاق في الأرض كلها؛ لتحرير الإنسان بجملته، وإخراجه من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده، وتحقيق إنسانيته العليا التي وهبها له الله عَزَّوَجَلَّ، فاستلبها منه الطغاة! ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله؛ لتقرير ألوهية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الأرض وفي حياة الناس، وتحطيم ألوهية العبيد المدعاة، ومطاردة هؤلاء المعتدين على ألوهية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحاكميته وسلطانه حتى يفيئوا إلى حاكمية الله وحده، وعندئذ يكون الدين كله لله عَزَّوَجَلَّ. حتى إذا أصابهم الموت في هذا الجهاد كان لهم في الشهادة حياة"[١].

(١) الظلال (٣/١٤٩٤).

٢ – خصائصه وخصاله العظيمة، وكماله الخَلقي والخُلقي:

إنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هو أكمل الخلق خَلقًا وخُلقًا، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وسيأتي بيان ذلك في (حسن الخلق) من (الأخلاق التي تورث المحبة).

٣ – تشريفه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **بإنزال القرآن عليه:**

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، ويقول سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

٤ – كونه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **هو المبين لآيات الذكر الحكيم:**

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، ويقول سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤].

٥ – كون طاعة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **من طاعة الله** عَزَّوَجَلَّ**:**

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

وفي الحديث: ((**ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني –وهو متكئ على أريكته– فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله**))(١).

٦ – صلاة الله عَزَّوَجَلَّ وملائكته عليه:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

٧ – تكريمه بشرح صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره، وإعلاء قدره:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح:١-٤].

٨ – اختياره واصطفاؤه لمقام النبوة والرسالة:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يختار لهذا الأمر إلا من أحبه واصطفاه، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٩٢٧]، وأحمد [١٧١٩٤]، والدارمي [٦٠٦]، وابن ماجه [١٢]، والترمذي [٢٦٦٤] وقال: "هذا حديث حسن غريب"، وأخرجه أيضًا: الطبراني في (الشاميين) [١٩٤٨]، والدارقطني [٤٧٦٧]، والحاكم [٣٧١]، والبيهقي في (السنن الكبرى) [١٣٤٤٢].

٩ – تشريفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمقام الخلة:

جاء في الحديث: ((**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا**))(١).

١٠ – ما خصَّه الله عَزَّوَجَلَّ به:

جاء في الحديث: ((**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**))(٢).

١١ – ما فضَّل الله تعالى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سائر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

خصَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخصائص كثيرة، فهو سيد ولد آدم، وصاحب المقام المحمود، وأوَّل من تنشق عنه الأرض، وأوَّل شافع، وأوَّل مشفَّع، وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وهو خاتم النبيين، ومرسل إلى الناس أجمعين..إلى غير ذلك من وجوه التكريم والتشريف والتي تعدُّ من أقوى الدوافع إلى محبته.

جاء في الحديث: ((**لا تخيروا بين الأنبياء؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، أم حوسب بصعقة الأولى**))(٣).

---

(١) صحيح مسلم [٥٣٢].

(٢) صحيح البخاري [٣٣٥، ٤٣٨]، مسلم [٥٢١].

(٣) صحيح البخاري [٢٤١٢].

وفي رواية: ((**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع**))[(١)].

وللحديث روايات منها: ((**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ -آدم فمن سواه- إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر..**)) الحديث[(٢)].

١٢ - تشريفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكريمه بالمقام المحمود والوسيلة:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]. قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة؛ للشفاعة للناس؛ ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم"[(٣)].

وجاء في السُّنَّة بيانُ المقام المحمود، وهو الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون، كما في حديث الشَّفاعة العظمى حين يتخلَّى كل نبي، ويقول: ((**نفسي نفسي، حتى يصلوا إلى النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فيقول: أنا لها أنا لها**)) الخ[(٤)].

وفي رواية: عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يقول: ((**إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**))[(٥)].

---

(١) صحيح مسلم [٢٢٧٨].

(٢) أخرجه الترمذي [٣١٤٨] وقال: "حسن صحيح".

(٣) تفسير الطبري (١٧/٥٢٦).

(٤) صحيح البخاري [٧٥١٠]، مسلم [١٩٣]، أضواء البيان (٨/ ٥٥٨).

(٥) صحيح البخاري [٤٧١٨]. "قال الكرماني رَحِمَهُ اللهُ: جثا، بضم الجيم وفتح المثلثة مقصورًا، أي: جماعات واحدها جثوة. وكل شيء جمعته من تراب نحوه فهو جثوة. قال العيني: "قلت: قال ابن الجوزي عن ابن الخشاب: جثى، بالتشديد والضم جمع جاث، كغاز وغزى، وجثى مخففة جمع جثوة ولا معنى له ههنا. وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: ويروى: جُثِيّ، بتشديد الثاء جمع: جاث، أي: جلس على ركبتيه. وفي:=

وفي رواية: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، قال: ((**هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه**))(١).

وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تَلٍّ يوم القيامة، فيكسوني ربي حُلَّةً خضراء، ثم يأذن لي فأثني عليه بما هو أهله، فذلك المقام المحمود**))(٢).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حَلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة**))(٣).

وفي رواية: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((**إذا سمعتم المؤذِّن، فقولوا مثل ما يقول ثم صَلُّوا عَلَيَّ؛ فإنه من صَلَّى عَلَيَّ صلاة صَلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حَلَّتْ له الشفاعة**))(٤).

=(المغيث): يجوز أيضا فتح الجيم وكسرها كالعصى والعصي". (عمدة القاري) (٣١/١٩)، وانظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٨٦/١٧)، كشف المشكل، لابن الجوزي (٥٨٠/٢)، مرقاة المفاتيح (٢٤٠٧/٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (جثا) (٢٣٩/١).

(١) أخرجه ابن المبارك في (الزهد) [١٣١٢]، وأحمد [٩٦٨٤]، والترمذي [٣١٣٧]، وقال: "حديث حسن". قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أخرجه أحمد والترمذي وحسّنه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في (الدلائل) عن أبي هريرة" الدر المنثور (٣٢٤/٥).

(٢) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٣٧٧/١٠): "رواه الطبراني في (الكبير)، و(الأوسط)، وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح".

(٣) صحيح البخاري [٦١٤، ٤٧١٩].

(٤) صحيح مسلم [٣٨٤].

١٣ - كون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]. "فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها. وأن يبذلوها دونه، ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب، ووقاءه إذا لقحت حرب. وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم، ولا ما تصرفهم عنه. ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصرفهم عنه؛ لأن كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين، وما صرفهم عنه، فأخذ بحجزهم؛ لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم إلى الشقاوة وعذاب النار". أفاده الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ(١)؛ فلذلك كانت محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقدمة النفس والوالد والولد والناس أجمعين كما تقدم. ومن تأمل الخير الواصل إليه من جهة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم أنه أحق بالمحبة والتوقير والتعظيم والاتباع من الآباء والأمهات، فإذا كان الآباء والأمهات سببًا في الحياة الفانية، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب في الحياة الدائمة الباقية، بل هو أحب إلينا من أنفسنا.

رابعًا: الأسباب الجالبة لمحبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١ - التفقه في الدين.

٢ - الإكثار من ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصلاة والسلام عليه.

٣ - الرجوع إلى هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعظيم سنته، وفقه سيرته:

---

(١) الكشاف (٣/٥٢٣).

من الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ: العناية بسُنَّته تعلُّمًا وتعليمًا وعملًا، والاشتغال بعلم الحديث، والوقوف على هديه وشمائله.

٤ – معرفة فضل النبي ﷺ على الناس.

٥ – معرفة خصائصه وخصاله:

من الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ: معرفة ما خصَّه الله عَزَّوَجَلَّ به من دون سائر الخلق من حسن الخَلق والخُلُق، وكريم السَّجايا، وحميد الخصال.

٦ – محبة الله عَزَّوَجَلَّ وكتابه وشرعه.

٧ – محبة أصحاب النبي ﷺ، وأهل بيته، ومن سار على هديه.

٨ – إجلال العاملين بالسنة وتقديرهم وتوقيرهم، وخاصة العلماء منهم.

٩ – معرفة نعم الله عَزَّوَجَلَّ على عباده:

أرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرسول ﷺ إلى الناس؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليهديهم إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم، وليصلح أحوال الناس، فبلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وأوذي وعودي، وأُخرِج من بلده في سبيل ذلك، فلا يقابل ذلك الإحسان إلا بالإحسان والمحبة. والنفس مجبولة على حبِّ من أحسن إليها مرَّة أو مرتين، فكيف بمن كانت حياته كلها نصحًا لأمته؛ تهذيبًا للنفوس، وتزكية لها، ودلالة على الخير، وتحذيرًا من الشر.

١٠ – شفقته على أمته، ونصحه لهم، وسعيه في مصالحهم، ورفع المضار عنهم[1]:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وسيأتيك مزيد من البيان في (المحبة العامة).

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٦٤).

خامسًا: علامات محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١ - اتباع سنته وطاعته في أمره ونهيه بلا تردد، والاقتداء به، والتأدب بآدابه:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "فالصادق في حبِّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تظهر علامة ذلك عليه. وأولها: الاقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه. وشاهد هذا قوله جَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]"(١).

٢ - إيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته(٢).

٣ - الإكثار من ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصلاة والسلام عليه:

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن علامات محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كثرة ذكره له، فمن أحبَّ شيئًا أكثر من ذكره"(٣). وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه، وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه"(٤).

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٥٦/٢).

(٢) المصدر السابق (٥٧/٢).

(٣) المصدر السابق (٥٨/٢).

(٤) جلاء الأفهام (ص:٤٤٧).

٤ - كثرة الشوق إلى لقائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: "فكل حبيب يحب لقاء حبيبه. وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون:

غدًا نلقى الأحبة ... محمدًا وصحبه

***..الخ"(١).

٥ - تعظيم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجلاله وتوقيره:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٩]. قال السعدي: "﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، أي: تعزروا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوقروه، أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم. فذكر الله تعالى في هذه الآية الحق المشترك بين الله عَزَّ وَجَلَّ وبين رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها"(٢).

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٥٩). وحديث الأشعريين أخرجه ابن أبي شيبة [٣٢٢٥٧]، وأحمد بإسناد صحيح [١٢٠٢٦]، والنسائي في (الكبرى) [٨٢٩٤]، وأبو يعلى [٣٨٤٥]، وابن حبان [٧١٩٢]، والضياء في (المختارة) [١٩٤٣]، وقال: "إسناده صحيح". وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((من أشد أمتي لي حُبًّا، ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله)) صحيح مسلم [٢٨٣٢].

(٢) تفسير السعدي (ص:٧٩٢). وروى مسلم [١٢١] عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: (وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة). وينظر ما أورده القاضي عياض في كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) (٢/٨٦) من الروايات في (تعظيم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته)، وكذلك ما أورده في (حرمته وتوقيره) (٢/٩١). وقد ذكر أن من علامات محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تعظيمه له وتوقيره عند ذكره، وإظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه. وقال إسحق التجيبي: كان أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا، وكذلك كثير من التابعين منهم=

ومن مظاهر إجلاله عدم رفع الصوت عنده حيًّا وميتًا؛ لعموم قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات:٢-٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته؛ لأنه محترم حيًّا وفي قبره، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا. ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، كما قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور:٦٣]"(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفا لهم، إذ هم ورثة الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ"(٢).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "حرمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميتًا كحرمته حيًّا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه؛ فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله جَلَّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف:٢٠٤]. وكلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناة، بيانها في كتب الفقه، والله أعلم"(٣). وهذا الذي فهمه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب

=من يفعل ذلك محبة له، وشوقًا إليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهم من يفعله تهيبًا وتوقيرًا". الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٥٩).

(١) تفسير ابن كثير (٧/٣٦٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/٣٠٧).

(٣) أحكام القرآن، لابن العربي (٤/١٤٦).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فعن السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: ((**لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))(1).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "واعلم أن حرمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته، وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته"(2).

٦ – تصديقه فيما أخبر به.

٧ – أن تكون محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سالمة من الغلو والابتداع.

٨ – تقديم محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على محبة النفس والناس أجمعين.

٩ – التحاكم إلى سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

١٠ – رد ما أشكل إلى كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ**، وسنة نبيه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

---

(١) صحيح البخاري [٤٧٠].

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٩١).

١١ – التأدب عند ذكره، والثناء عليه بما هو أهله:

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، ففي هذه الآية أمر بالصلاة عليه. وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ**))[١].

١٢ – تبليغ سنته، والدفاع عنها، وذلك بحمايتها من انتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، ورد شبهات الزنادقة والطاغين وبيان أكاذيبهم.

١٣ – بذل النفس والمال دونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٤ – محبة أهل بيته وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، **وبغض من أبغضهم، والدفاع عنهم، والاهتداء بهديهم والاقتداء بسنتهم:**

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "فمن أحبَّ شيئًا أحبَّ من يحب.."[٢].

وقال: "وعلامة محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بغض من أبغض الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعاداة من عاداه، ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه، واستثقاله كل أمر يخالف شريعته، قال جَلَّ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة:٢٢]، وهؤلاء أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قتلوا أحباءهم،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٧٩١]، وأحمد [١٧٣٦]، والبزار [٣٥٤٦]، والنسائي في (الكبرى) [٨٠٤٦]، وأبو يعلى [٦٧٧٦]، وابن حبان [٩٠٩]، والطبراني [٢٨٨٥]، والحاكم [٢٠١٥]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [١٤٦٦]، والضياء [٤٢٤]، وقال: "إسناده حسن" عن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده. كما أخرجه الترمذي [٣٥٤٦]، عن الحسين بن علي، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب".

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٥٩).

وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته. وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي: (لو شئت لأتيتك برأسه) — يعني: أباه-"[١].

١٥ – محبة من سار على نهجه وبلغ سنته.

١٦ – محبة القرآن الذي أتى به ﷺ وهدى به واهتدى وتخلق به[٢].

١٧ – نصرة الدين والتخلق بأخلاق سيد المرسلين ﷺ، وقد تقدم في علامات محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

سادسًا: ثمرات محبة النبي ﷺ:

١ – استكمال الإيمان، والفوز بمحبة الرحمن جَلَّ وَعَلَا:

إنَّ طاعة النبي ﷺ ومحبته هي من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ومحبته، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وكلما ازداد حبُّ النبي ﷺ في القلب ازداد إيمان العبد، وقد تقدَّم حديث النبي ﷺ الذي يحدد فيه أنه لا يكمل إيمان العبد حتى يحب النبي ﷺ.

(١) المصدر السابق (٢/٦٢- ٦٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٦٣).

٢ – تذوق حلاوة الإيمان[(١)].

٣ – مغفرة الذنوب وذهاب الهموم:

جاء في الحديث: عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: ((**يا أيها الناس: اذكروا الله، اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه**))، قال أبي: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ((**ما شئت**))، قال: قلت: الربع، قال: ((**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**))، قلت: النصف، قال: ((**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**))، قال: قلت: فالثلثين، قال: ((**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**))، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: ((**إذا تكفى همك، ويغفر لك ذنبك**))[(٢)].

٤ – مرافقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة:

وقد تقدم في الحديث: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلًا سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: ((**وماذا أعددت لها**)) الحديث، وكذلك حديث: ((**المرء مع من أحب**)).

٥ – صلاح القلب والجوارح:

إنَّ التحقق بالمحبَّة حياة للقلب، وصلاح للجوارح، ومحفز على الاستجابة كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

---

(١) وقد تقدم في ذلك حديث: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان)) الحديث.

(٢) أخرجه أحمد [٢١٢٤٢]، وعبد بن حميد [١٧٠]، والترمذي [٢٤٥٧]، وقال: "هذا حديث حسن"، والحاكم [٣٥٧٨]، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، كما أخرجه الضياء [١١٨٥] وحسنه.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:٢٤]؛ لأن المحب لمن يحب مطيع، وقد تقدم بيان ذلك.

٦ – محفزة على الاتباع، والعمل بسُنَّته، والتأسي به.

٧ – محفزة على مجاهدة النفس.

٨ – محفزة على بذل النفس والمال في سلوك طريق الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

٩ – محفزة على مجاهدة النفس والهوى، والاستقامة على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

١٠ – تورث الحياة الطيبة في الدنيا، وحسن الجزاء في الآخرة.

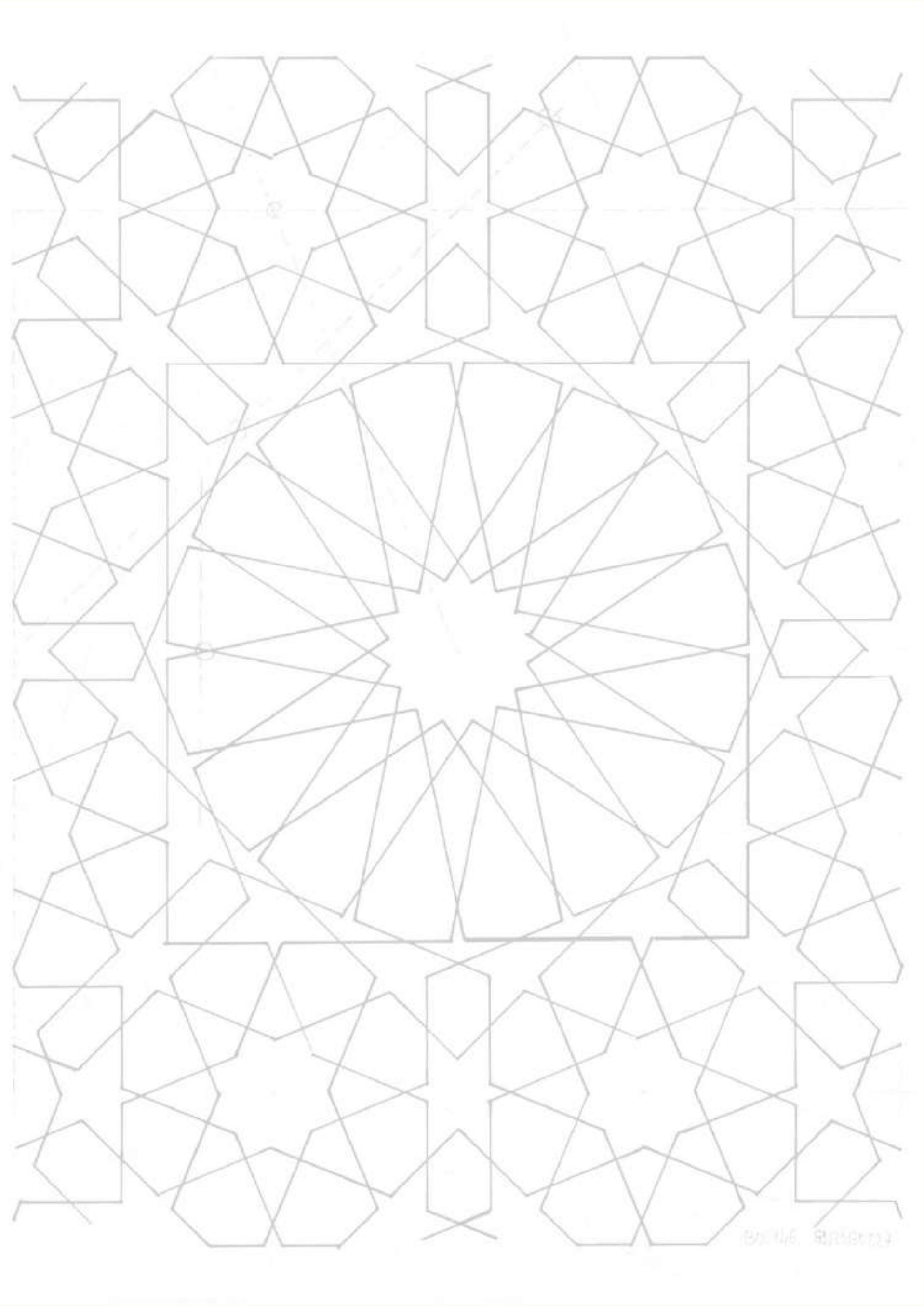

المبحث الثالث
محبة الإيمان

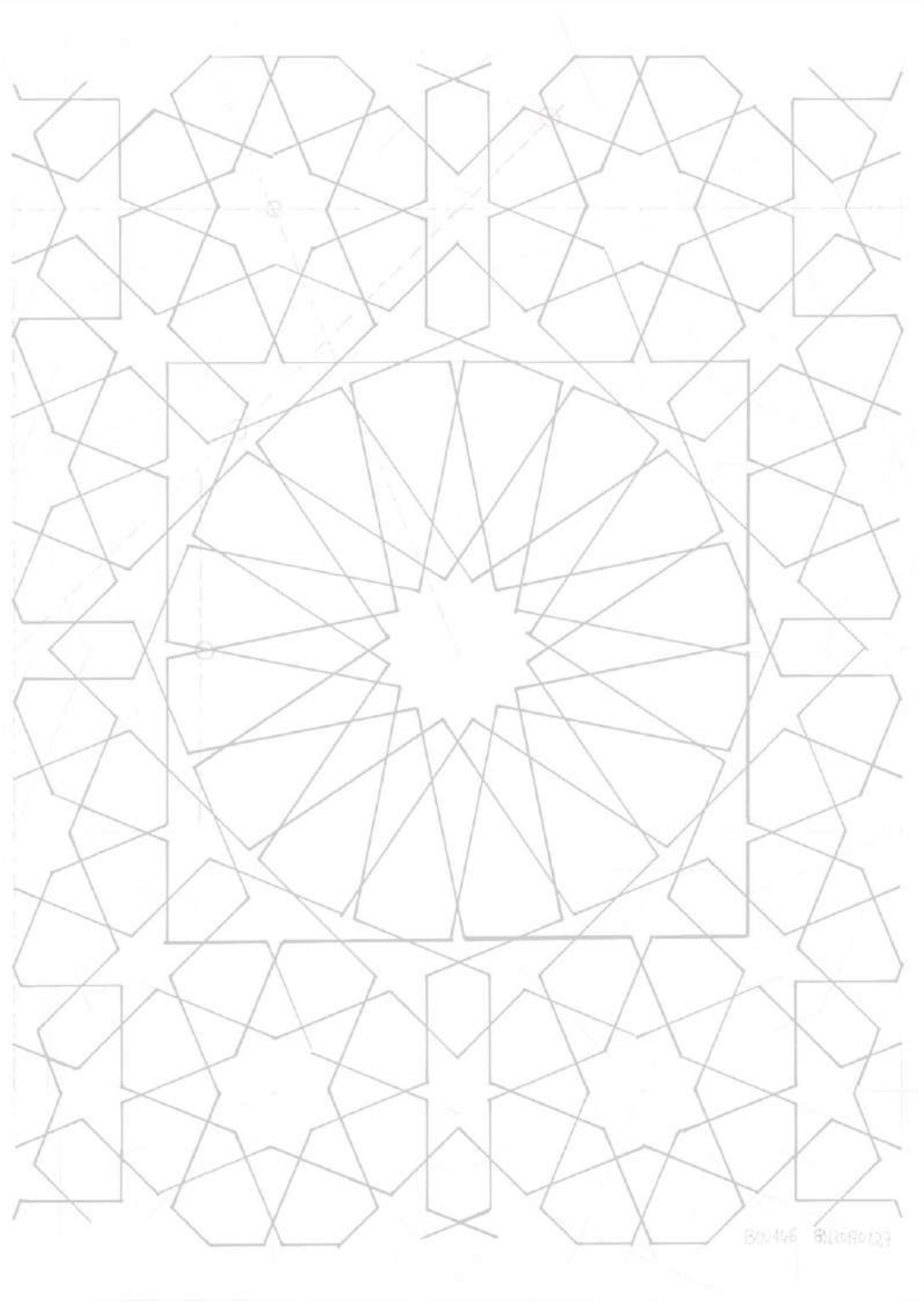

إنَّ الإيمان يستنقذ الإنسان من الظلمات إلى النور، وهو أعظم ما يجلب له النفع والسعادة، ويدفع عنه الضر والشقاء، فالعاقل يحب ذلك ويكره ما يقابله.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧].

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ﴾، أي: قربه وأدخله في قلوبكم، ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه، ولا يخرج من قلوبكم؛ وهذا لأن من يحب أشياء فقد يمل شيئًا منها إذا حصل عنده وطال لبثه، والإيمان كل يوم يزداد حسنًا، ولكن من كانت عبادته أكثر وتحمله لمشاق التكليف أتم، تكون العبادة والتكاليف عنده ألذ وأكمل؛ ولهذا قال في الأول: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ﴾، وقال ثانيًا: ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، كأنه قربه إليهم، ثم أقامه في قلوبهم(١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإذا رسخ الإيمان في القلب، وتحقق به، ووجد حلاوته وطعمه أحبه وأحب ثباته ودوامه، والزيادة منه، وكره مفارقته، وكان كراهته لمفارقته أعظم عنده من كراهة الإلقاء في النار"(٢).

وقوله عَزَّوَجَلَّ:: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ وهو أعظم ما يجلب الضر والشقاء، ويدفع النفع والسعادة، فالعاقل يكره ذلك، ويحب ما يقابله.

إنَّ الإيمان الكامل إقرار باللسان، وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، فكراهة الكفر في مقابلة محبة الإيمان، وتزيينه في القلوب هو التصديق بالجنان، والفسوق وهو الكذب في مقابلة الإقرار باللسان، والعصيان في مقابلة العمل بالأركان.

ويرى الإمام محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المراد من الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أحكام الإسلام وليس الاعتقاد. وسيأتي بيان ذلك.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٠٢/٢٨).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب (٥٦/١).

ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين هذه صفاتهم هم السالكون طريق السعادة، ولم يميلوا عن الاستقامة.

ومن دعائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين**))[1].

(١) أخرجه أحمد [١٥٤٩٢]، والبخاري في (الأدب المفرد) [٦٩٩]، والبزار [٣٧٢٤]، والنسائي في (الكبرى) [١٠٣٧٠]، والطبراني [٤٥٤٩]، والحاكم [٤٣٠٨] وقال: "صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي. كما أخرجه أبو نعيم في (الحلية) (١٢٧/١٠). قال الهيثمي (١٧٦/٦): "ورجال أحمد رجال الصحيح".

المبحث الرابع

محبة شرع الله جل وعلا

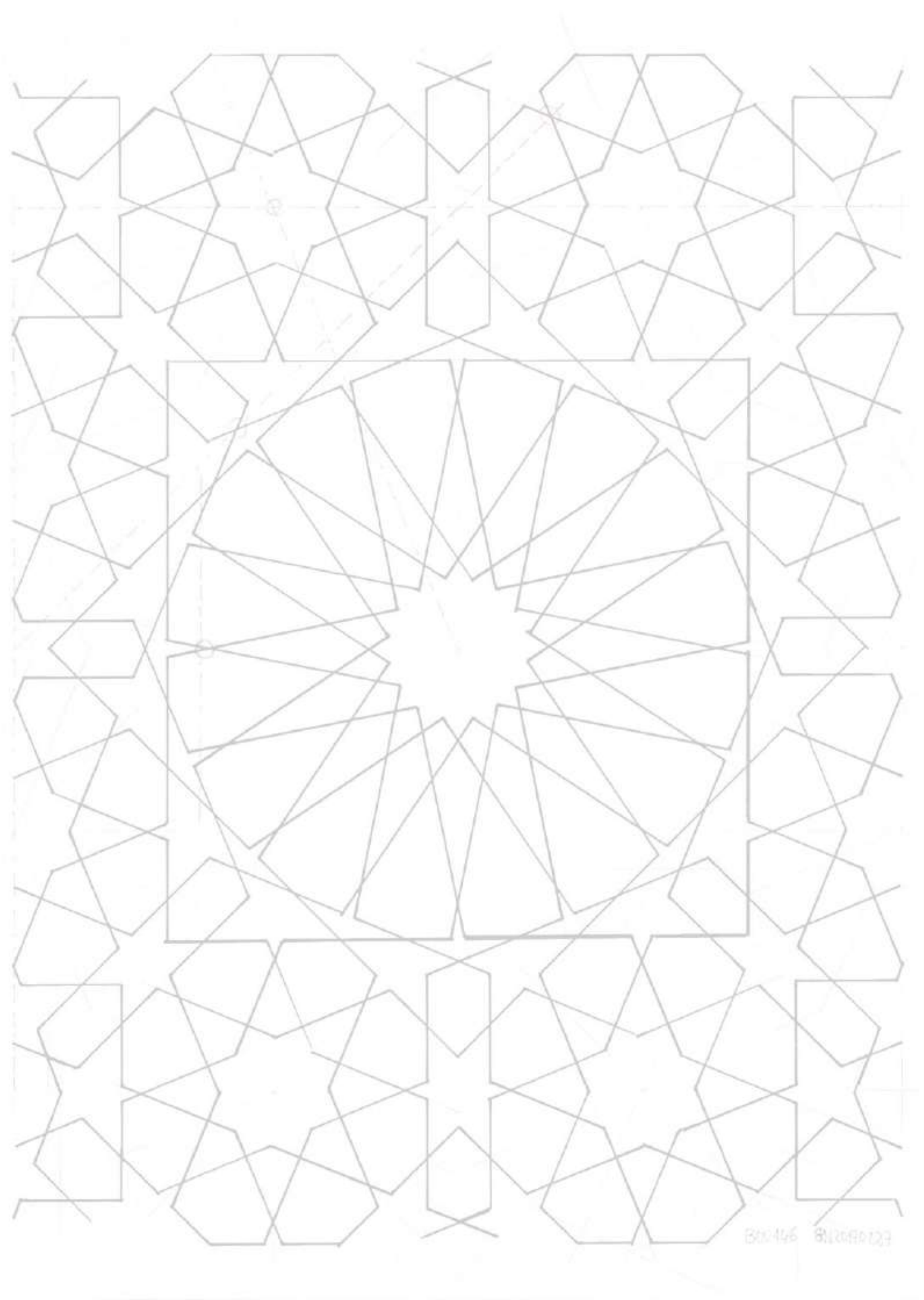

أولًا: بيان الحكم والأهمية:

يجب على كل مسلم محبَّة ما شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أحكام؛ فمن أبغض شريعة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو أبغض شعيرة من شعائر الإسلام، أو أبغض أيَّ طاعة مما يتعبد به الناس في دين الإسلام فإنه يبطل بذلك عمله؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩]. ولا شكَّ أنَّ الشَّرع فيه تكاليف، وفيه ما يَشُقُّ على النُّفُوس، وهذا هو السَّبب في تسمية الأحكام بالتَّكليف؛ لأنَّ الجنة حُفَّت بالمكاره، وقد يكون ذلك في بداية الأمر، فإذا فَقِهَ المكلَّفُ المقصدَ من التكليف، واعتاده وأدرك ما فيه من المصلحة والخير والنفع، والصلة مع الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والقرب منه، فإنه يتلذَّذ بالطَّاعة.

وهذا حالُ رَّسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث يقول: ((**أرحنا يا بلال بالصَّلاة**))(١).

ويقول: ((**وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**))(٢).

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة(٣).

---

(١) قال في (الكشف): "رواه أبو داود عن سالم بن أبي الجعد قال: قال رجل: ليتني صليت فاسترحت، فكأنهم عابوا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها)). ولأبي داود عن محمد بن الحنفية أنه قال: انطلقت أنا وأبي إلى صهر لنا في الأنصار نعوده فحضرت الصلاة فقال لبعض أهله: يا جارية: ائتوني بوضوء لعلي أصلي فأستريح، قال: فأنكرنا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((قم يا بلال فأرحنا بالصلاة))". كشف الخفاء [٣١٢]. والحديث له أطراف كثيرة، وقد صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أحمد [١٢٢٩٣]، والنسائي [٣٩٣٩]، وأبو يعلى [٣٤٨٢]، والطبراني في (الأوسط) [٥٢٠٣]، و(الصغير) [٧٤١]، والحاكم [٢٦٧٦]، وقال: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا: البيهقي [١٣٤٥٤]، كلهم عن أنس. كما أخرجه الطبراني في (الكبير) [١٠١٢] عن المغيرة.

(٣) جاء في الحديث عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ((كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر، صلَّى)) أخرجه أحمد [٢٣٢٩٩]، وأبو داود [١٣١٩]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٢٩١٢]. قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (١٧٢/٣): "أخرجه أبو داود بإسناد حسن".

وكانت الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة كما في حديث: صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما حكاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نبي من الأنبياء السابقين: ((**فقام إلى الصلاة، وكانوا إذا فزعوا، فزعوا إلى الصلاة**))(١).

والتكليف لا بدَّ فيه من الاصطبار –ولا سيما في بداية الأمر قبل أن يعتاده–(٢) كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**))(٣).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "معناه: أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من النقصان. وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا –مع قلته وتكديره بالمنغصات– فإذا مات صار إلى العذاب الدائم، وشقاء الأبد"(٤).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الدنيا وضعت للبلاء، فمن الجهل أن يخفى على الإنسان مراد التكليف؛ فإنه موضوع على عكس الأغراض، فينبغي للعاقل أن يأنس بانعكاس الأغراض، فإن دعا، وسأل بلوغ غرض، تعبد الله بالدعاء: فإن أعطي مراده شكر، وإن لم ينل مراده فلا ينبغي أن يلح في الطلب؛ لأن الدنيا ليست لبلوغ الأغراض، وليقل لنفسه: ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]. ومن أعظم الجهل: أن يمتعض في باطنه لانعكاس أغراضه، وربما اعترض في الباطن، أو ربما قال: حصول غرضي لا يضر، ودعائي لم يستجب!"(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٤٨٠]، وأحمد بإسناد صحيح [١٨٩٣٧]، والبزار [٢٠٨٩]، والنسائي في (الكبرى) [١٠٣٧٥]، وابن حبان [١٩٧٥]، والضياء [٥٢]، وقال: "إسناده صحيح".

(٢) سيأتي بيان ذلك.

(٣) صحيح مسلم [٢٩٥٦].

(٤) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (٩٣/١٨).

(٥) صيد الخاطر (ص:٣٩٩). وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي)) صحيح البخاري [٦٣٤٠].=

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ برحمته عليه الملائكة تؤُزُّهُ إليها أزًا، وتحرضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها، ولا يزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها، حتى يرسل الله عَزَّوَجَلَّ إليه الشياطين، فتؤزه إليها أزًا.

فالأول قويٌّ جنَّدَ الطَّاعَةَ بالمدد، فكانوا من أكبر أعوانه، وهذا قوي جنَّدَ المعصية بالمدد فكانوا أعوانًا عليه"(١).

ومحبة شرع الله عَزَّوَجَلَّ، والفزع إلى الطاعات والعبادات مما يعين على تحمل المصائب، فقد بيَّن الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن خير ما يستعان به عند الشدائد: الصبر والصلاة كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

ويرى العلامة محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المراد من الإيمان في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أحكام الإسلام وليس مرادًا منه الاعتقاد.

وأن الاستدراك المستفاد من (لكن) ناشئ عن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾؛ لأنه اقتضى أن لبعضهم رغبة في أن يطيعهم الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرغبون أن يفعله مما يبتغون مما يخالونه صالحًا بهم في أشياء كثيرة تعرض لهم. والمعنى: ولكن الله عَزَّوَجَلَّ لا يأمر رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا بما فيه صلاح العاقبة -وإن لم يصادف رغباتكم العاجلة- وذلك فيما شرعه الله عَزَّوَجَلَّ من الأحكام.

فالإيمان هنا مراد منه: أحكام الإسلام، وليس مرادًا منه الاعتقاد، فإن اسم الإيمان واسم الإسلام يتواردان، أي: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ الذي هو الدين الذي جاء به الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا تحريض على التسليم لما يأمر به الرسول

=وعند مسلم [٢٧٣٥]: ((لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل)) قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: ((قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء)).

(١) الجواب الكافي (ص:٥٦).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو في معنى قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]؛ ولذا فكونه حبب إليهم الإيمان إدماج وإيجاز. والتقدير: ولكن الله عَزَّوَجَلَّ شرع لكم الإسلام وحببه إليكم، أي: دعاكم إلى حبه والرضى به فامتثلتم.

وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ تعريض بأن الذين لا يطيعون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم بقية من الكفر والفسوق، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ..إلى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور:٤٨- ٥٠]. والمقصود من هذا أن يتركوا ما ليس من أحكام الإيمان فهو من قبيل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات:١١] تحذيرًا لهم من الحياد عن مهيع(١) الإيمان، وتجنيبًا لهم ما هو من شأن أهل الكفر(٢).

وقد تقدم بيان الآية في (محبة الإيمان)، وهذا رأي يضاف إلى ما سبق توسعًا في مفهوم النص، وهو يدلل على محبة أحكام الإسلام.

ثانيًا: الأسباب التي تعين على محبة الطاعات:

وهناك من الأسباب ما يعين على التلذذ بالأعمال الصالحة:

١ – مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ وإخلاص العمل له:

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أقرب إلى عبده من حبل الوريد؛ لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه، البعيد منه، بِقَصْد نيته(٣)، ورفع اليدين إليه،

---

(١) المهيع: الطريق الواسع المنبسط. والميم زائدة، وهو مفعل من التهيع: الانبساط.

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/٢٣٦-٢٣٧).

(٣) يعني بإخلاص نيته في التوجه واللجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ومن كان هذا حاله فإنه يعاين العناية واللطف، ويتحقق من قرب الله عَزَّوَجَلَّ منه، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]. وخير مقام في العبادة هو مقام الإحسان المبين في الحديث، وهو ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه=

والسؤال له. فقلوب الجُهَّال تستشعر البعد؛ ولذلك تقع منهم المعاصي؛ إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربه، فحضرتهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط(١).

ولولا نوع تغطية على عين المراقبة الحقيقية، لما انبسطت كف بأكل، ولا قدرت عين على نظر. ومن هذا الجنس: ((**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلى قَلْبِي**))(٢).

ومتى تحققت المراقبة حصل الأنس؛ وإنما يقع الأنس بتحقيق الطاعة؛ لأن المخالفة توجب الوحشة، والموافقة مبسطة المستأنسين، فيا لذَّة عيش المستأنسين! ويا خسارة المستوحشين!"(٣).

٢ – مجاهدة النفس:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

قال ثابت البناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصلاة: كابدت(٤) الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة.

=يراك)). صحيح البخاري [٥٠، ٤٧٧٧]، مسلم [٨، ٩، ١٠]، فهو المقام الذي يتحقق فيه قرب المحب من محبوبه.

(١) والمعنى أن تحقق المراقبة قد حملهم على فعل الخيرات، والاجتهاد في الطاعات، وعلى ترك المعاصي والمنكرات.

(٢) صحيح مسلم [٢٧٠٢]، وتمامه: ((إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة)). (ليغان): أي: يغطى عليه. وأصله من الغين، وهو الغطاء والحائل بينك وبين الشيء، ومنه قيل للغيم: غين. انظر: شرح السنة، للبغوي (٥/٧٠). قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيل: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عد ذلك ذنبًا واستغفر منه. وقيل: سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ومحاربة العدو ونحو ذلك، فيشتغل بذلك فيراه ذنبًا، وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات، وأفضل الأعمال فهي نزول عن عالي درجته ورفيع مقامه من حضوره مع الله تعالى ومراقبته وفراغه مما سواه، فيستغفر لذلك. وقيل غير ذلك. انظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٨/٩٦)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/٢٣– ٢٤).

(٣) صيد الخاطر (ص:٢١٣).

(٤) ((كابدت)) –بالموحدة– أي: كنت أفعل الصلاة بمشقة وتعب.

وروي عن عتبة الغلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: كابدت الصلاة عشرين سنة، ثم تلذذت بها باقي عمري[(١)].

وكان أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم[(٢)].

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من لذيذ العيش لجالدونا عليه بالسيوف[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذه اللذة والتنعم بالخدمة إنما تحصل بالمصابرة والتعب أوّلًا، فإذا صبر عليه وصدق في صبره أفضى به إلى هذه اللذة. وقال أبو زيد: سقت نفسي إلى الله ﷻ وهي تبكي، فما زلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك"[(٤)].

قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: "معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات، وتحمل المشقات في رضى الله ﷻ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا"[(٥)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كلما ذاق العبد حلاوة الصلاة كان انجذابه إليها أوكد، وهذا يكون بحسب قوة الإيمان"[(٦)].

ومجاهدة النفس والهوى تقرُّب العبد إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فيكون في حفظ الله عَزَّوَجَلَّ ورعايته. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مخالفة الهوى تقيم العبد في مقام من لو أقسم على الله لأبره، فيقضي له من الحوائج أضعاف أضعاف ما فاته من هواه". وقال: "إذا

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٣٤٧/١٠)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٦٦/١)، صفة الصفوة (٢٢١/٢).

(٢) انظر: صفة الصفوة (٣٨٣/٢)، إحياء علوم الدين (٣٥٨/١)، لطائف المعارف، لابن رجب (٤٥/١، ٣٢٤)، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٥٠٣/٢)، تاريخ دمشق (١٤٦/٣٤).

(٣) انظر: صيد الخاطر (ص:٢٩٩)، و(ص:٤٥٧)، إغاثة اللهفان (١٩٧/٢)، الجواب الكافي (ص:١٢١)، و(ص:٢٣٣)، الزهد الكبير (ص:٨١).

(٤) طريق الهجرتين (ص:٣٢١).

(٥) انظر: شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٣/٢)، فتح الباري، لابن حجر (٦١/١).

(٦) مجموع الفتاوى (٦٠٦/٢٢).

تأملت السبعة الذين يظلهم الله عَزَّوَجَلَّ في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى"(١).

٣ – تدبر القرآن ومعرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته:

إنَّ تدبُّرَ آيات القرآن الكريم، والتعرُّفَ على أسماءِ الله تعالى وصفاته مما يحقق في المكلَّفِ أجلَّ المقاصد، فلا أنفع للعبد من العلم الصحيح بفاطر السَّموات والأرض والذي لا يتحقق إلا بمعرفة أسمائه وصفاته وتدبر آياته.

كما أنَّ العلم بأسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصفاته يستلزم عبادته ومحبته وخشيته، ويوجب تعظيمه وإجلاله؛ فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته إزدادَ إيمانه، وقويَ يقينه.

والعلم بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأسمائه، وصفاته أشرف العلوم عند المسلمين، وأجلها على الإطلاق؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد تقدم أن معرفة المكلف لأسماء الله ﷻ وصفاته، وتدبرها وعقل معانيها من علامات محبة العبد لله عَزَّوَجَلَّ وتوفيقه له، فمن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.

٤ – الإكثار من النوافل –كما تقدم–.

....

٥ – مجالسة العلماء ومصاحبة الصالحين وأرباب العزائم والهمم ومنافستهم في الأعمال الصالحة:

فإن رؤية المجدين تبعث في النفس الهمة لتقليدهم والتشبه بهم.

وسيأتي بيان ذلك في (محبة الصديق الصالح).

---

(١) روضة المحبين (١/٤٨٤-٤٨٥).

٦ – التنويع في العبادات وفي صفاتها.

....

٧ – الذكر والدعاء والتضرع إلى الله عَزَّوَجَلَّ:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من أكبر العون على طاعته؛ فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها له، ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل". وقال: "إن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت"(١).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص:٧٦-٧٧).

المبحث الخامس

محبة آل البيت

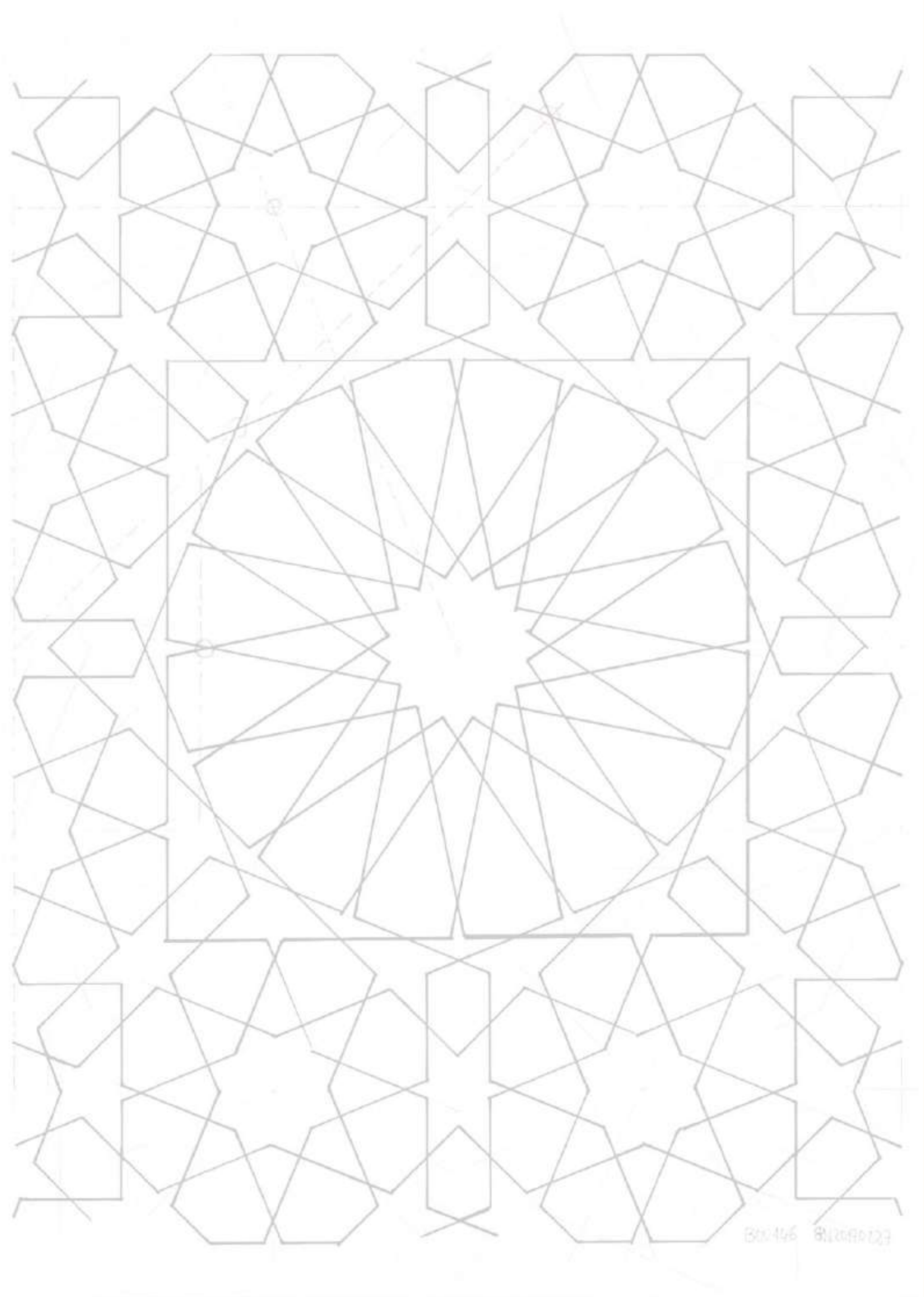

ذهب العلماء إلى أن محبّة أهل بيت[1] النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطلوبة من المسلمين، وأن محبتهم من محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أن بغضهم أو كرههم معصية.

وحب آل البيت النبوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ إنما كان من أجل رأس هذا البيت، وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

---

(١) يُعبَّر عنهم بالأهل وبالآل، وقد حصل الخلاف في تعينهم على أربعة أقوال مشهورة: القول الأول: أن الآل هم الأزواج والذرية. القول الثاني: هم من حرمت عليهم الزكاة: وفيمن حرمت عليهم الزكاة قولان: الأول: أن الذين حرمت عليهم الزكاة: بنو هاشم وبنو المطلب. والثاني: أن الذين حرمت عليهم الزكاة بنو هاشم فقط. القول الثالث: أن آل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميع أمة الاستجابة. القول الرابع: علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهما دون غيرهما.

(٢) انظر: حقوق آل البيت، لابن تيمية (ص:٥). فائدة: أخطأ بعض الفضلاء من أهل العلم في الاستدلال على محبة آل البيت بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، والصواب أن معناه: "إلا أن تودوني في قرابتي منكم، أي: تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني، فالقربى هاهنا: قرابة الرحم كأنه قال: اتبعوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوءة. تفسير القرطبي (٢١/١٦)، وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجرًا يا معشر قريش، إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم...". تفسير الطبري (٥٣٠/٢١). قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: "وما فسَّر به بعض المفسرين أن المعنى: إلا أن تودوا أقاربي تلفيق معنى عن فهم غير منظور فيه إلى الأسلوب العربي، ولا تصح فيه رواية عمن يعتد بفهمه. أما كون محبة آل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأجل محبة ما له اتصال به خلقًا من أخلاق المسلمين فحاصل من أدلة أخرى، وتحديد حدودها مفصل في (الشفاء) لعياض" التحرير والتنوير (٨٣/٢٥). انظر ذلك مفصلًا في (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) (١٠٤/٢) فما بعد. وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة. وفي (صحيح البخاري رَحِمَهُ اللهُ) عن ابن عباس: أنه سئل عن قوله ﷻ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد. فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة...الخ". تفسير ابن كثير (١٩٩/٧) بتصرف، صحيح البخاري [٣٤٩٧، ٤٨١٨].

وفي الحديث: ((**أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي**[١] **فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين**[٢]: **أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**))، فحثَّ على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ورغَّب فيه، ثم قال: ((**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**))[٣].

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أذكركم الله في أهل بيتي**))، أي: في الوصية بهم، واحترامهم. وكرره ثلاثًا؛ للتأكيد. قال الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جعل الله عَزَّوَجَلَّ أهل بيته مساوين له في خمسة أشياء: في المحبة، وتحريم الصدقة، والطهارة، والسلام، والصلاة. ولم يقع ذلك لغيرهم[٤].

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان يحبُّون أهلَ البيت، ويظهرون ولاءهم واحترامهم لهم؛ تقرُّبًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ ووفاء للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: "ارقبوا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته"[٥]. وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي"[٦].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "(ارقبوا محمدًا في أهل بيته) يخاطب بذلك الناس ويوصيهم بهم، والمراقبة للشيء: المحافظة عليه. يقول: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم"[٧].

---

(١) يعني: ملك الموت.

(٢) سميا به؛ لعظم شأنهما وشرفهما.

(٣) صحيح مسلم [٢٤٠٨].

(٤) فيض القدير (٢/ ١٧٤)، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦/١٩٠).

(٥) صحيح البخاري [٣٧١٣، ٣٧٥١].

(٦) صحيح البخاري [٤٠٣٥، ٤٢٤٠]، مسلم [١٧٥٩].

(٧) فتح الباري (٧/٧٩).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن توقيره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبره: بر آله وذريته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأمهات المؤمنين أزواجه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ. كما حض عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسلكه السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.."[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان مكانة أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أهل السنة: "ويُحبون أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال يوم غدير خُم: ((**أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**))"[٢]. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحبونهم لأمرين: للإيمان، وللقرابة من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يكرهونهم أبدًا"[٣].

وقال العلامة الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (تفسيره): "والكثير من الناس في حق كل من الآل والأصحاب في طرفي التفريط والإفراط، وما بينهما هو الصراط المستقيم، ثبتنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ذلك الصراط"[٤].

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢/١٠٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٥٤).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٨/٦٠٨).

(٤) روح المعاني (١٣/٣٣).

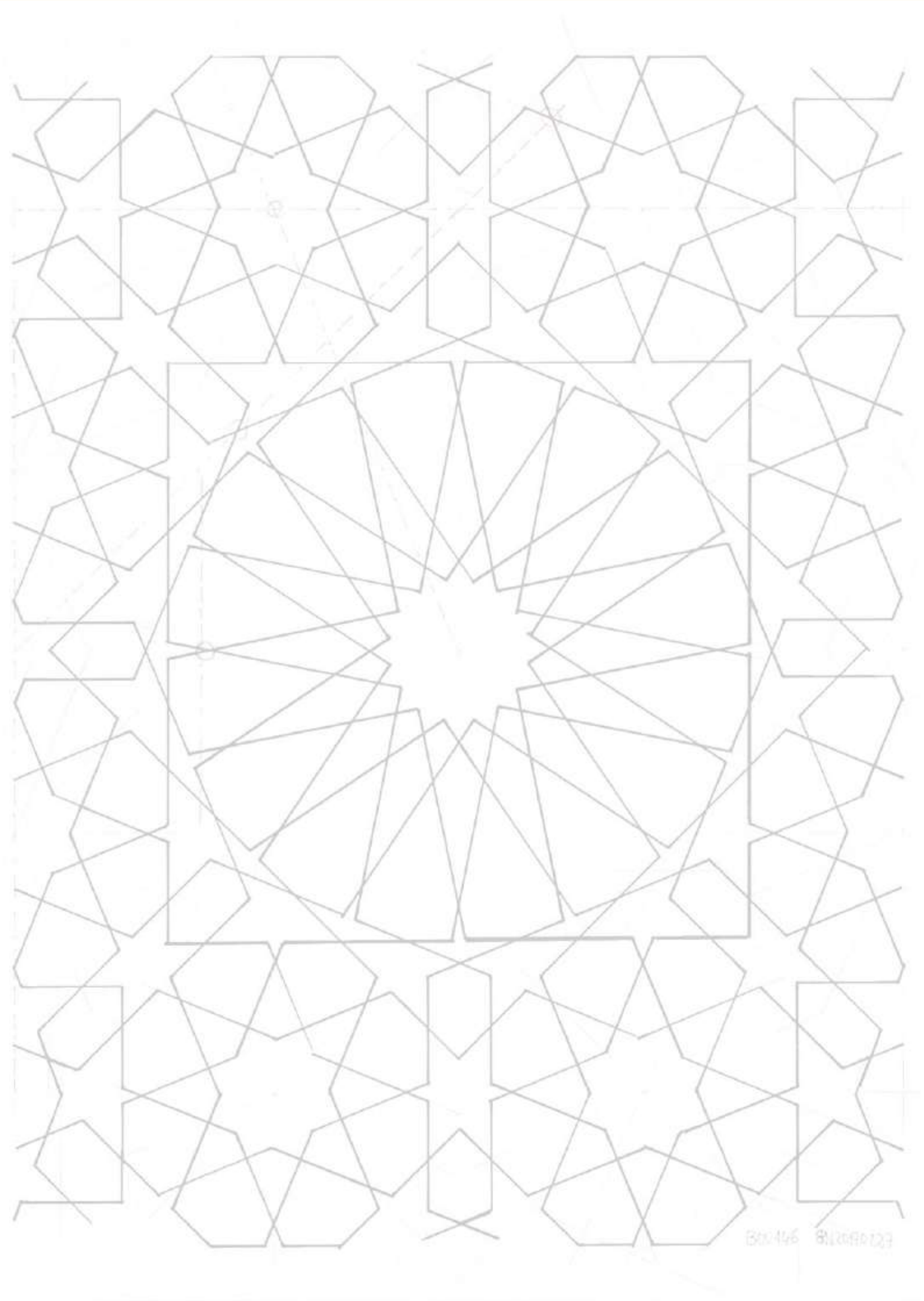

المبحث السادس

محبة الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

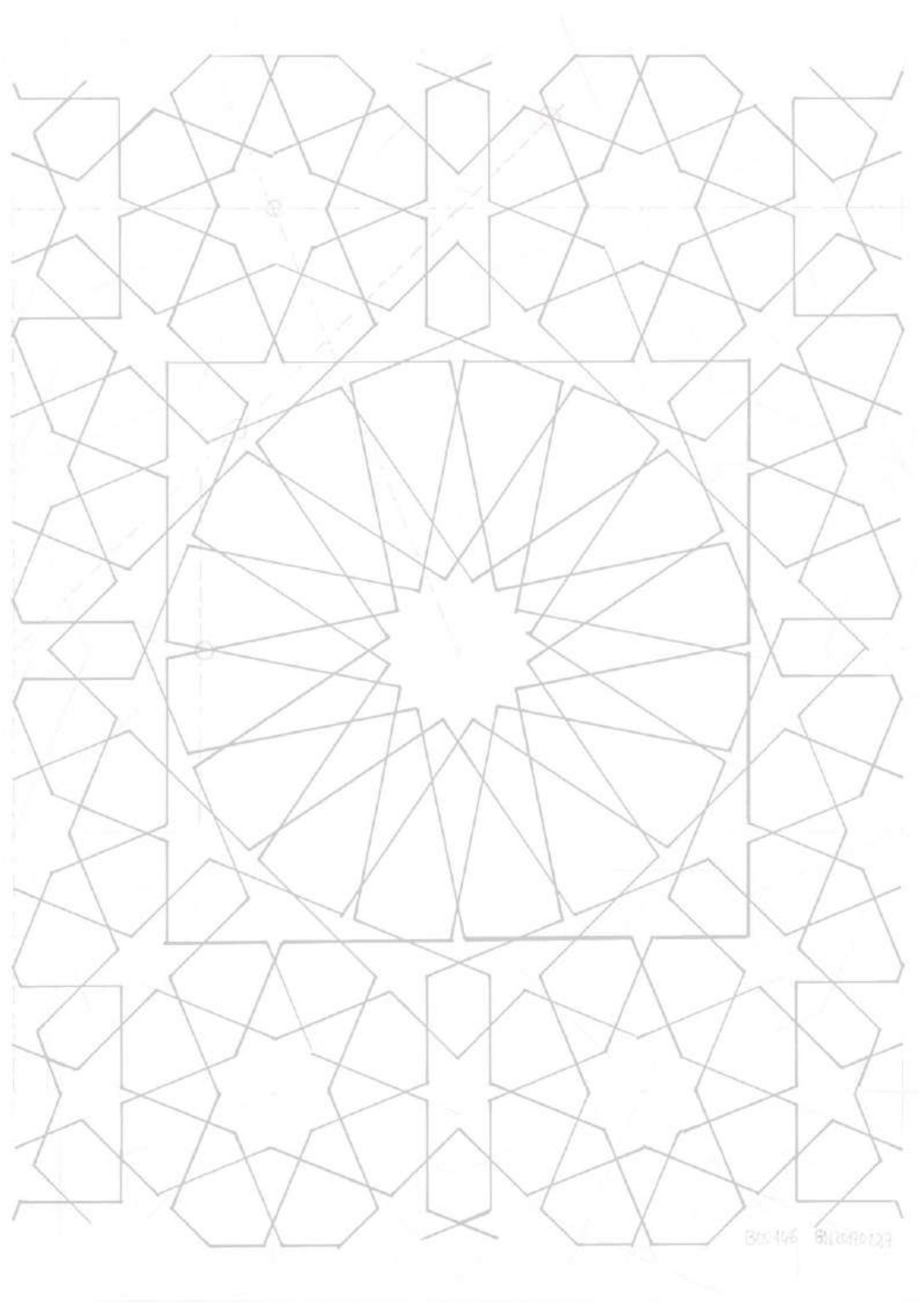

إنَّ من عقائد أهل السنة والجماعة: وجوب محبة أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعظيمهم والاقتداء بهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لما شرفهم الله عَزَّ وَجَلَّ، به من صحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والجهاد معه؛ لنصرة دين الإسلام، والهجرة في سبيله.

ولا شك أن من الخذلان الكبير وعدم التوفيق من الله تعالى للعبد: أن يجعل من نهجه وسعيه الوقوع في صحابة خير الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الخوض فيما وقع بينهم بدلاً من أن يشغل عمره بما ينفعه في أمر دينه ودنياه.

وليس هناك وجه أو عذر في سب أو بغض صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففضائلهم كثيرة متعددة، فهم الذين نصروا نصروا الدين ونشروه، وهم الذين قاتلوا المشركين، ونقلوا القرآن والسنَّة والأحكام، وبذلوا أنفسهم ودماءهم وأموالهم في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد اختارهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لصحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يسبهم ولا يبغضهم إلا منافق.

وقد دلت النصوص الصحيحة الصريحة على هذا المعتقد في كثير من الآيات والأحاديث، فمن الآيات: قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران:١٧٢]، فأخبر الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن استجابتهم لأمره حتى في الشدائد. وأخبر عن زيادة إيمانهم بهذا الثبات فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وبيَّن الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنهم أنصار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في وصفهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ

آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:٨-١٠]. فأثبت سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ صدقهم مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ونصرتهم له.

ومن الآيات قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٤]؛ فإن أول من دخل في هذه الآية من هذه الأمة هم الصحابة من المهاجرين والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

ومن الآيات قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة:٨٨].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في بيان ثباتهم وتصديقهم للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في أشد الساعات: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٢-٢٣]. وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظًّا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحدًا منهم، أو اعتقد فيه شرًّا أنه لا حق له في الفيء، روي ذلك عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره. قال مالك: من كان يبغض أحدًا من أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ..﴾ الآية"[١].

"فلعله أخذ بمفهوم الحال من قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ الآية، فإن المقصد من الثناء عليهم بذلك: أن يضمروا مضمونه في نفوسهم فإذا أضمروا خلافه وأعلنوا بما ينافي ذلك فقد تخلف فيهم هذا الوصف؛ فإن الفيء عطية أعطاها الله

(١) تفسير القرطبي (١٨/٣٢)، تفسير ابن عادل (١٨/٥٩٦)، السراج المنير، للخطيب الشربيني (٤/٢٥٠).

عَزَّوَجَلَّ تلك الأصناف، ولم يكتسبوها بحق قتال، فاشترط الله عليهم في استحقاقها أن يكونوا محبين لسلفهم غير حاسدين لهم"[١].

وإنَّ أهل السنة والجماعة يحبون أصحاب رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويثنون عليهم ويترضون عنهم، كما أثنى الله عَزَّوَجَلَّ عليهم وترضى عنهم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

فقد صرَّح الحقُّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في هذه الآية الكريمة بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان، أنهم داخلون معهم في رضوان الله عَزَّوَجَلَّ، والوعد بالخلود في الجنات، والفوز العظيم، وبين في مواضع أخر، أن الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم في الخير كقوله جَلَّ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ الآية [الجمعة:٣]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ الآية [الحشر:١٠]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال:٧٥][٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وخيرهم وأفضلهم، أعني: الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"[٣]. ومن الآيات قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ

---

(١) التحرير والتنوير (٩٧/٢٨).

(٢) انظر: أضواء البيان (١٤٨/٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٠٣/٤).

﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨][1]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦].

وقوله ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾. الآية [الفتح:٢٩].

وقد دلت هذه الآية على عظم قدر أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعظم منزلتهم وفضلهم، وأن الكفار هم الذين يغيظهم ذلك، ويغصون به؛ ولذلك قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: "من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أصابته هذه الآية"[2]. قال القرطبي: "لقد أحسن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في مقالته وأصاب في تأويله؛ فمن نقص واحدًا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين"[3].

وقال العلامة محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: "رحم الله مالك بن أنس ورضي عنه ما أدق استنباطه"[4].

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾: "أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم"[5].

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "والرضى من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلَّا عن عبد علم أنه يوافقه على موجبات الرضى، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدًا" الصارم المسلول (ص:٥٧٢).

(٢) موطأ الإمام مالك (١/٢٥٥)، الحلية (٦/٣٢٧)، تفسير القرطبي (١٦/٢٩٧)، تفسير البحر المحيط (٩/٥٠٣)، ابن عادل (١٧/٥١٨).

(٣) تفسير القرطبي (١٦/٢٩٧).

(٤) التحرير والتنوير (٢٦/٢١٠).

(٥) أخرجه الحاكم في (المستدرك) [٣٧١٩]، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. وقد ورد في (صحيح مسلم) [٣٠٢٢] من غير ذكر الآية. وأما الأمر بالاستغفار الذي أشار إليه فهو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فنعوذ بالله عَزَّوَجَلَّ ممن في قلبه غيظ لأحد من هؤلاء أو لأحد من أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو لأحد من أزواجه، بل نرجوا بمحبتنا لجميعهم الرحمة والمغفرة من الله الكريم -إن شاء الله-"(١).

ومنها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

ففي هذه الآية الكريمة أثنى الحق تبارك وتعالى على الذين أنفقوا من قبل الفتح -أي: فتح مكة كما هو رأي الجمهور- وبين أنهم أعظم درجة ممن أنفق وقاتل بعد ذلك؛ ذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديد فلم يكن حينئذ إلا الصديقون، أما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورًا عظيمًا ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

وممن أنفق قبل الفتح وقاتل أئمة الصحابة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم رضوان الله عليهم ممن أسلم قبل الفتح وجاهد بنفسه في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهم أعظم درجة وأفضل من بعدهم، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾(٢).

أما الأحاديث فمن ذلك: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**))(٣).

اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والمراد بقرن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث: الصحابة"(٤)، والثاني: التابعون، والثالث: تابعوهم.

ومن ذلك قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبًا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه**))(٥).

---

(١) الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري (٢٣٤١/٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٢/٨).

(٣) صحيح البخاري [٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩]، مسلم [٢٥٣٣].

(٤) فتح الباري (٥/٧-٦).

(٥) صحيح البخاري [٣٦٧٣]، مسلم [٢٥٤٠، ٢٥٤١]. قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مد أحدهم)) "أي: المد المد من كل شيء، وهو بضم الميم في الأصل: ربع الصاع، وهو رطل وثلث بالعراقي عند الشافعي

ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**))[1].

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**وأنا أمنة لأصحابي**))، أي: من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك. ((**فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**)) من ظهور البدع والحوادث في الدين، والفتن..

ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها**))[2].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟!**))[3].

وأخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "إنَّ الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه،

وأهل= =الحجاز، وهو رطلان عند أبي حنيفة وأهل العراق. وقيل: أصل المد مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعامًا، وإنما قدره به؛ لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة. وقال الخطابي: يعني أن المد من التمر الذي يتصدق به الواحد من الصحابة مع الحاجة إليه أفضل من الكثير الذي ينفقه غيرهم من السعة. وقد يروى: مد أحدهم، بفتح الميم، يريد: الفضل والطول. وقال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: وسبب تفضيل نفقتهم أن إنفاقهم إنما كان في وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعاتهم. قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ولا نصيفه)) فيه أربع لغات: نصف بكسر النون وبضمها وبفتحها، ونصيف بزيادة الياء، مثل العشر والعشير والثمن والثمين، وقيل: النصف هنا مكيال يكال به". عمدة القاري، للإمام العيني (١٦/١٨٨)، وانظر: شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٦/٩٣)، إكمال المعلم، للقاضي عياض (٧/٢٩١).

(١) صحيح مسلم [٢٥٣١].

(٢) صحيح مسلم [٢٤٩٦].

(٣) صحيح البخاري [٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩]، مسلم [٢٤٩٤].

فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه"(١).

أما محبة الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقد ورد في الحث عليها نصوص كثيرة، فمن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((آية الإيمان: حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار))**(٢). وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله))**(٣). وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((من أحب الأنصار أحبه الله يوم يلقاه، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله يوم يلقاه))**(٤).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكذلك حب المهاجرين -الذين هم أفضل من الأنصار- من الإيمان"(٥).

أما محبة الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهي كذلك مطلوبة؛ لأنهم خير الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد [٣٦٠٠]، والبزار [١٨١٦]، وابن الأعرابي [٨٤٣]، والطبراني في (الكبير) [٨٥٨٢]. قال الهيثمي (١/١٧٧- ١٧٨): "رواه أحمد والبزار والطبراني في (الكبير)، ورجاله موثقون". قال العجلوني في (الكشف) (٢/٢٢١): "وهو موقوف حسن".

(٢) صحيح البخاري [١٧، ٣٧٨٤]، مسلم [٧٤].

(٣) صحيح البخاري [٣٧٨٣]، مسلم [٧٥].

(٤) أخرجه ابن حبان بإسناده صحيح [٧٢٧٣].

(٥) فتح الباري، لابن رجب (١/٦٥). فضَّل الله عَزَّوَجَلَّ المهاجرين على الأنصار، فقد بدأ بهم في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧]، وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، ثم قال في الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:٩]، وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ المهاجرين قبل الأنصار؛ لأن المهاجرين تركوا ديارهم وأموالهم وبيوتهم، وخرجوا طاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما الأنصار فهم في بلدهم، في بيوتهم، وفي أموالهم رضي الله عنهم جميعًا.

وقد دل على ذلك جملة من الأدلة، فمن ذلك: ما جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ((**كنا نخير بين الناس في زمن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم**))(١).

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلي: أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق(٢).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومعنى هذه الأحاديث أن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام، والسعي في إظهاره، وإيواء المسلمين، وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحبه إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس؛ إيثارًا للإسلام، وعرف من علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قربه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، وما كان منه في نصرة الإسلام، وسوابقه فيه، ثم أحب الأنصار وعليًا؛ لهذا، كان ذلك من دلائل صحة إيمانه، وصدقه في إسلامه؛ لسروره بظهور الإسلام، والقيام بما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته -والله أعلم-"(٣).

وفي الحديث: ((**من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**))(٤).

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحسن بن علي على عاتقه، يقول: ((**اللهم إني أحبه فأحبه**))(٥).

---

(١) صحيح البخاري [٣٦٥٥].

(٢) صحيح مسلم [٧٨].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٦٤/٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه [١٤٣]، وأبو يعلى [٦٢١٥]، والطبراني في (الكبير) [٢٦٤٥]، و(الأوسط) [٤٧٩٥]. وفي (الزوائد): "إسناده صحيح رجاله ثقات" مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢١/١)، وانظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٦٤/١).

(٥) صحيح البخاري [٣٧٤٩]، مسلم [٢٤٢٢].

وفي رواية: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أنه قال لحسن: ((**اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه**))[١].

وفي رواية: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنت مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سوق من أسواق المدينة، فانصرف فانصرفت، فقال: ((**أين لُكَعُ –ثلاثًا–؟ ادْعُ الحسَنَ بن عليٍّ**))، فقام الحسن بن علي يمشي وفي عنقه السِّخاب، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بيده هكذا، فقال الحسن بيده هكذا، فالتزمه فقال: ((**اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه**))، وقال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فما كان أحد أحب إلي من الحسن بن علي، بعد ما قال رسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما قال[٢]..إلى غير ذلك.

قال القاضي عياض رَحِمَهُٱللَّهُ: ومن انتقص أحدًا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح، وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعًا، ويكون قلبه سليمًا"[٣].

قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: "فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قدح في الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما طعنوا في أصحابه؛ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين"[٤].

وعن شعبة عن منصور سمعت الشعبي رَحِمَهُٱللَّهُ يقول: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة، يقولون: علي، وعثمان، وطلحة، والزبير في الجنة. قال الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن

---

(١) صحيح مسلم [٢٤٢١].

(٢) صحيح البخاري [٥٨٨٤]، مسلم [٢٤٢١]. و((لكع)): كناية عن الصغير، والمراد: الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وروى الإسماعيلي عن ابن أبي عمر أحد رواة هذا الحديث. قال: السخاب: شيء يعمل من الحنظل، كالقميص والوشاح. انظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٤٢/٤)، عمدة القاري (٢٤٠/١١).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١٢١/٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٤٢٩/٤).

السابقين الأولين الذين أخبر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنه رضي عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قتلوا ورزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم[(١)].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (رسالته البغدادية) التي رواها عنه الحسن بن محمد الزعفراني، وهذا لفظه: وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والتوراة والإنجيل[(٢)]، وسبق لهم على لسان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، أدوا إلينا سنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامًّا وخاصًّا وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا. وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد..[(٣)]. وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا نفاضل على عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت[(٤)].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي"[(٥)].

وقال ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فمن اتَّبع السابقين الأولين كان منهم، وهم خير الناس بعد الأنبياء، فإن أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير أمة أُخرجت للناس، وأولئك خير أمة محمد كما ثبت في الصِّحاح من غير وجه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**خير القرون**

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦٢/١)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٥٠٧/٣).

(٢) كأنه عنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح:٢٩]. قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وسبق لهم على لسان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم. فرحمهم الله وهنأهم ما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين". المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي [٤١، ٤٢، ٤٣].

(٣) انظر: إعلام الموقعين، لابن القيم (٦٣/١). المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي [٤١، ٤٢، ٤٣].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة [٣١٩٣٦]، وأحمد [٤٦٢٦]، وأبو يعلى [٥٧٨٤]، وابن حبان [٧٢٥١] بإسناد صحيح، وأخرجه أيضًا: الطبراني في (الكبير) [١٣٣٠١]، بألفاظ متقاربة.

(٥) فتح الباري، لابن حجر (١٧/٧).

القرن الذي بُعِثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))[(١)]؛ ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيرًا وأنفع من معرفة أقوال المتأخِّرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله؛ كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك؛ فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دلَّ عليه الكتاب والسنة؛ فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يُذكَر من إجماع غيرهم ونزاعهم؛ وذلك أن إجماعهم لا يكون إلَّا معصومًا، وإذا تنازعوا، فالحق لا يخرج عنهم"[(٢)].

---

(١) تقدم.

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٤).

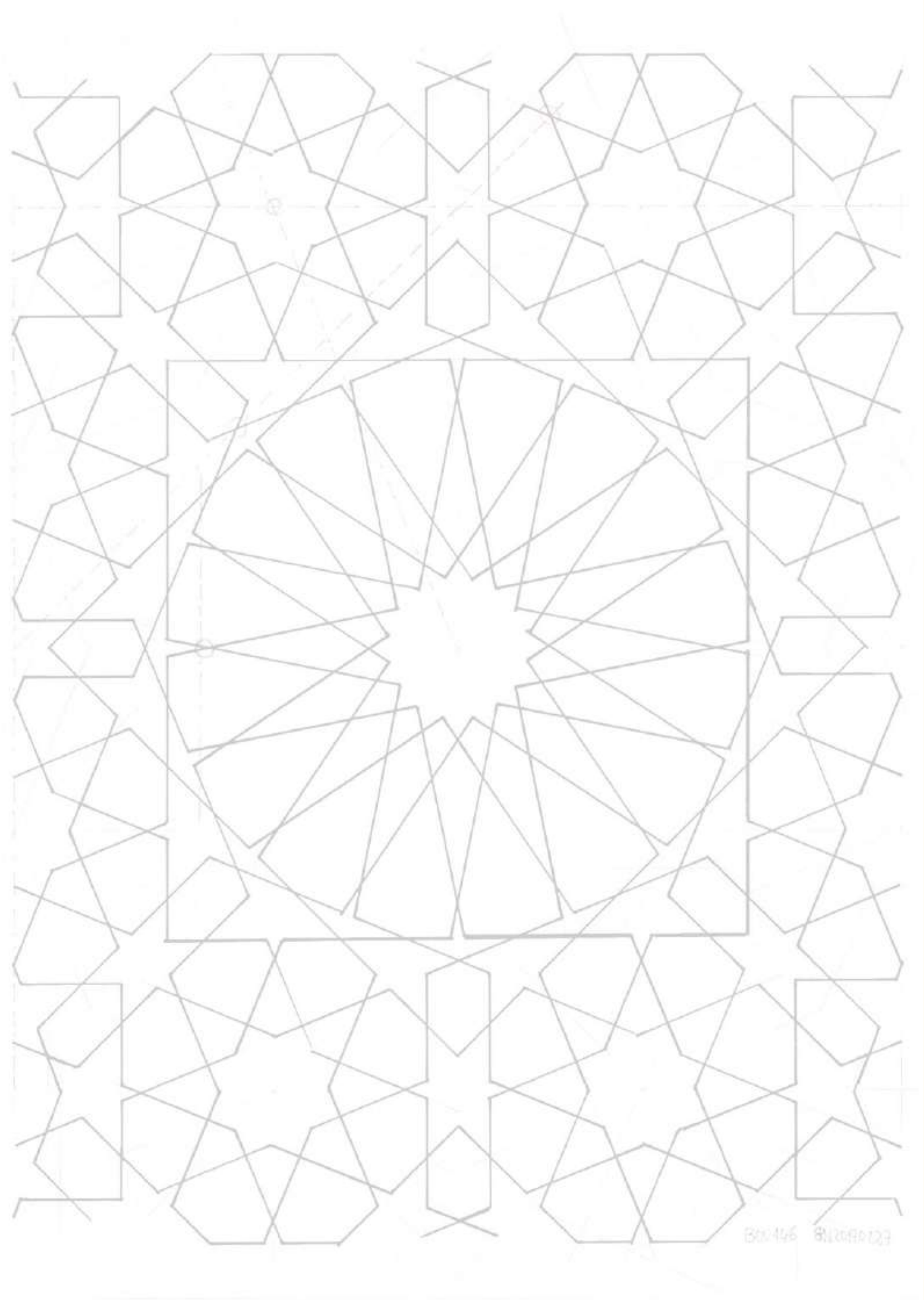

المبحث السابع

محبة الإخوان

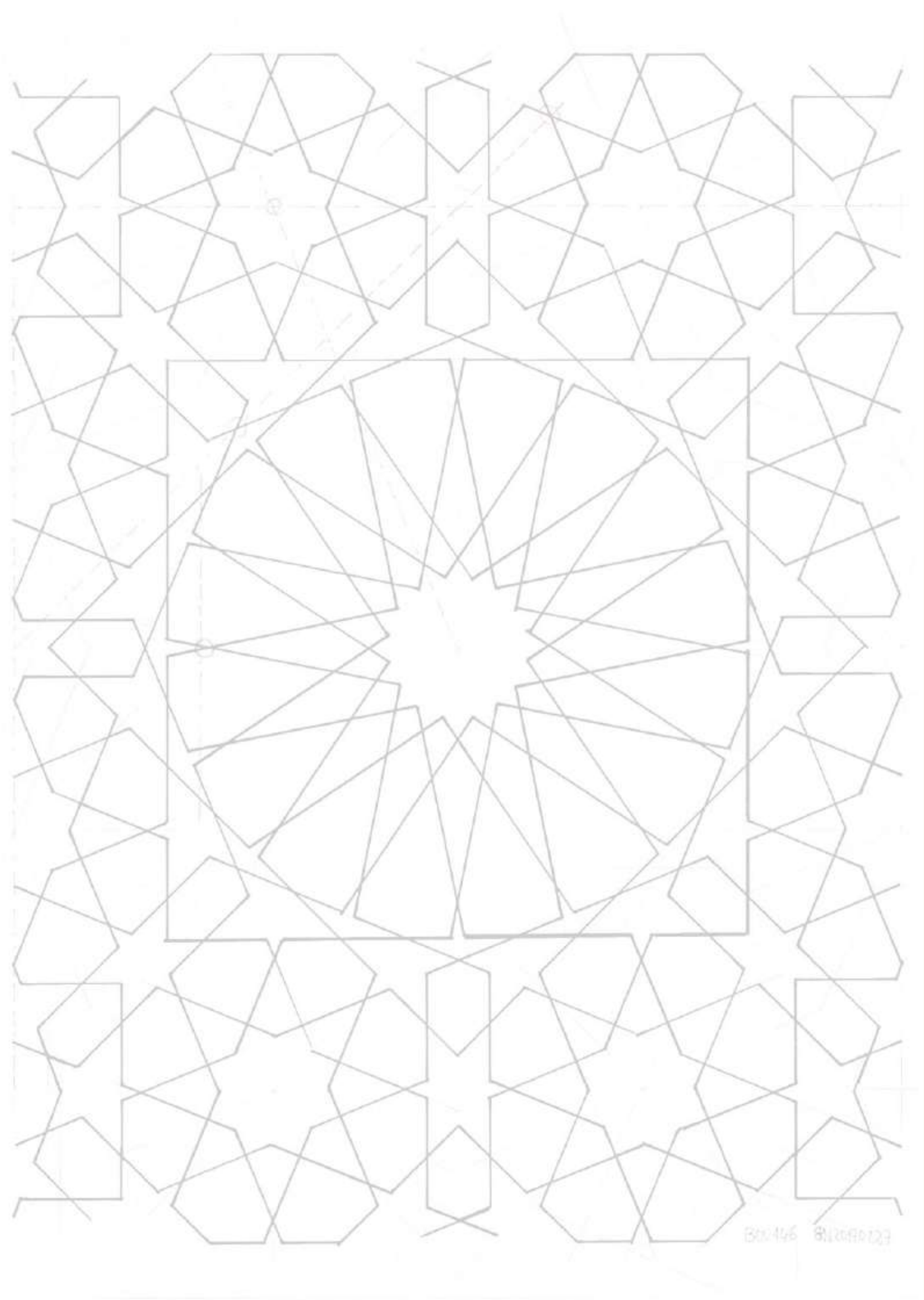

أولًا: رابطة الإخوة:

إنَّ الأخوة في الله عَزَّوَجَلَّ ركيزة من ركائز هذا الدين، ورابطة وثيقة تسمو على سائر العلاقات التي تربط بين الناس؛ لأنها مبنية على العقيدة، وهي أوثق الروابط وأقواها.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إنما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وفي الحديث: ((**لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**))(١)، وفي رواية: ((**والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير**))(٢). فهذا الحديث أصل عظيم في محبة المسلمين والنصح لهم وإيثارهم؛ فإنَّ من كمال إيمان العبد أن يحب لأخيه المسلم من الخير ما يحب لنفسه، وأن يكره لأخيه المسلم من الشر ما يكره لنفسه، وأن يرشد إخوانه إلى ما ينفعهم، ويحذرهم عما يضرهم.

وفي الحديث: ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**))(٣).

وفي الحديث: ((**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**))(٤).

وفي الحديث: ((**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**))(٥).

---

(١) صحيح البخاري [١٣]، مسلم [٧١].

(٢) أخرجه وأحمد [١٣٦٢٩]، النسائي في (السنن) [٥٠١٧]، وأبو يعلى [٢٨٨٧]، والشهاب [٨٨٨].
وفي رواية: ((لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير)) أخرجه أبو يعلى [٣٠٨١]، وابن حبان [٢٣٥]، والضياء [٢٥٢٥].

(٣) صحيح البخاري [٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦]، مسلم [٢٥٨٥].

(٤) صحيح البخاري [٦٠١١]، واللفظ له، ومسلم [٦٦، ٦٧].

(٥) صحيح البخاري [٢٤٤٢، ٦٩٥١] عن عبد الله بن عمر، وأخرجه مسلم [٢٥٨٠] عن الزهري، عن سالم، عن أبيه.

فقوله: ((**ولا يسلمه**)) أي: لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه(١).

وفي رواية: ((**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا**(٢)**، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا**))، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، ((**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**))(٣).

وفي رواية: ((**المسلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه**))(٤).

فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يعيبه، ولا يخذله، ولا يتطاول عليه في البنيان، فيستر عليه الريح إلَّا بإذنه، ولا يؤذيه بِقُتَارِ قدره(٥) إلَّا أن يَغْرِفَ له، ولا يشتري لبنيه الفاكهة فيخرجون بها إلى صبيان جاره، ولا يطعمونهم منها..إلى غير ذلك.

قال يحي بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا حقيقة الحب في الله عَزَّوَجَلَّ: "حقيقة الحب في الله جَلَّ وَعَلَا أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء"(٦).

والمودة والرحمة رباط وثيق أساسه الإيمان والعقيدة، وقد امتنَّ الله عَزَّوَجَلَّ على عباده فألَّف بينهم، وجعل بينهم مودة ورحمة. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٥/ ٩٧).

(٢) قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (شرحه لصحيح مسلم): "أي: كونوا كإخوان النسب في الشفقة والمحبة والرحمة والمواساة والمعاونة والنصيحة" المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٣٢/٦)، وانظر: طرح التثريب، للعراقي (٩٧/٨)، فتح الباري، لابن حجر (٤٨٣/١٠).

(٣) صحيح مسلم [٢٥٦٤].

(٤) أخرجه الترمذي [١٩٢٧]، وقال: "حسن غريب"، وأخرجه أيضًا: البزار [٨٨٩١].

(٥) القتار: الدخان المنبعث من المطبوخ ونحوه.

(٦) انظر: فتح الباري (٦٢/١)، فيض القدير (١٦٧/١).

عمران:١٠٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦]، ففيه إشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفة المذكورة في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:٦٣].

والإخوة في الدين رابطة متينة توجب على المرء السعي في خير أخيه من خلال النصح والإرشاد والتعاون على البر والتقوى والعمل الصالح، وتحذيره من الظلم والبغي والشر، ومنعه من ذلك إن سلك طريقه، أو سعى إليه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات:٩-١٠].

والأخوَّة الحقيقيَّة هي التي تقوم على الإيمان والمحبة في الله عَزَّوَجَلَّ ولله، وليس من أجل منفعةٍ دنيويَّة، أو مصلحةٍ شخصيَّة، أو عصبيَّة قبليَّة، أو غير ذلك من الماديَّات، فما كان لله عَزَّوَجَلَّ دام واتَّصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل.

وقد قيل: إنَّ الكلمة منفردة وحيدة لا تعدو أن تكون رسمًا، قد تُفهمك معنى، ولكن فيضَ معانيها ، وجمال قدرها لا يدرك إلَّا باتساقها مع غيرها من الكلمات، وكذلك هو حال المؤمن مع إخوانه وأحبابه..

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "القرابة الدينية أعظم من القرابة الطينية، والقرب بين القلوب والأرواح أعظم من القرب بين الأبدان"(١).

(١) منهاج السنة النبوية (٧/٧٨).

ثانيًا: ثمرات محبة الإخوان:

١ - محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمتحابين:

إن أعظم ثمرات المحبة في الله ﷻ: محبة الله عَزَّوَجَلَّ للمحتابين فيه كما في الحديث: **((وجبت محبتي للمُتحابِّين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فِيَّ))**(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا(٢)، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟(٣) قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه))**(٤).

٢ - عظم الأجر:

ويكون عظم الأجر على مقدار المحبة كما جاء في الحديث: **((ما تحاب اثنان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه))**(٥).

---

(١) أخرجه ومالك [٣٥٠٧]، وأحمد [٢٢٠٨٣]، وعبد بن حميد [١٢٥]، والطبراني [١٥٠]، وابن حبان [٥٧٥]، والحاكم [٧٣١٤]، وقال: "صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضًا: القضاعي [١٤٤٩]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٨٥٧٩].

(٢) معنى أرصده: أقعده يرقبه، و(المدرجة): بفتح الميم والراء هي الطريق سميت بذلك؛ لأن الناس يدرجون عليها، أي: يمضون ويمشون. شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٢٤/١٦)، وانظر: إكمال المعلم (١٦/٨).

(٣) بفتح المثناة الفوقية وضم الراء وشدة الموحدة التحتية، أي: تملكها وتستوفيها، أو معناه: تقوم بها وتسعى في صلاحها وتحفظها وتراعيها كما يربي الرجل ولده.

(٤) صحيح مسلم [٢٥٦٧].

(٥) الحديث مروي عن أنس، وأبي الدرداء. حديث أنس: أخرجه الطيالسي [٢١٦٦]، والبخاري في (الأدب المفرد) [٥٤٤]، والبزار [٦٨٦٩]، وأبو يعلى [٣٤١٩]، وابن حبان [٥٦٦]، والطبراني في (الأوسط) [٢٨٩٩]، والحاكم [٧٣٢٣] وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، كما أخرجه البيهقي في=

٣ - صدق الإيمان واستكماله:

الحب في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من علامات صدق الإيمان واستكماله، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله**))[1]. ومما يدل على أنَّ الحب في الله عَزَّوَجَلَّ من الإيمان ما جاء في (صحيح مسلم): ((**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا**)) الحديث[2]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان..**)) الحديث -وقد تقدم-.

=(شعب الإيمان) [٨٦٣١]. قال الهيثمي (٢٧٦/١٠): "رواه الطبراني في (الأوسط)، وأبو يعلى، والبزار بنحوه، ورجال أبي يعلى والبزار رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة، وقد وثقه غير واحد على ضعف فيه". حديث أبي الدرداء: أخرجه الطبراني في (الأوسط) [٥٢٧٩]، قال الهيثمي (٢٧٦/١٠): "رجاله رجال الصحيح غير المعافى بن سليمان، وهو ثقة". قال المنذري [٤٥٧١]: "رواه الطبراني بإسناد جيد قوي".

(١) والحديث في (مسند الإمام أحمد) [١٨٥٢٤]: عن البراء بن عازب. قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٢٦٧/١): "رواه أحمد، وفيه: ليث بن أبي سليم وضعفه الأكثر". قال الحافظ العراقي في (المغني عن حمل الأسفار) (ص:٦١٣): "رواه أحمد من حديث البراء بن عازب، وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه، والخرائطي في (مكارم الخلاق) من حديث ابن مسعود بسند ضعيف". والحاصل أن الحديث حسن بشواهده. والحديث له شواهد كثيرة، منها المروي عن ابن عباس: أخرجه الطبراني [١١٥٣٧]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٩٠٦٨]. ومنها المروي عن ابن مسعود: أخرجه الطيالسي [٣٧٦]، والخرائطي في (مكارم الأخلاق) [٧٦١]، والطبراني [١٠٣٥٧]، قال الهيثمي (٢٦٠/٧): "رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير بكير بن معروف وثقه أحمد وغيره، وفيه ضعف". كما أخرجه الحاكم [٣٧٩٠] وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". قال الذهبي في (التلخيص): "ليس بصحيح". وأخرجه أيضًا: البيهقي في (السنن) [٢١٠٦٩]، وفي (شعب الإيمان) [٩٠٦٤]. ومنها المروي عن أبي ذرٍّ: أخرجه أحمد [٢١٣٠٣]، وأبو داود [٤٥٩٩]، والبزار [٤٠٧٦] قال المنذري (١٤/٤): "رواه أبو داود، وهو عند أحمد أطول، وفي إسنادهما راو لم يسم". بألفاظ متقاربة. ومنها المروي عن أنس بلفظ: ((الحب في الله فريضة، والبغض في الله فريضة))، وقد أخرجه الديلمي [٢٧٨٧].

(٢) صحيح مسلم [٥٤].

وفي الحديث: عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **((من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان))**[(١)].

وكتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى عدي بن عدي: "إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدودًا، وسننًا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص"[(٢)].

فدل على أن من لم يحب لله عَزَّ وَجَلَّ ويبغض لله عَزَّ وَجَلَّ لم يستكمل الإيمان. قال في (الكشاف): "الحب في الله والبغض في الله باب عظيم، وأصل من أصول الإيمان. ومن لازم الحب في الله: حب أنبيائه وأصفيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ومن شرط محبتهم: اقتفاء آثارهم وطاعة أمرهم"[(٣)].

وقد قيل في معنى: (العروة الوثقى) في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان:٢٢]: "الحب في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والبغض فيه"[(٤)].

---

(١) الحديث مروي عن أبي أمامة، وعن سهل بن معاذ وهو ابن أنس الجهني، عن أبيه. حديث أبي أمامة: أخرجه ابن أبي شيبة [٣٤٧٣٠]، وأبو داود [٤٦٨١]، والطبراني في (الكبير) [٧٦١٣]، و(الأوسط) [٩٠٨٣]، قال الهيثمي (٩٠/١): "رواه الطبراني في (الأوسط)، وفيه صدقة بن عبد الله السمين، ضعفه البخاري وأحمد وغيرهما، وقال أبو حاتم: محله الصدق". حديث سهل بن معاذ وهو ابن أنس الجهني، عن أبيه رضي الله عنه: أخرجه أحمد [١٥٦١٧]، والترمذي [٢٥٢١]، وقال: "هذا حديث منكر"، وأخرجه أيضًا: أبو يعلى [١٤٨٥]، والحاكم [٢٦٩٤] وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا: البيهقي في (شعب الإيمان) [١٥].

(٢) صحيح البخاري (١٠/١)، ابن أبي شيبة [٣٠٤٤٤]، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة [١٥٧٢]، شرح السنة، للبغوي (٤٠/١)، فتح الباري، لابن رجب (١١/١)، فتح الباري، لابن حجر (٤٧/١)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٥٥/١)، المجالس الوعظية (٢٨٨/١)، تغليق التعليق على صحيح البخاري (١٩/٢).

(٣) الكشاف، للزمخشري (٣٥/١)، فيض القدير (١/ ١٦٧).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٩٧/٢)، تفسير ابن كثير (٦٨٤/١)، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٣٤٣/٤)، تفسير القرآن (اختصار تفسير الماوردي)، لعز الدين بن عبد السلام (٥٤٣/٢).

٤ – المحب يجد طعم وحلاوة الإيمان:

ففي الحديث: ((**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**))، وفيه: ((**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**))(١).

وفي رواية: ((**ثلاث من كن فيه وجد طعم الإيمان: من كان يحب المرء لا يحبه إلا لله**)) الحديث(٢).

وفي رواية: ((**من أحبَّ -أو من سرَّه- أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلَّا لله عز وجل**))(٣).

٥ – الاستظلال في ظلِّ عرش الرحمن ﷻ:

إنَّ مما يدل على عظم عاقبة ومآل المتحابين في الله عَزَّوَجَلَّ ما جاء في الحديث:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**إنَّ الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلَّا ظلي**))(٤).

وما جاء في حديث: السبعة الذين يظلهم الله عَزَّوَجَلَّ في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله: ((**ورجلان تَحَابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه**))(٥).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح مسلم [٤٣].

(٣) أخرجه الطيالسي [٢٦١٧]، وابن الجعد [١٧٠٨]، وإسحاق بن راهويه [٣٦٦]، وأحمد [٧٩٦٧]، والبزار [٩٦٠٩]. قال الهيثمي (٩٠/١): "رواه أحمد والبزار، ورجاله ثقات". كما أخرجه الحاكم [٧٣١٢]، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضًا: الشهاب [٤٤٠]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٨٥٧٦].

(٤) صحيح مسلم [٢٥٦٦].

(٥) صحيح البخاري [٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦]، مسلم [١٠٣١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله: ((**أين المتحابون بجلال الله؟**)) تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله عَزَّوَجَلَّ وتعظيمه مع التحاب فيه، وبذلك يكونون حافظين لحدوده دون الذين لا يحفظون حدوده؛ لضعف الإيمان في قلوبهم"(١).

٦ – المتحابون على منابر من نور:

إنَّ مما يدل كذلك على عظم عاقبة ومآل المتحابين في الله عَزَّوَجَلَّ ما جاء في الحديث: عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((**قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**))(٢).

وفي رواية: عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ليبعثن الله أقوامًا يوم القيامة في وجوههم النور، على منابر اللؤلؤ، يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء**))، قال: فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله، حَلِّهِم لنا نعرفهم، قال: ((**هم المتحابون في الله، من قبائل شتى، وبلاد شتى، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه**))(٣).

وفي رواية: عن عمرو بن عبسة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: عن يمين الرحمن –وكلتا يديه يمين– رجالٌ ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل. قيل: يا رسول الله، من هم؟! قال: ((**هم جِمَاعٌ من نَوَازِعِ القبائل، يجتمعون على ذكر الله، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكِلُ التمر أطايبه**))(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٨٣)، أمراض القلب (ص:٧٦).

(٢) أخرجه أحمد [٢٢٠٨٠]، الترمذي [٢٣٩٠]، وقال: "وفي الباب عن أبي الدرداء، وابن مسعود، وعبادة بن الصامت، وأبي هريرة، وأبي مالك الأشعري: " هذا حديث حسن صحيح". وأخرجه أيضًا: الحارث [١١٠٨]، وابن حبان [٥٧٧]، والطبراني في (الكبير) [٣٤٣٤]، وأبو نعيم في (الحلية) (٢/١٣١).

(٣) قال الهيثمي (١٠/٧٧): "رواه الطبراني، وإسناده حسن". وقد ورد نحوه عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وسيأتي.

(٤) قال الهيثمي (١٠/٧٧): "رواه الطبراني، ورجاله موثقون".

٧ – دخول الجنة:

((**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا**)) الحديث[١].

٨ – قربهم من الله عَزَّوَجَلَّ:

إنَّ مما يدلُّ كذلك على عظم عاقبة ومآل المتحابين في الله عَزَّوَجَلَّ ما جاء الحديث: عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**إن لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الشهداء والأنبياء يوم القيامة؛ لقربهم من الله تعالى ومجلسهم منه**))، فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله: صفهم لنا، وجلهم لنا، قال: ((**قوم من أفْنَاءِ النَّاس**[٢]**، من نزاع القبائل، تصادقوا في الله، وتحابوا فيه، يضع الله عَزَّوَجَلَّ لهم يوم القيامة منابر من نور، يخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله عَزَّوَجَلَّ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**))[٣].

ثالثًا: أخلاق تورث المحبة:

١ – القول الحسن:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣]، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٨].

---

(١) صحيح مسلم [٥٤].

(٢) يقال للرجل إذا لم يعلم من أي قبيلة: هو من أفناء القبائل. وقيل: الأفناء: أنزاع من القبائل من ههنا ومن ههنا.

(٣) أخرجه الحاكم [٧٣١٨]، وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، وقد ورد نحوه عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ –وقد تقدم–.

إنَّ اللسان أداة البيان، وترجمان القلب والوجدان. والكلام السيء قاطع لأواصر الأخوة، باعث على البغضاء والنفرة، يبعد بين العقول فتحرم الاسترشاد والاستعداد والتعاون، وبين القلوب فتفقد عواطف المحبة وحنان الرحمة، وهما أشرف ما تتحلى به القلوب، وإذا بطلت الرحمة والمحبة بطلت الألفة والتعاون، وحلت القساوة والعداوة، وتبعهما التخاصم والتقاتل(١).

٢ - مقابلة الإساءة بالإحسان:

إنَّ دوامَ الودِّ والمحبة يقتضي تجاوز الهفوات وستر الزلات..قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف:٧٧]. وقليل من الصبر وضبط الأعصاب حين تقع الخصومة يدفع كثيرًا من الشر. بل يجلب الخير والنفع في كثير من الأحوال، قال الله عَزَّوَجَلَّ -مثلًا- عن النساء: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ مقابلةَ الإساءة بالإحسان، وحُسْنَ الخُلق سببًا يكون به العدوُّ صديقًا، وتتمكَّنُ فيه صداقةُ الصديق، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]. إن كل إساءة تقابل بالإحسان سوف يكون له من الأثر الطيب ما يمحو أثرها، ويعالج ما أحدثته من صدع وجفاء. يعني: أنك إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك ومحبتك. ومقابلة السيئة بالحسنة مرتبة عظيمة لا يرتقي إليها من عباد الله عَزَّوَجَلَّ إلَّا من امتلك زمام نفسه.

ولم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح -كما سيأتي-.

---

(١) انظر: تفسير ابن باديس (ص:١١٢-١١٣).

٣ - البر:

إنَّ البرَّ من أسباب الألفة؛ لأنَّه يوصل إلى القلوب ألطافًا، ويثنيها محبَّة وانعطافًا؛ ولذلك ندب الله عَزَّوَجَلَّ إلى التعاون به، وقرنه بالتَّقوى له، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:٢]؛ لأنَّ له في التَّقوى: رضا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وفي البرِّ: رضا النَّاس، ومن جمع بين رضا الله عَزَّوَجَلَّ ورضا النَّاس، فقد تمَّت سعادته، وعمَّت نعمته(١).

٤ - الزهد في الدنيا والتَّعفُّف عن سؤال النَّاس:

جاء في الحديث: ((**ازهد في الدنيا يحبَّك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**))(٢)؛ لأن قلوبهم مجبولة على حبِّها مطبوعة عليها، ومن نازع إنسانًا في محبوبه كرهه وقلاه، ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه؛ ولهذا قال الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ: لا يزال الرجل كريمًا على الناس حتى يطمع في دنياهم فيستخفون به ويكرهون حديثه. وقيل لبعض أهل البصرة: من سيدكم؟ قال: الحسن، قال: بم سادكم؟ قال: احتجنا لعلمه، واستغنى عن دنيانا(٣).

---

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي (١/ ١٨٢).

(٢) الحديث مروي عن سهل بن سعد وقد أخرجه ابن ماجه [٤١٠٢]، والطبراني [٥٩٧٢]، والحاكم [٧٨٧٣]، وقال: "صحيح الإسناد". قال الذهبي: "خالد بن عمرو القرشي وضاع". قال الشيخ الألباني: "لكنه لم يتفرد به". وأخرجه أيضًا: القضاعي [٦٤٣]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [١٠٠٤٣]. وأورده ابن أبي حاتم في (العلل) [١٨١٥]، وابن الجوزي في (العلل المتناهية) [١٣٥٢]. قال المنذري (٧٤/٤): "رواه ابن ماجه، وقد حسن بعض مشايخنا إسناده، وفيه بعد؛ لأنه من رواية خالد بن عمرو القرشي الأموي السعيدي، وخالد هذا قد ترك، واتهم ولم أر من وثقه؛ لكن على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوة، ولا يمنع كونه رواه الضعفاء أن يكون النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قاله اهـ". وللحديث أطراف أخرى، وقد حسنه الترمذي، وتبعه الإمام النووي. فيض القدير (٤٨١/١)، مصباح الزجاجة (٢١٠/٤).

(٣) فيض القدير (٤٨١/١).

وكتب أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بعض إخوانه: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، والزهد في الدنيا، والرغبة فيما عند الله، فإنك إذا فعلت ذلك أحبك الله؛ لرغبتك فيما عنده، وأحبك الناس؛ لتركك لهم دنياهم والسلام(١).

٥ - إفشاء السلام:

إنَّ إفشاء السلام من أقوى الأسباب التي تجلب المحبة والمودة.

وفي الحديث: ((**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**))(٢).

وفي رواية: ((**أفشوا السلام بينكم تحابوا**))(٣).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "والسلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة. وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين"(٤).

٦ - الابتسامة وطلاقة الوجه:

جاء في الحديث: ((**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**))(٥).

---

(١) شعب الإيمان [١٠١٧٩].

(٢) صحيح مسلم [٥٤].

(٣) أخرجه الحاكم [٧٣١٠]، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي.

(٤) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (٣٦/٢).

(٥) صحيح مسلم [٢٦٢٦]. (بوجه طلق) ضد العبوس، وهو الذي فيه البشاشة والسرور.

قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء؛ لأن البِشر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي"(١).

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن لقاء الناس بالتبسم وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة، وهو مناف للتكبر وجالب للمودة"(٢).

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**))(٣).

٧ – الإحسان إلى الناس:

إن العبد أسير الإحسان، فالإنعام والبر واللطف معانٍ تسترقُّ مشاعرَه، وتستولي على أحاسيسه.

قال أبو الفتح علي بن محمد البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أحسن إلى النَّاس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان(٤)

وللإحسان ثمرات عظيمة تتجلى في المحبة والتآلف، وتماسك بنيان المجتمع وحمايته من الخراب والتَّهلكة ووقايته من الآفات.

٨ – الإهداء:

الهدية خلق من أخلاق الإسلام، تؤلف القلوب، وتنفي سخائم الصدور، تؤنس المهدَى إليه، وتؤكد الصحبة، وتجلب المودة، وتزرع المحبة.

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان أبو حاتم الدارمي البستي (ص:٧٥).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٩٣/٥).

(٣) أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) [٨٩١]، والترمذي [١٩٥٦]، وقال: "حسن غريب". كما أخرجه البزار [٤٠٧٠]، ومحمد بن نصر [٨١٣]، وابن حبان [٥٢٩].

(٤) قصيدة عنوان الحكم، علي بن محمد البُستي [٧] (ص:٣٦).

وفي الحديث: ((**تهادوا تحابوا**))[١].

وعن ثابت رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: يا بني تباذلوا بينكم، فإنه أود لما بينكم[٢].

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أما الهدية فلا بأس بقبولها؛ فإن قبولها سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن ينبغي أن لا يكون فيها مِنَّة، فإن كان فيها منة فالأولى تركها. فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض"[٣].

٩ – الزيارة في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

إنَّ من وسائل استمالة القلوب: الزيارة في الله عَزَّوَجَلَّ. ففي الحديث: ((**زر غبًّا تزدد حبًّا**))[٤].

وقد ذكر أهل العلم أنَّ هناك آدابًا للزيارة ينبغي أن يحرص عليها المسلم حتى تتحقق مقاصد الزيارة من الألفة والتعاضد والتعاون على البر والتقوى. ومن هذه الآداب: إخلاص النية، ومحبة الخير والنصح بالمعروف للمزور. ومنها: عدم الإكثار من الزيارة لدرجة الإفراط بحيث يسأم المزور من كثرة التردد عليه. ومنها: عدم إطالة الزيارة.

---

(١) أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) [٥٩٤]، وأبو يعلى [٦١٤٨]، والدولابي في (الكنى) [٨٤٢]، وأبو الشيخ في (الأمثال) [٢٤٥]، وتمام في (الفوائد) [١٥٧٧]، والشهاب [٦٥٧]، والبيهقي في (الآداب) [٨١]، و(السنن الصغير) [٢٢٣٠]، و(الكبرى) [١١٩٤٦]، و(شعب الإيمان) [٨٥٦٨]. قال الحافظ العراقي: "أخرجه البخاري في كتاب: (الأدب المفرد)، والبيهقي من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بسند جيد". المغني عن حمل الأسفار (ص:٤٧٨). وقال الحافظ ابن حجر في (التلخيص الحبير) (١٦٣/٣): "رواه البخاري في (الأدب المفرد)، والبيهقي. وأورده ابن طاهر في (مسند الشهاب) من طريق محمد بن بكير عن ضمام بن إسماعيل عن موسى بن وردان عن أبي هريرة، وإسناده حسن".

(٢) أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) [٥٩٥] بإسناد صحيح.

(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٠٧).

(٤) قال الحافظ في (الفتح) (٤٩٨/١٠): "قد ورد من طرق أكثرها غرائب لا يخلو واحد منها من مقال". ومن هذه الطرق حديث ابن عمرو: وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في (كتاب الإخوان) [١٠٤]، والطبراني في (الكبير) [١٧٣]. قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٧٥/٨): "رواه الطبراني وإسناده حسن". وأخرجه أيضًا: أبو الشيخ [١٨]، وتمام [٢٢٨]. و(غبًا): أي: يومًا بعد يوم.

ومنها: تحري الأوقات المناسبة. ومنها: الالتزام بآداب الاستئذان. ومنها: أن يغض بصره عن محارم أهل البيت. ومنها: أن يشغل وقت الزيارة بالكلام النافع، وأن يحترز عن اللغو، وكثرة المزاح، ويتجنب الغيبة والنميمة، ورفع الصوت، وأن يحترز عن التجسس. ومنها: أن يضبط أولاده فلا يعيثون في بيوت الناس. ومنها: أن يشكر أهل البيت على استضافتهم له.. إلى غير ذلك، فهذه الآداب تحقق مقاصد الزيارة، وأهمها كما تقدم: المحبة، بمعنى أن يكون الباعث الأقوى على الزيارة: المحبة.

١٠ – إجابة الدعوة:

إنَّ إجابة الدعوة في الإسلام من لوازم الأخوة، وهي تزيد الود، وتصفِّي النفوس.

وهي من الحقوق والخصال الواجبة؛ لحديث: ((**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**))(١).

وحديث: ((**إذا دعي أحدكم إلى طعام، فليجب، فإن شاء طعم، وإن شاء ترك**))(٢). ففي الحديث: التأكيد على الإجابة واللقاء الذي يحقق المودة والمحبة والتفاهم، ما لم يكن في الإجابة منكر أو ما يجر إلى منكر.

وفي الحديث: ((**من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**))(٣).

---

(١) صحيح البخاري [١٢٤٠].

(٢) صحيح مسلم [١٤٣٠].

(٣) أخرجه الطيالسي [٢٠٠٧]، وأحمد [٥٣٦٥]، وابن حميد [٨٠٦]، وأبو داود [١٦٧٢]، والنسائي في (الكبرى) [٢٣٤٨]، وابن الأعرابي [٣٦٧]، وابن حبان [٣٣٧٥]، والطبراني في (الكبير) [٣٣٧٥]، و(الأوسط) [٤٠٣١]، والحاكم [١٥٠٢]، وقال: "صحيح على شرط الشيخين". كما أخرجه الشهاب [٣٢٦٠]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٣٢٦٠]، عن ابن عمر. قال الإمام النووي في (الرياض) (ص:٤٨٠): "حديث صحيح، رواه أبو داود، والنسائي بأسانيد الصحيحين".

فكل ما ذكر في الحديث من الأسباب الجالبة للمحبة، ومن حقوق المسلمين بعضهم على بعض.

وفي الحديث: ((**فكوا العاني، وأجيبوا الداعي، وعودوا المريض**))(١).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**لو دعيت إلى كراع لأجبت**))(٢).

١١ - التواضع والمداراة ولين الكلام:

إنَّ التواضع والمداراة ولين الكلام من الأسباب التي تؤلِّف بين القلوب.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤]، فهذا وصف المؤمنين الذين يحبهم الله عَزَّوَجَلَّ ويحبونه، ومن أحبه الله عَزَّوَجَلَّ أحبه الناس؛ ولذلك جاء عقب قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: "المدارة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وسل السخيمة"(٣)؛ ولهذا قيل: من لانت كلمته وجبت محبته، وحسنت أحدوثته، وظمئت القلوب إلى لقائه، وتنافست في مودته. والمداراة تجمع الأهواء المتفرقة، وتؤلف الآراء المشتتة، وهي غير المداهنة المنهي عنها"(٤).

---

(١) صحيح البخاري [٥١٧٤]. و(العاني): الأسير، وكل من وقع في ذل واستكانة وخضوع.

(٢) صحيح البخاري [٥١٧٨]، مسلم [١٤٢٩]. و(الكراع) عند جماهير العلماء: كراع الشاة. وذكر أهل اللغة أن الكراع وزان: غراب من الغنم والبقر، بمنزلة الوظيف من الفرس والبعير، وهو مستدق الساق.

(٣) شرح صحيح البخارى، لابن بطال (٣٠٥/٩)، وانظر: فتح الباري، للحافظ ابن حجر (٥٢٨/١٠). و(السَّخِيمة): الحِقْدُ والضَّغينة.

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (٤٣/١)، فيض القدير (٢٠٣/٣). قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط؛ لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة. والفرق أن (المداهنة) من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه. وفسرها العلماء بأنها: معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن=

فالكلام اللَّين والطَّيب من الأسباب التي تؤلِّف بين القلوب، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣]. وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وفي (صحيح البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ)، باب: طيب الكلام: وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**الكلمة الطيبة صدقة**))(١). وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النار، فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، -قال شعبة: أما مرتين فلا أشك- ثم قال: ((**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة**))(٢).

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: "الكلام الطيب مندوب إليه، وهو من جليل أفعال البر؛ لأنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جعله كالصدقة بالمال. ووجه تشبيهه عليه الصلاة والسلام الكلمة الطيبة بالصدقة بالمال هو أن الصدقة بالمال تحيا بها نفس المتصدق عليه ويفرح بها، والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن، ويحسن موقعها من قلبه، فاشتبها من هذه الجهة.

=فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك" فتح الباري، لابن حجر (٥٢٨/١٠). وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في الفرق بينهما: "إنَّ المدَاراة: بذل الدنيا؛ لصلاح الدنيا، أو الدين، أو هما معًا، وهي مباحة وربما استحبت. والمداهنة: ترك الدين؛ لصلاح الدنيا". فتح الباري، لابن حجر (٤٥٤/١٠). وقال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء؛ فإن أغضيت لسلامة دينك، ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء، فأنت مدار، وإن أغضيت لحظِّ نفسك، واجتلاب شهواتك، وسلامة جاهك فأنت مداهن". إحياء علوم الدين (١٨٢/٢). وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به؛ ليقره على باطله ويتركه على هواه فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق" الروح، لابن القيم (ص:٢٣١).

(١) صحيح البخاري (١١/٨).

(٢) صحيح البخاري [٦٠٢٣].

ألا ترى أنها تذهب الشحناء، وتجلي السخيمة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].

والدفع بالتي هي أحسن قد يكون بالقول كما يكون بالفعل"[١].

١٢ - الرفق:

إنَّ الرفق بالخلق والرحمة والحلم والأناة وسعة الصدر من أسباب المحبة. جاء في الحديث: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**مهلًا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله**))، فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**قد قلت: وعليكم**))[٢].

وفي رواية: ((**مه يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش**))[٣].

وفي رواية: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**يا عائشة: إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**))[٤].

---

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٩/ ٢٢٥).

(٢) صحيح البخاري [٦٠٢٤، ٦٠٣٠، ٦٤٠١]، مسلم [٢١٦٤، ٢١٦٥].

(٣) صحيح مسلم [٢١٦٥]. وقد تقدم بيان معنى: (الفاحش) و(المتفحش).

(٤) صحيح مسلم [٢٥٩٣].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **((إن الله عَزَّوَجَلَّ ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق[1]، وإذا أحب الله عبدًا أعطاه الرفق، ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا قد حرموا))**[2].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابيًّا بال في المسجد، فقاموا إليه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((لا تزرموه))**، ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه[3].

فمن الصفات التي يحبها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الرفق واللين، والحلم والأناة؛ لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأشج -أشج عبد القيس-: **((إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة))**[4].

١٣ – القيام بحقوق المسلمين والالتزام بها:

جاء في الحديث: **((حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس))**[5].

فهذه الحقوق التي بيَّنها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام بها النَّاس حصل بذلك الألفة والمودَّة، وزال ما في القلوب والنُّفوس مِن الضَّغائن والأحقاد.

---

(١) بضم أوله المعجم وسكون الراء ضد الرفق. و(الخرق) -بفتحتين- مصدر، و(الأخرق) وهو ضد الرفيق وبابه طرب، والاسم (الخرق) -بالضم-.

(٢) أخرجه الطبراني في (الكبير) [٢٢٧٤]، قال الهيثمي (١٨/٨): "رواه الطبراني، ورجاله ثقات". وضعفه العراقي في (تخريج الإحياء) (ص:١٠٨٣).

(٣) صحيح البخاري [٦٠٢٥]. ((لا تزرموه)): لا تقطعوا عليه بوله.

(٤) صحيح مسلم [١٧].

(٥) صحيح البخاري [١٢٤٠]، مسلم [٢١٦٢].

وفي رواية: ((**حق المسلم على المسلم ست**))، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: ((**إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**))(1).

١٤ – الإيثار:

إنَّ الإيثار من أسمى معاني الإحسان، وهو يحقق مفهوم الجسد الواحد من التآلف والتعاون والتعاضد.

ومن الآيات الدالة على أسمى معاني الإيثار قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]. فبين الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن هذا الإيثار ليس عن غنى عن المال، ولكنه عن حاجة وخصاصة، فالإيثار: هو تقديم حاجة الغير على حاجة النفس، سخاءً وتفضلًا.. وهذا لا يكون إلَّا من نفوس مهيأة للتضحية.

و(الإيثار): ضد الأثرة، وهي: حب النفس حبًّا يعميها عن كل شيء، فلا يرى المرء إلَّا ذاته، ولا يعمل إلَّا من خلال هذه الذات، وما يحقق لها من نفع ذاتي لا يشاركها فيه أحد.. و(الخصاصة): الحاجة، والفقر الذي يعجز الإنسان عن إدراك الضروري من مطالب الحياة.. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي

---

(١) أخرجه أحمد [٨٨٤٥، ٩٣٤١]، وهو في (صحيح مسلم) [٢١٦٢] مع اختلاف في بعض الألفاظ، وتشميت العاطس أن يقول له: يرحمك الله. ويقال بالسين المهملة والمعجمة لغتان مشهورتان، والمعجمة أفصح. قال ثعلب: معناه بالمعجمة: أبعد الله عنك الشماتة، وبالمهملة هو من السمت، وهو القصد والهدى. وفي الحديث: عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: عطس عند النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رجلان، فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، فقال الذي لم يشمته: عطس فلان فشمته، وعطست أنا فلم تشمتني، قال: ((إن هذا حمد الله، وإنك لم تحمد الله)) صحيح مسلم [٢٩٩١].

الرِّقَابِ..﴾ الآية [البقرة:١٧٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان:٨- ٩].

وآثار السلف في بذل المحبوبات في سبيل الله كثيرة، فمن ذلك: ما جاء في (الصحيحين) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلَّا الماء، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**من يضم أو يضيف هذا؟**))، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: ما عندنا إلَّا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ((**ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما**[1])) فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩][2].

وفي الحديث: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في سفر مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له**))، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[3].

---

(١) في (صحيح مسلم) [٢٠٥٤]: "صنيعكما".

(٢) صحيح البخاري [٣٧٩٨، ٤٨٨٩]، مسلم [٢٠٥٤]. قوله: (رجل) هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ((أصبحي)): أوقدي. ((يريانه))، أي: يتظاهران بذلك. قوله: ((طاويين))، حال تثنية طاو، وهو الجائع الذي يطوي ليله بالجوع. ((يؤثرون): يختارون ويفضلون. ﴿خَصَاصَةٌ﴾: حاجة. ﴿يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: يخالف هواها ويغلبها على ما أمرته بتوفيق الله عَزَّ وَجَلَّ وعونه من (الوقاية)، وهي الحفظ من الشح البخل والحرص.

(٣) صحيح مسلم [١٧٢٨].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ⑨﴾ [الإنسان:٨- ٩].

فهذا التعبير يدل على الإخلاص لله تعالى في العمل؛ ابتغاء مرضاته وحده، وعدم الرياء فيه.

فلا يوجد دينٌ يحثُّ أبناءَه على التَّحَابُب والمودة والإيثار كدين الإسلام. والنماذج الدَّالة على الإيثار من النصوص ومن حياة السلف كثيرة، ولو طبق الناس ما جاء في الآيات والأحاديث من معاني الإيثار لم يبق محتاجٌ.

١٥ - حسن الخلق:

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب: التحاب والتآلف والتوافق، وسوء الخلق يثمر: التباغض والتحاسد والتدابر، ومهما كان المثمر محمودًا كانت الثمرة محمودة"(١).

وإنَّ قدوتنا في الأخلاقِ الفاضلة، والسِّيرة الطَّيبة رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. كيف لا؟ وقد مدحه الله جَلَّ في القرآن فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وقد وصفته السيدة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بأن القرآنَ خُلُقُهُ(٢)، بمعنى أن امتثال القرآن أمرًا ونهيًا، وانقيادًا وعملًا، وظاهرًا وباطنًا، كان له سجية وطبعًا. ومعنى ذلك أنَّه قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن، ولا يترك إلا ما نهاه عنه القرآن، فصار امتثال أمر ربه خُلُقًا له وسجية، صلوات الله وسلامه عليه(٣).

قال عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لم يكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: ((**إنَّ من خياركم أحسنكم أخلاقًا**))(٤).

---

(١) إحياء علوم الدين (١٥٧/٢).

(٢) سئلت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن خُلق رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت للسائل: ((ألست تقرأ القرآن؟)) قال: بلى، قالت: ((فإن خلق نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن)) صحيح مسلم [٧٤٦].

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٨٩/٨).

(٤) صحيح البخاري [٣٥٥٩].

وفي رواية: قال عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، وقال: ((**إنَّ من أحَبِّكُم إليَّ أحْسَنَكُم أخلاقًا**))(1).

وقد سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كيف كان خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقالت: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صَخَّابًا(2) في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة(3)، ولكن يعفو(4) ويصفح(5).

وفي رواية: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**))، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: ((**المتكبرون**))(6).

وعن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة انجفل الناس إليه(7)، وقيل: قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: ((**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام**))(8). فما ذكر في الحديث من الأخلاق السامية

---

(1) صحيح البخاري [٣٧٥٩]. وقد تقدم بيان معنى: (الفاحش) و(المتفحش).

(2) أي: صياحًا.

(3) بل بالحسنة.

(4) أي: في الباطن.

(5) أي: في الظاهر؛ عملًا بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣]، فقد كان خلقه القرآن. أخرجه أحمد [٢٥٤١٧]، والترمذي [٢٠١٦]، وقال: "هذا حديث حسن صحيح". وأخرجه أيضًا: الخرائطي في (مكارم الأخلاق) [٦٨]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٧٩٤٤].

(6) تقدم.

(7) أي: ذهبوا مسرعين.

(8) أخرجه ابن أبي شيبة [٣٥٨٤٧]، وأحمد [٢٣٧٨٤]، وعبد بن حميد [٤٩٦]، والدارمي [١٥٠١]، وابن وابن ماجه [١٣٣٤]، والترمذي [٢٤٨٥]، وقال: "هذا حديث صحيح"، كما أخرجه الطبراني في=

الجالبة للمحبة. فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير مثال تطبيقي للأخلاق الفاضلة. وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تحت عنوان: (فائدة جليلة): "جمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه عَزَّ وَجَلَّ، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو إلى محبته"[1].

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير الدعاء لله عَزَّ وَجَلَّ، دائم الابتهال إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أن يزينه بمكارم الأخلاق، فكان يقول في دعائه: ((**اللهم كما أحسنت خَلْقِي فأحسن خُلُقِي**))[2]. فاستجاب الله عَزَّ وَجَلَّ دعائه، وأنزل عليه القرآن الكريم وأدبه به، فكان خُلُقُه القرآن.

١٦ – إصلاح ذات البين:

في النزاع والخصومات بين الأفراد، وبين الجماعات من القبائل والطوائف، وبين الإخوة، وبين الزوجين، وبين الأقارب والأرحام:

وقد أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بإصلاح ذات البين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١]. قوله جَلَّ: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، أي: أحوال بينكم، يعني: ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق[3].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ

=(الكبير) [٣٨٥]، والحاكم [٤٢٨٣]، وقال: "صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا: تمام [١٠٦٦]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٣٠٩٠]، والضياء [٤٠٤].

(١) الفوائد، لابن القيم (ص:٥٤).

(٢) أخرجه أحمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [٢٤٣٩٢]. قال الهيثمي (١٧٣/١٠): "رجاله رجال الصحيح". وأخرجه أيضًا: البيهقي في (شعب الإيمان) [٨١٨٤].

(٣) الكشاف (١٩٥/٢).

أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠-١١]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء:٣٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء:١٢٨-١٢٩].

والاشتغال بالصلح بين المتخاصمين أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات؛ لما في الإصلاح بين الناس من نفع يتعدى إلى غير واحد فيكون سببًا في وصل أرحام قطعت، وإلى تآلفِ قلوبٍ بين إخوان أو جماعات يؤول إلى وصل بعد هجر وخصام، وذلك يؤدي إلى متانة المجتمع وقوته بتآلف أفراده وتماسكهم.

وقد جاء في الحديث: عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**)) قالوا: بلى، يا رسول الله قال: ((**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة**))(١).

وفي رواية: ((**وإن البغضة هي الحالقة**))(٢).

وفي (المرقاة): "قال الأشْرَف: المراد بهذه المذكورات النوافل دون الفرائض. قلت: والله أعلم بالمراد إذ قد يتصور أن يكون الإصلاح في فساد يَتَفَرَّعُ عليه سفك الدماء، ونهب الأموال، وهَتْكُ الحُرُم أَفْضَلُ من فَرَائِض هذه العبادات الْقَاصِرَةِ مع إمكانِ قَضَائِهَا على فَرْضِ تركها، فهي من حقوق الله عَزَّوَجَلَّ التي هي أهون عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من حقوق العباد، فإذا كان كذلك، فيصح أن يقال هذا الجنس من العمل أفضل من

(١) أخرجه أحمد [٢٧٥٠٨]، والبخاري في (الأدب المفرد) [٣٩١]، وأبو داود [٤٩١٩]، والترمذي [٢٥٠٩]، وقال: "حسن صحيح". وأخرجه أيضًا: البزار [٤١٠٩]، وقال: "إسناده صحيح". كما أخرجه: الخرائطي في (مكارم الأخلاق) [٣٨٥]، وابن حبان [٥٠٩٢]، والطبراني في (مكارم الأخلاق) [٧٥]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [١٠٥٧٨].

(٢) الأدب المفرد [٤١٢].

هذا الجنس، لكون بعض أفراده أَفْضَلَ كَالْبَشَرِ خَيْرٌ من الْمَلَكِ، والرَّجُلُ خَيْرٌ من المرأة"(١).

وقوله: ((**وإن البغضة هي الحالقة**))؛ لأن في تباغضهم افتراق كلمتهم وتشتت أمرهم، وفى ذلك ظهور عدوهم عليهم ودروس دينهم(٢).

وفي (المرقاة): قوله: ((**هي الحالقة**))، أي: الماحية والمزيلة للمثوبات والخيرات، والمعنى: يمنعه شؤم هذا الفعل عن تحصيل الطاعات والعبادات.

وقيل: المهلكة من حَلَقَ بعضُهُم بَعْضًا، أي: قَتْلٌ مأخوذٌ من حَلْقِ الشَّعْر.

وفي (النهاية)(٣) هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق، أي: تهلك، وتستأصل الدين كما يستأصل الموس الشعر.

وقيل: هي قطيعة الرحم والتظالم(٤).

وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): فيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله عَزَّوَجَلَّ، وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثُلْمَةٌ في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بِخُوَيْصَةِ نفسه، فعلى هذا ينبغي أن يحمل الصلاة والصيام على الإطلاق، والحالقة على ما يَحْتَاجُ إليه أَمْرُ الدِّينِ"(٦).

والإصلاح بين الناس معدود من الصدقات كما جاء في الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**كل سُلامَى من الناس عليه صدقة،**

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣١٥٣/٨).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٢٥٩/٩).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (حَلَقَ) (٤٢٨/١).

(٤) قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "((الحالقة)): قطيعة الرحم والتظالم؛ لأنها تجتاح الناس وتهلكهم كما يحلق الشعر يقال: وقعت فيهم حالقة لم تدع شيئًا إلا أهلكته". الفائق في غريب الحديث والأثر (٣١٣/١)، وانظر: فيض القدير (١٢٦/٣).

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن) (٣٢١٤/١٠).

(٦) مرقاة المفاتيح (٣١٥٤/٨).

كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة))[(١)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "((**يعدل بين الاثنين صدقة**))، أي: يصلح بينهما بالعدل"[(٢)].

وينبغي الاحتراز عما يفسد ذات البين، ومن ذلك: المجادلة الباطلة[(٣)]..إلى غير ذلك.

١٧ – ذكر النعم:

قال سليمان الواسطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر النعم تورث الحب لله عَزَّوَجَلَّ[(٤)].

خاتمة:

والحاصل أن الأخلاق التي تورث المحبة: القول الحسن، ومقابلة الإساءة بالإحسان، والزهد والتعفف عن سؤال الناس، وإفشاء السلام، والزيارة في الله عَزَّوَجَلَّ، وحسن النية، وحسن الظن، وحسن الخلق، وحسن العشرة، وإخلاص المودة، والبشاشة، والأدب، والتودد، والتواضع، والوفاء، والإنصاف، والصدق، والعفو، والتسامح، والرفق واللين، والإحسان، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، والبعد عن الحسد والكبر والأخلاق الذميمة.

---

(١) أخرجه البخاري [٢٩٨٩]، ومسلم [١٠٠٩]. و((سلامى)) قال الإمام النووي: هو بضم السين وتخفيف اللام، وأصله: عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله" شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٢٣٣).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/٩٥).

(٣) انظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٩/٣١٦).

(٤) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٣٦/٣٣٤).

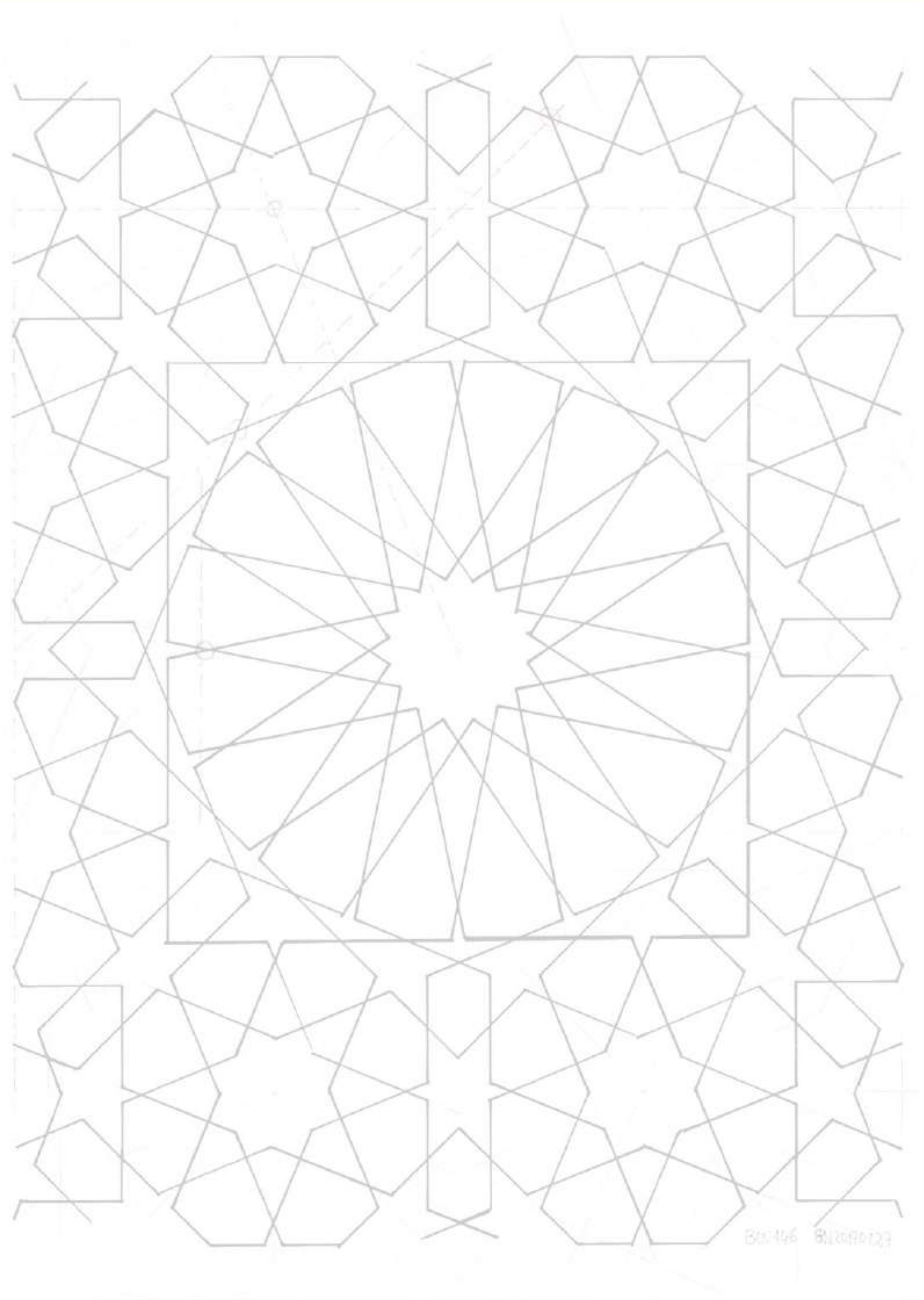

المبحث الثامن

محبة العلماء والصالحين

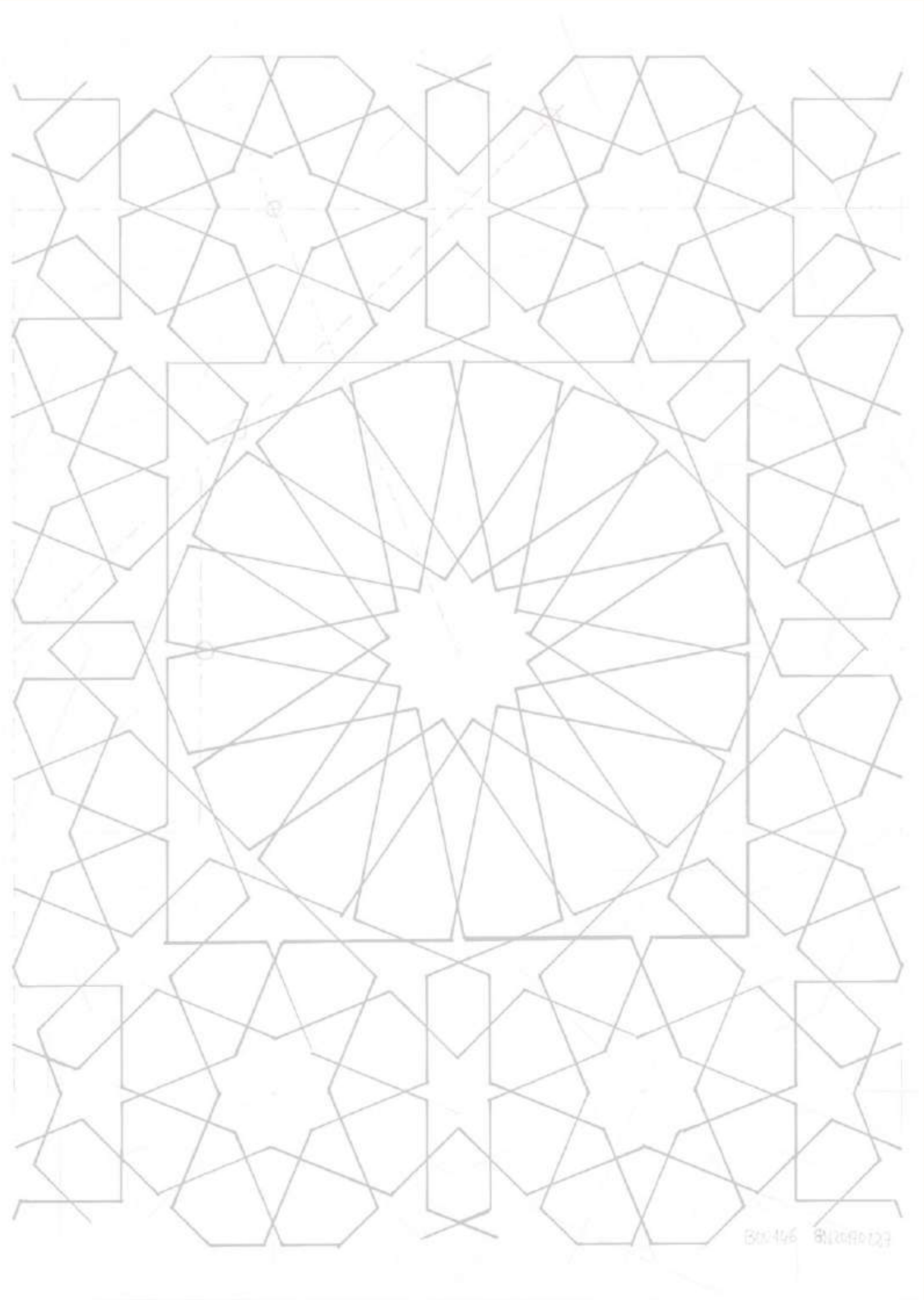

إنَّ من أفضل الأعمال التي تقرِّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ: حب العلماء والصالحين وأهل العدل والخير، أما محبة عموم الصالحين فهي مطلوبة؛ وقد تقرَّر ذلك في غير موضع.

وأما محبة العلماء الربانيين فإنها آكد من محبة عموم الصالحين؛ "فهم ورثة الأنبياء، وحراس الدين، والمبلغون الموقعون عن الله عَزَّوَجَلَّ في خلقه؛ فلهذا كان لهم أجر المجاهد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ(١)، وأجر الحاج الذَّاهب إلى بيت الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ(٢)، ويستغفر لهم كل مخلوق على وجه الأرض(٣)، وحق لهم ذلك؛ فلقد ورثوا هذا الدين، وبلغوه إلى الخلق أجمعين، وميزوا فيه الصحيح من السقيم"(٤). فهم أئمة الهدى، يدعون

---

(١) جاء في الحديث: ((من جاء مسجدي هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره)). أخرجه ابن أبي شيبة [٧٥١٧]، وأحمد [٩٤١٩]، وابن ماجه [٢٢٧]. قال البوصيري في (في زوائد ابن ماجه) (٣١/١) "هذا إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته". وأخرجه أيضًا: أبو يعلى [٦٤٧٢]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [١٥٧٥]. قال العلامة السندي رَحِمَهُٱللَّهُ: "وجه مشابهة طلب العلم بالمجاهد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ: أنه إحياء للدين، وإذلال للشيطان، وإتعاب النفس، وكسر ذرى اللذة، كيف وقد أبيح له التخلف عن الجهاد فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة:١٢٢] الآية؟". حاشية العلامة السندي على سنن ابن ماجه (١٠٠/١).

(٢) جاء في الحديث: ((من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه كان له كأجر حاج تامًّا حجته)) أخرجه الطبراني [٧٤٧٣]. قال الهيثمي (١٢٣/١): "رجاله موثقون كلهم". وقال العراقي في تخريج أحاديث (الإحياء) (ص:١٧٤٠): "إسناده جيد" كما أخرجه الحاكم [٣١١]، قال الذهبي: "على شرط البخاري" كما أخرجه أبو نعيم في (الحلية) (٩٧/٦)، وابن عساكر (٤٥٦/١٦).

(٣) جاء في الحديث: ((من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها؛ رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب. إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)) أخرجه أحمد [٢١٧١٥]، والدارمي [٣٥٤]، وابن ماجه [٢٢٣]، وأبو داود [٣٦٤١]، والترمذي [٢٦٨٢] وقال: "لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل. ثم أورد له إسنادًا، وقال: هذا أصح". وأخرجه أيضًا: ابن الأعرابي [١٥٦٤]، وابن حبان [٨٨]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [١٥٧٤].

(٤) شرح الترغيب والترهيب، للشيخ الطبيب أحمد حطيبة، الترغيب في الرحلة في طلب العلم، الدرس رقم [١].

الناس إلى الخير والصلاح، ويبينون لهم أمر دينهم ودنياهم، ويدعونهم بالحجة والبيان، فيرشدون الأنام، وينشرون المحبة والسلام، ويرتقون بالمحب في مدراج الكمال، ويبصرونه بعقبات الطريق، فالعالم يدلُّ على الله عَزَّوَجَلَّ بمقاله وسلوكه، ويكون سببًا للظفر بالحق، والفلاح في الدنيا والآخرة، فكم من تائه عن الصراط المستقيم أرشدوه!

ولذلك كان لزامًا على طالبي الهداية: محبة العلماء، وتقديرهم، وملازمتهم، والإصغاء إلى نصحهم؛ فإنه أدعى إلى الانتفاع بعلمهم؛ فإنَّ المحبة هي الباعث القوي على الاتباع لهم، والتأثر بهم، واقتفاء أثرهم.

قال الله عَزَّوَجَلَّ في بيان فضل العلماء: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قيل في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، ورفعة الدرجات تدل على الفضل؛ إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة"(١).

والعالم أكثر طاعة وخشية وإخلاصًا لله عَزَّوَجَلَّ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

فإذا كان كذلك أحبه الله تعالى محبة تفوق محبة الطائع العابد غير العالم، فليس العالم كغير العالم، فإذا أحبه الله عَزَّوَجَلَّ حببه إلى عباده.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "باب: (توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبيهم): قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩].

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**يَؤُمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءة، فإن كانت قراءتهم سواء، فَلْيَؤُمَّهُمْ أقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فَلْيَؤُمَّهُمْ أكبرهم**

(١) فتح الباري (١/ ١٤١).

سِنًّا، ولا تَؤُمَّنَّ الرجل في أهله، ولا في سلطانه، ولا تجلس على تَكْرِمَتِهِ في بيته إلا أن يأذن لك، أو بإذنه))(١).

وفي رواية له: ((**فأقدمهم سِلمًا**)) [بكسر السين وسكون اللام] بدل ((**سِنًّا**))، [وفسر السلم بقوله:] أي: إسلامًا. والمراد ((**بسلطانه**)) محل ولايته، أو الموضع الذي يختص به .((**وتكرمته**)) [بفتح التاء وكسر الراء]: وهي ما ينفرد به من فراش وسرير ونحوهما.

وعنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: ((**استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**))(٢)"(٣).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإذا كان الأنبياء لهم حق التبجيل والتعظيم والتكريم، فلمن ورثهم نصيب من ذلك، أن يبجل ويعظم ويكرم؛ فلهذا عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لهذه المسألة العظيمة بابًا؛ لأنها مسألة عظيمة ومهمة.

وبتوقير العلماء توقر الشريعة؛ لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تهان الشريعة؛ لأن العلماء إذا ذلوا وسقطوا أمام أعين الناس؛ ذلت الشريعة التي يحملونها، ولم يبق لها قيمة عند الناس، وصار كل إنسان يحتقرهم ويزدريهم فتضيع الشريعة.

كما أن ولاة الأمر من الأمراء والسلاطين يجب احترامهم وتوقيرهم تعظيمهم وطاعتهم، حسب ما جاءت به الشريعة؛ لأنهم إذا احتقروا أمام الناس، وأذلوا، وهون أمرهم؛ ضاع الأمن وصارت البلاد فوضى، ولم يكن للسلطان قوة ولا نفوذ.

فهذان الصنفان من الناس: العلماء والأمراء، إذا احتقروا أمام أعين الناس فسدت الشريعة، وفسدت الأمن، وضاعت الأمور، وصار كل إنسان يرى أنه هو العالم، وكل إنسان يرى أنه هو الأمير، فضاعت الشريعة وضاعت البلاد؛ ولهذا أمر الله

(١) صحيح مسلم [٦٧٣].

(٢) صحيح مسلم [٤٣٢].

(٣) رياض الصالحين، للإمام النووي (ص:١٣٩-١٤٠) بقليل من التصرف.

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بطاعة ولاة الأمور من العلماء والأمراء فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

ونضرب لكم مثلًا: إذا لم يعظم العلماء والأمراء؛ فإن الناس إذا سمعوا من العالم شيئًا قالوا: هذا هين، قال فلان خلاف ذلك. أو قالوا: هذا هين هو يعرف ونحن نعرف، كما سمعنا عن بعض السفهاء الجهال، أنهم إذا جودلوا في مسألة من مسائل العلم، وقيل لهم: هذا قول الإمام أحمد بن حنبل، أو هذا قول الشافعي، أو قول مالك، أو قول أبي حنيفة، أو قول سفيان، أو ما أشبه ذلك قال: نعم، هم رجال ونحن رجال. لكن فرق بين رجولة هؤلاء ورجولة هؤلاء، من أنت حتى تصادم بقولك، وسوء فهمك، وقصور علمك، وتقصيرك في الاجتهاد، وحتى تجعل نفسك ندًّا لهؤلاء الأئمة رحمهم الله؟ فإذا استهان الناس بالعلماء كل واحد يقول: أنا العالم، أنا النحرير، أنا الفهامة، أنا العلامة، أنا البحر الذي لا ساحل له وصار كل يتكلم بما شاء، ويفتي بما شاء؛ لتمزقت الشريعة بسبب هذا الذي يحصل من بعض السفهاء.

وقال: فإذا لم يوقر العلماء ولم يوقر الأمراء؛ ضاع الدين والدنيا. نسأل الله العافية"[(١)].

ومنذ أكرم الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأمة ببعثة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأفواج الدعاة المصلحين يتعاقبون فيها، علماء ربانيون، ودعاة مصلحون، داعين إلى الحق، ومرشدين للخلق، حاكمين بالقسط، آمرين بالمعروف، وناهين عن المنكر. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: "أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه"[(٢)]. وقال أبو السعود رَحِمَهُٱللَّهُ: "الراسخون في العلم المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي"[(٣)].

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين (٣/٢٢٩- ٢٣٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٩).
(٣) تفسير أبي السعود (٧/٤١).

إن العلماء الربانيين هم مصابيح الهدى، فكم كشف الله بهم من غمة! وكم أزاح بهم من ملمة! ولا عجب فهم خلفاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمته، والمُحْيُون لما مات من سنته. والناس إن خلو من العلماء الربانيين تخطَّفتهم شياطين الإنس والجن، وتقاذفتهم الضلالات والفتن.

قال الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: "العلماء، وما أدراك ما العلماء؟ أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، أهل الرحمة والرضا، بهم يُحتذى ويُهتدى ويُقتدى. كم طالب علم علموه! وتائه عن صراط الرشد أرشدوه! وحائر عن سبيل الله بصروه ودلوه! بقاؤهم في العباد نعمة ورحمة، وقبضهم وموتهم عذاب ونقمة قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**))(١).

فما أقرب الطريق على العلماء إلى جنة الله عَزَّ وَجَلَّ ورحمته، حملوا الكتاب والسنة، وأحيوا منارات الدين والملة، فالله أعلم كم بذلوا، وكم ضحوا من أجل هذا العلم المبارك، والخير الكبير!

وإذا أحب الله عبدًا من عباده حبب إلى قلبه العلماء، ومن أحب قومًا حشر معهم. جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ -أي: ليس عنده كثير صلاة، ولا صلاح، ولا صيام، يحب الصالحين وليس عنده كثيرٌ من الصلاح، ويحب العلماء وليس عنده العلم، يحب القوم ولما يلحق بهم- فقال: ((**المرء مع من أحب**))(٢).

فمن أحب العلماء حشر مع الأتقياء السعداء: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

---

(١) صحيح البخاري [١٠٠]، مسلم [٢٦٧٣].

(٢) صحيح البخاري [٦١٦٩، ٦١٧٠]، مسلم [٢٦٤٠].

وإذا أحب الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عبدًا حبب إلى قلبه أولياءه: العلماء فأحبهم في الله عَزَّوَجَلَّ، ودعا لهم، واعتقد فضلهم، وكان خير معين لهم.

حب العلماء طاعة وقربة وإيمان بالله وحُسبة. نحبهم؛ لكتاب الله الذي حفظوه؛ ولسنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ التي وعوها وعلموها ودعوا إليها.

نحبهم؛ للدين. نحبهم؛ لسمت الأخيار وشعار الصالحين. نحبهم؛ لعظيم بلائهم على الأمة وما قدموا من خير لها، فاللهم عظم أجورهم، وثقل في الآخرة موازينهم.

حب العلماء رحمة من الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ. من أحب العلماء حرص على مجالسهم، وحرص على مواعظهم، وحرص على دعوتهم والعمل بما يقولون. قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وهو يبين فضل العلماء حينما ذكر رجلاً كثير الذنوب مرَّ على قوم صالحين، وقد اجتمعوا في حلقة علم، فجلس معهم يذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وعنده ذنوب وعيوب، فصعدت الملائكة إلى ربها فأخبرته بما كان من شأن هؤلاء القوم، قال: فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ((**هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**))[(١)].

من أحب العلماء حرص على مجالسهم وحرص على مواعظهم، وكان محافظًا عليها عاملًا بما فيها من الخير؛ ولذلك حبب الله إلى الصالحين، حبب إليهم مجالس الذاكرين، فكانوا لا يفترون عن شهودها.

من أحب العلماء حرص على الأدب معهم، فأنصت إليهم إذا تكلموا، وأصغى إليهم إذا حدثوا، وأطاعهم إذا أمروا أو نهوا.

ما أحوجنا إلى الأدب مع العلماء وهم يتكلمون ويحدثون ويفتون، نصغي إلى هذه المشاعل وهذه الكلمات النيرة، والمواعظ البليغة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. نحبهم ومن حبهم نهابهم.

المحب للعلماء يظهر حبه إذا تكلم العالم كيف ينصت، وكيف يخشع، وكيف يتأثر ويدمع، وكيف يجعل هذه الكلمات والمواعظ التي يقولها العلماء يجعلها في قلبه كالغيث للأرض الطيبة.

---

(١) صحيح البخاري [٦٤٠٨]، مسلم [٢٦٨٩].

ما أحوجنا إلى التأدب مع العلماء في كل كلمة يقولونها، وفي كل حكمة يعلمونها ما دامت من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ما أحوجنا إلى تقديرهم في المجالس ورفع مكانتهم وإجلالهم وتقديرهم.

ما أحوجنا أن ننشر ما يقولونه من الخير ونبثه بين الناس؛ ليكون لنا كمثل أجورهم.

ما أحوجنا إلى التأدب مع العلماء في غيبتهم نذكرهم بأرفع الألفاظ وأجلها ما لم تبلغ حدود الحرمة والغلو، نذكرهم مجلين مقدرين موقرين، فتلك سنة سيد الأنبياء والمرسلين عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فتقديرهم في الخطاب يُعتبر من سنة الأخيار والصالحين، وإهانتهم في الخطاب من شأن اللئام؛ ولذلك قال العلماء: من نادى العالم باسمه فقد أساء الأدب؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾"[(١)].

ولكن ينبغي التمييز بين العلماء الربانيين العاملين، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]، فلا يداهنون ولا ينافقون، يصلحون ولا يفسدون، يجمعون ولا يفرقون، وبين من سواهم؛ فإن الأمة تحتاج في الفتن عندما يلتبس الحق بالباطل أن ترجع لأهل العلم الراسخين، وتحذر من خطيب مصقع[(٢)]، وواعظ جاهل يشوّه الحقائق، ويغطي العقل بلهب العواطف. روي عن الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ أنه قال: "الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل"[(٣)]. و"كان الحسن رَحِمَهُٱللَّهُ يبصر من الفتنة إذا أقبلت كما نبصر نحن منها إذا أدبرت"[(٤)].

---

(١) موقع المنبر، فضائل العلماء، محمد بن محمد المختار الشنقيطي [١٦٧٠]، بتصرف.

(٢) يقال: خطيب مِصْقَع بكسر الميم، أي: بليغ ماهر بالخطبة. و(مسقع) بالسين مثل مصقع.

(٣) أخرجه ابن سعد في (الطبقات) (١٦٥/٧)، والبخاري في (التاريخ الكبير) (٣٢١/٤)، وأبو نعيم في (الحلية) (٢٤/٩).

(٤) المجالسة (٨٦/٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون؛ فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعبادهم، فإذا كان العلماء فجرة، والعباد جهلة عمت المصيبة بهما، وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة"(١).

فإذا تخلى العالم عن الأمانة، وساء منه القصد والديانة، وكان جامعًا للعلم بلا عمل، مفارقًا للقيم الإنسانية، يكتم الحق، ويغش الخلق(٢)، فمثل هذا قد توعده الله عَزَّوَجَلَّ، بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩]. وحذَّر منه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ((**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**))(٣). ومن هنا حرص أسلافنا أن لا يأخذوا العلم إلا عن الثقات الأمناء. قال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم"(٤).

والحاصل أن كتمان الحق في الدين محظور إذا أمكن إظهاره. قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**))(٥).

والسكوت عن بيان الحق وإظهاره قد يكون سببًا في امتناع وصوله إلى كثيرين.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٦٠).

(٢) إنَّ كتمان العلم، وتقاعس أهله عن بيان الحق، والسكوت والمداهنة والنفاق -مع القدرة على البيان- صادٌّ عن الحق؛ لما في ذلك من التعمية والتلبيس على العامَّة.

(٣) أخرجه أحمد [٢٢٣٩٣]. قال الهيثمي (٥/٢٣٩): "رواه أحمد ورجاله ثقات". وأخرجه أيضًا: الدارمي [٢١٥]، وأبو داود [٤٢٥٢]، والترمذي [٢٢٢٩]، وقال: "حسن صحيح". كما أخرجه ابن أبي عاصم [٤٥٦]، وابن حبان [٧٢٣٨]، والحاكم [٨٣٩٠] وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا: أبو نعيم في (الحلية) (٢/٢٨٩)، والشهاب [١١٦٦]. كما أخرجه البيهقي في (الكبرى) [١٨٦١٧].

(٤) مقدمة صحيح مسلم (١/١٤).

(٥) أخرجه الطيالسي [٢٦٥٧]، وابن أبي شيبة [٢٦٤٥٣]، وأحمد [٧٥٧١]، وأبو داود [٣٦٥٨]، والترمذي [٢٦٤٩]، وقال: "حسن". وأخرجه أيضًا: البزار [٩٢٩٧]، وأبو يعلى [٦٣٨٣]، وابن الأعرابي [٧٣]، وابن حبان [٩٥]، والطبراني في غير موضع، والحاكم [٣٤٤] وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا: تمام [١٥٥٧]، والشهاب [٤٣٢]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [١٦١٢].

قال ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولو أنَّ العلماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تركوا الذبَّ عن الحق؛ خوفًا من كلام الخلق، لكانوا قد أضاعوا كثيرًا، وخافوا حقيرًا"(١).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومنهم من يترك التكلم بالحق والإرشاد إليه؛ مخافة الضرر من تلك الدولة وأهلها، بل وعامتها؛ فإنه لو تكلم بشيء خلاف ما قد علموا عليه ونشروه في الناس لخشى على نفسه وأهله وماله وعرضه، ومنهم من يترك التكلم بالحق؛ محافظة على حظ قد ظفر به من تلك الدولة من مال وجاه"(٢).

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ سبب رواج البدع "أن يعمل بها العوام وتشيع فيهم وتظهر، فلا ينكرها الخواص، ولا يرفعون لها رؤوسهم، وهم قادرون على الإنكار فلم يفعلوا، فالعامي من شأنه إذا رأى أمرًا يجهل حكمه يعمل العامل به فلا ينكر عليه أحد، اعتقد أنه جائز وأنه حسن، أو أنه مشروع بخلاف ما إذا أنكر عليه فإنه يعتقد أنه عيب، أو أنه غير مشروع، أو أنه ليس من فعل المسلمين. هذا أمر يلزم من ليس بعالم بالشريعة؛ لأن مستنده الخواصَّ والعلماء في الجائز أو غير الجائز. فإذا عَدِمَ الإنكار ممن شأنه الإنكار، مع ظهور العمل وانتشاره وعدم خوف المنكر ووجود القدرة عليه، فلم يفعل، دل عند العوام على أنه فعل جائز لا حرج فيه"(٣).

والمداهنة أثرها عظيم في التلبيس على كثير من العامة، وفيها ما فيها من الغش والنفاق. والمداهنة هي أن ترى منكرًا وتقدر على دفعه ولم تدفعه؛ حفظًا لجانب مرتكبه، أو جانب غيره، أو لقلة مبالاة الدين(٤). وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فقد -والله- عم الفساد، وظهرت البدع، وخفيت السنن، وقلَّ القوال بالحق، بل لو نطق العالم بصدق وإخلاص لعارضه عدة من علماء الوقت، ولمقتوه وجهلوه -فلا حول ولا قوة إلا بالله-"(٥).

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (١/٢٤) (١/ ٢٢٣).

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأرب (ص:٦٢).

(٣) الاعتصام (٢/٥٩٧).

(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص:٦٤٥)، دستور العلماء (٣/١٦٤)، قواعد الفقه (ص:٤٧٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (١١/١٠٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا هو ذلك الزمان الذي قد استولى فيه الباطل على الحق، وتغلب فيه العبيد على الأحرار من الخلق، فباعوا الأحكام، ورضي بذلك منهم الحكام، فصار الحكم مكسًا، والحق عكسًا لا يوصل إليه ولا يقدر عليه. بدلوا دين الله، وغيروا حكم الله، سمَّاعون للكذب أكالون للسحت"(١).

فمن شأن دعاة الباطل: التلبيس على الناس، وإظهار الباطل في صورة الحقِّ، ومَزْجُ الحقِّ بالباطل بالكتمان والتعمية، لكن منهج أهل الحقِّ: العمل على بيانه وتمييزه عن الباطل، هذا هو منهجهم في تشخيص المرض، ثم المعالجة بالدواء الشافي؛ حيث يردون المخالف إلى أدلة واضحة، وحجج قاطعة، ومقدمات مسلمة. وأساس ذلك رسوخ العقيدة التي تحمل الباحث على الصدق والموضوعية والإنصاف، وعلى عموم الأخلاق الفاضلة، وعلى الالتزام بآداب الخطاب والمناظرة. وتحارب الغش والخداع والتزوير والتغرير والمكر والتلبيس والخيانة، وهذه الأوصاف القبيحة لا تكون خُلُقًا للمسلم بحالٍ؛ لأنَّ طهارة نفسِه المكتسبة من الإيمان والعمل الصالح تأبى أن تتجانسَ مع هذه الأخلاق الذَّميمة.

قال ابن النحاس الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإذا نظرنا إلى فساد الرعية وجدنا سببه: فساد الملوك، وإذا نظرنا إلى فساد الملوك وجدنا سببه: فساد العلماء والصالحين، وإذا نظرنا إلى فساد العلماء والصالحين وجدنا سببه: ما استولى عليهم من حب المال والجاه"(٢). وفي (تفسير المنار): "وأما أعمال النفاق الدنيوية في أيام الملوك والأمراء الظالمين الفاسقين، فإنها تكون أكثر رواجًا ونتاجًا من أعمال الصادقين المخلصين. ولا دليل على فساد الملوك والأمراء والرؤساء أدل من تقريبهم للمنافقين المتملقين منهم، وإبعادهم للناصحين الصادقين عنهم"(٣).

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص:١٢٢٨).

(٢) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين (ص:٦٨).

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٤٦٤/١٠).

ومحبة العلماء لا تعني: التقديس، والاتباع من غير تبصر؛ فإن الشارع يقرر أن كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد، وأنه لا عصمة لأحد إلَّا لمن عصمه الله عَزَّوَجَلَّ، وهو النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ ولذلك فإنَّ تعامل الباحث مع العلماء وأهل الفضل ينبغي أن يكون بمسلك صحيح، وبمنهج دقيق من النظر والبحث والنقد، فينبغي أن نفرق بين التقدير والتقديس، وأن نتعامل مع أهل العلم والفضل بالتقدير، مع إنزال كل منهم منزلته؛ لأنهم درجات دون تقديس ودون تبخيس، فالتقدير يجعلك تقدر ذلك العالم؛ لعلمه، وذلك الفاضل؛ لفضله، وتنزله منزلته، فلا تقع في التبخيس، وإذا تكلم بخلاف الحق ترد قوله مع معرفتك لقدره.

والفتنة والابتلاء تجعل الكثيرين على المحك، فتسقط الأقنعة، وتبرز ما كان خفيًّا..فكم أسقطت المحن أقوامًا، ورفعت آخرين؟! كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة:٤٩].

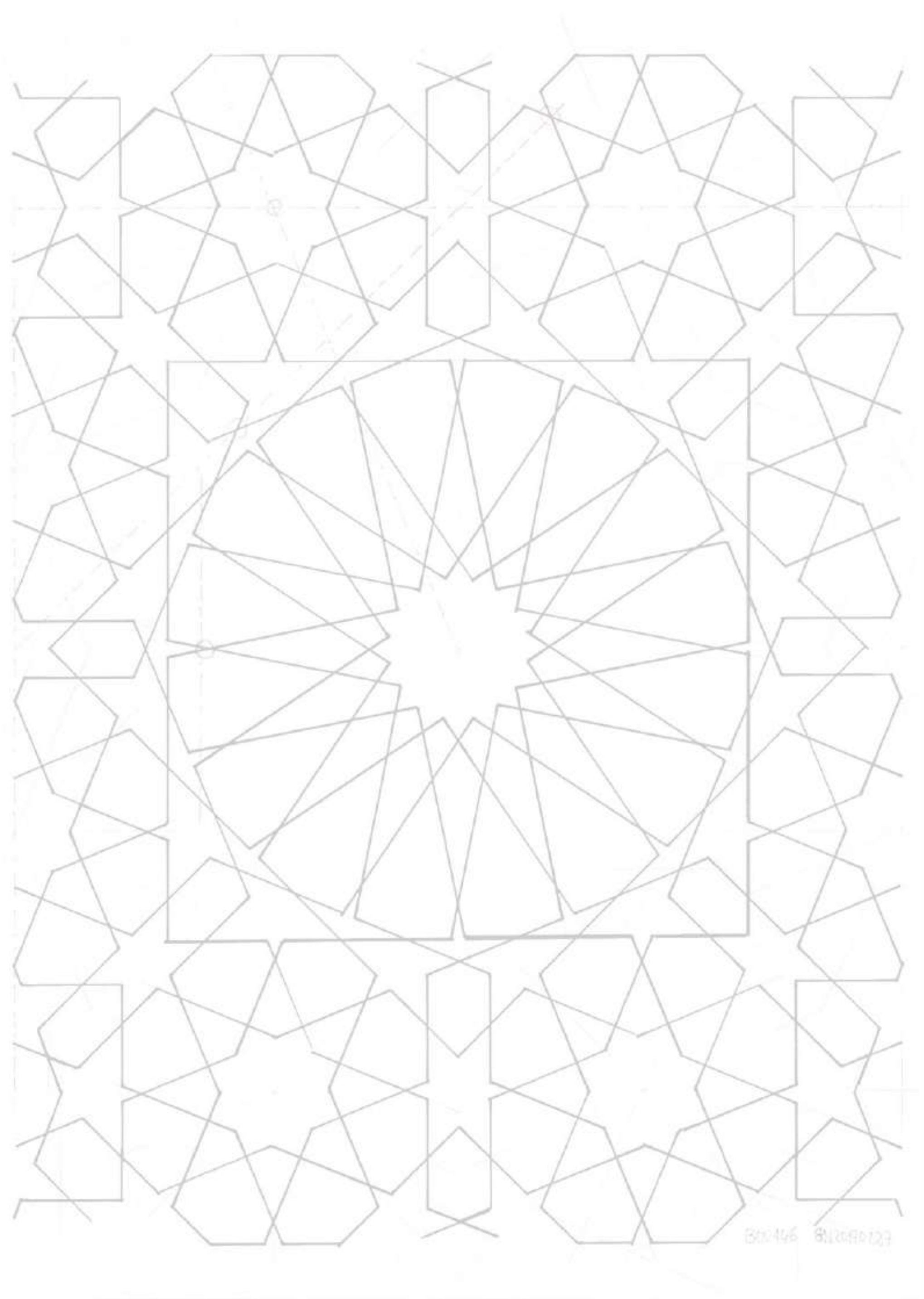

المبحث التاسع

محبة المساكين

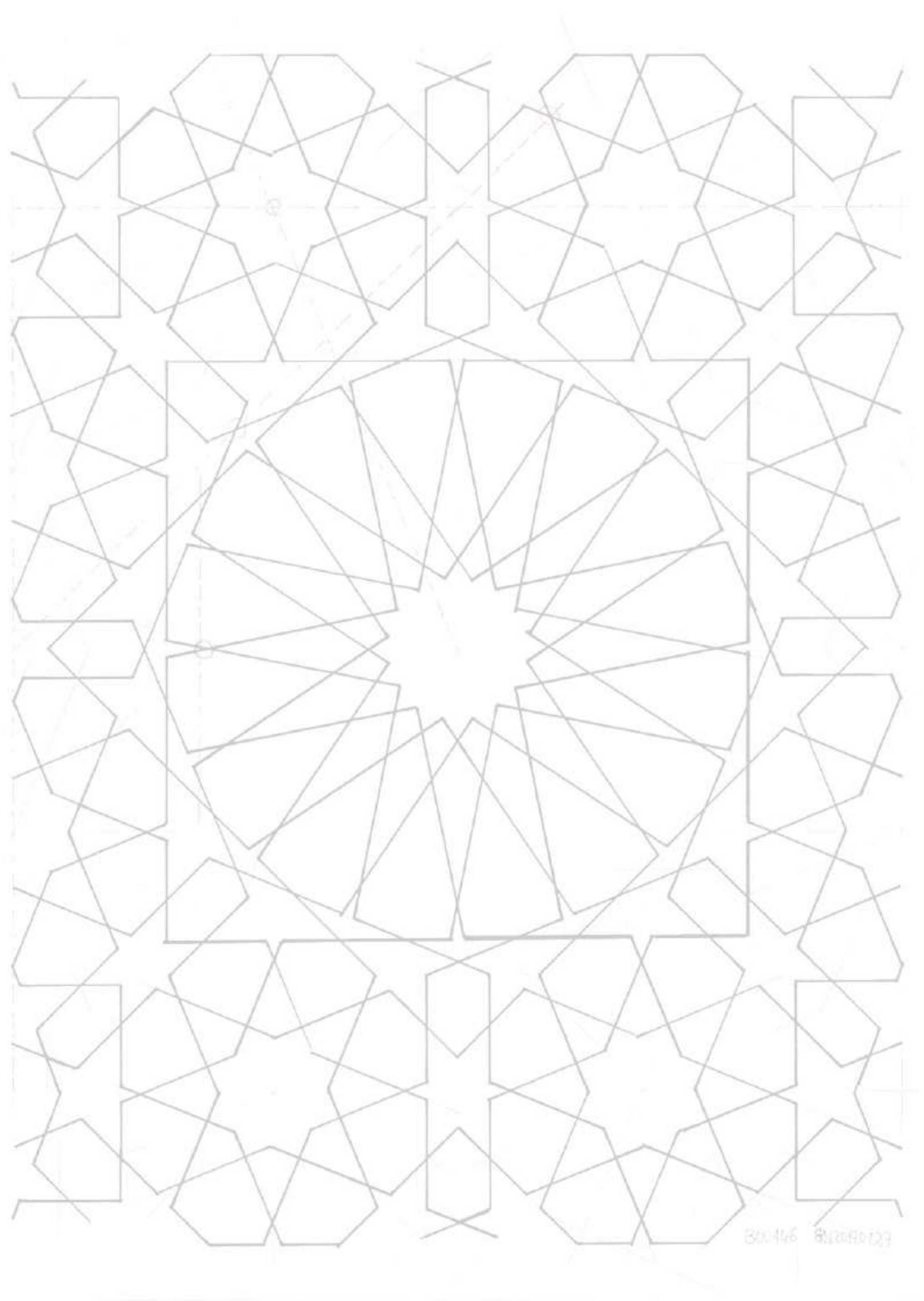

إنَّ محبَّة المساكين مطلوبة؛ فهي تقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتورث بين الخلق: الرحمة والتلاحم والتعاضد والتعاون على البرِّ والتقوى، وقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول في دعائه: ((**اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**))(١). وهي من جملة: ((**فعل الخيرات**))، وقد أفردها بالذكر؛ لشرفها وقوة الاهتمام بها.

وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ((**وحب المساكين**)) يحتمل الإضافتين، والأنسب بما قبله إضافته إلى المفعول(٢).

فهو صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يسأل الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن يحبب إليه المساكين، وأن يحببه إليهم، وحب المساكين: يعني حبي للمساكين، ويحتمل أن يكون المراد حب المساكين لي، فيكون من إضافة المصدر إلى فاعله أو مفعوله، حب المساكين لي، أو حبي للمساكين، فيكون من إضافة المصدر إلى فاعله أو مفعوله، وكلاهما مطلوب(٣).

والمؤمن عندما يرزقه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ حب المساكين، يجعل في قلبه رحمة، ويجعل في خلقه التواضع، فتورثه محبة المساكين سموًا في الأخلاق، ورفعة في الدرجات.

قال ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ: "ضمن هذا الدعاء سؤال حب الله عَزَّوَجَلَّ، وحب أحبابه، وحب الأعمال التي تقرب من حبه، والحب فيه، وذلك مقتض فعل الخيرات كلها. وتضمن ترك المنكرات والسلامة من الفتن، وذلك يتضمن اجتناب الشر كله، فجمع هذا الدعاء طلب خير الدنيا، وتضمن سؤال المغفرة والرحمة، وذلك يجمع خير الآخرة كله، فجمع هذا الدعاء خير الدنيا والآخرة.

---

(١) الحديث رواه غير واحد، وهو مروي عن ابن عباس، ومعاذ بن جبل وغيرهما. حديث ابن عباس: أخرجه أحمد [٣٤٨٤]، وعبد بن حميد [٦٨٢]، والترمذي [٣٢٣٣]، وقال: "حسن غريب". حديث معاذ بن جبل: أخرجه الترمذي [٣٢٣٥]، وقال: "حسن صحيح".

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦٢٦/٢)، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٦٠/٢).

(٣) أفاده الشيخ عبد الكريم الخضير في شرحه لموطأ الإمام مالك، الدرس [٤٢].

والمقصود أن حب المساكين أصل الحب في الله تعالى؛ لأنَّ المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يحبون إلا لله عَزَّوَجَلَّ.."[1].

وقال: "وحب المساكين مستلزم لإخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ، والإخلاص هو أساس الأعمال الذي لا تثبت الأعمال إلا عليه؛ فإن حب المساكين يقتضي إسداء النفع إليهم بما يمكن من منافع الدين والدنيا، فإذا حصل إسداء النفع إليهم حبًّا لهم والإحسان إليهم كان هذا العمل خالصًا، وقد دل القرآن على ذلك، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ⑨﴾ [الإنسان:٨- ٩][2]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٥٢]، وقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨].."[3].

"وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعود المرضى من مساكين أهل المدينة ويشيع جنائزهم، وكان لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين حتى يقضي حاجتهما، وعلى هذا الهدي كان أصحابه من بعده والتابعون لهم بإحسان"[4].

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في دعائه: ((**اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة**))[5].

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، لابن رجب (ص:٩٤).

(٢) وقد دل على ذلك أيضًا قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ..﴾ الآية [البقرة:١٧٧].

(٣) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص:٩٥).

(٤) المصدر السابق (ص:٩٧).

(٥) الحديث مروي عن أنس وعن أبي سعيد وعن عبادة بن الصامت. حديث أنس: أخرجه الترمذي [٢٣٥٢] وقال: "هذا حديث غريب". وأخرجه أيضًا: البيهقي في (شعب الإيمان) [١٣٨٠]، وفي (السنن الكبرى) [١٣١٥٢]. حديث أبي سعيد: أخرجه ابن حميد [١٠٠٢]، وابن ماجه [٤١٢٦]، والطبراني في (الدعاء) [١٤٢٥]، والحاكم [٧٩١١]، وقال "صحيح الإسناد". ووافقه الذهبي. كما أخرجه=

ثم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يسأل مسكنة ترجع للقلة، بل إلى الإخبات والتواضع، فكأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن لا يجعله من الجبارين المتكبرين، وأن لا يحشره في زمرة الأغنياء المترفين. ذكره البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

"وجرى على قضيته حجة الإسلام [الغزالي] رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: استعاذته من الفقر لا تنافي طلب المسكنة؛ لأن الفقر مشترك بين معنيين: الأول: الافتقار إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، والاعتراف بالذلة والمسكنة له. والثاني: فقر الاضطرار، وهو فقد المال المضطر إليه، كجائع فقد الخبز، فهذا هو الذي استعاذ منه. والأول هو الذي سأله"(٢).

قال الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "والمسكين هنا: المتواضع لا السائل؛ لأنه كره السؤال، ونهى عنه وحرمه على من يجد ما يغديه ويعشيه، والآثار في هذا كثيرة، وربما ظهر في بعضها تعارض، وبهذا التأويل تتقارب معانيها، فمن آتاه الله عَزَّ وَجَلَّ سعة وجب شكره عليها، ومن ابتلي بالفقر وجب عليه الصبر، إلا أن الفرائض تتوجه على الغني، وهي ساقطة عن الفقير، وللقيام بها فضل عظيم، وللصبر على الفقر ثواب جسيم"(٣).

=البيهقي في (الكبرى) [١٣١٥٣]. حديث عبادة بن الصامت: أخرجه الطبراني في (الدعاء) [١٤٢٧]، والبيهقي في (السنن الكبرى) [١٣١٥١]، وابن عساكر (١٩٤/٣٨)، والضياء من طريق الطبراني [٣٣٢].

(١) السنن الكبرى، للبيهقي [١٣١٥٣].

(٢) فيض القدير (١٠٢/٢)، مرعاة المفاتيح (٢٢٧/٨)، إحياء علوم الدين (١٩٣/٤)، وانظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٥٣٠/٢- ٥٣١). وكذلك قال القاضي تاج الدين السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ: "سمعت الإمام الوالد يقول: لم يكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيرًا من المال قط، ولا كانت حاله حال فقير، كان أغنى الناس بالله قد كفى الله دنياه في نفسه وعياله، وكان يقول في قوله: ((اللهم أحيني مسكينًا)) إن المراد به: استكانة القلب، لا المسكنة التي هي نوع من الفقر، وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك" انظر: قوت المغتذي على جامع الترمذي، للسيوطي (٥٧٣/٢)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٥٣٠/٢).

(٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٤٣/٢).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في أمثال هذا الحديث: "بيان ما كان عليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من الزهادة في الدنيا والإعراض عن متاعها وملاذها، فيجب على الأمة أن يقتدوا، وأن يقتفوا على أثره في جميع سيره"(١).

(١) مرقاة المفاتيح (٢٧٦٥/٧)، تحفة الأحوذي (٣٣٤/٥)، شرح النووي على صحيح مسلم (٥٦/١٤).

المبحث العاشر

محبة العمل الصالح

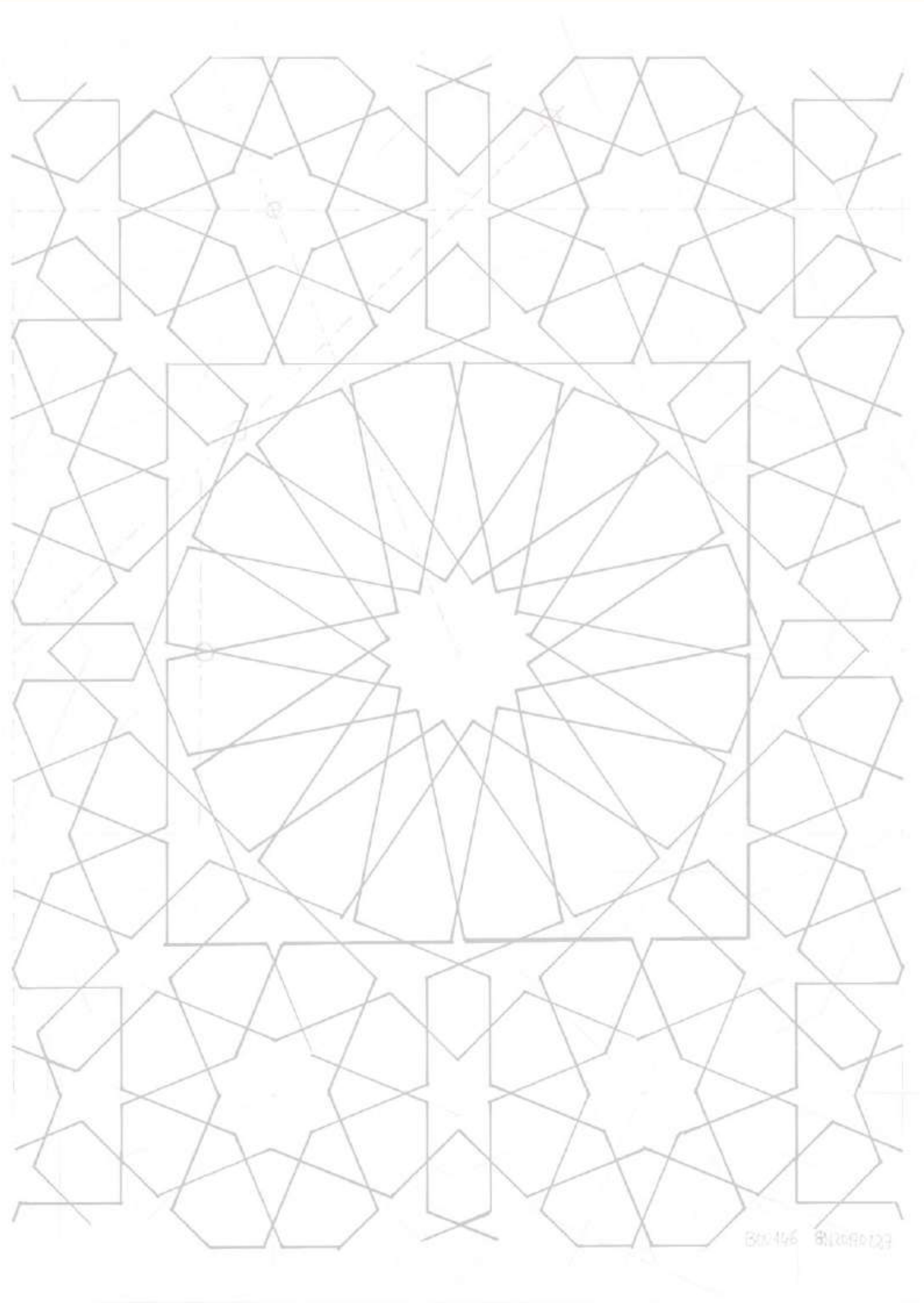

إنَّ محبَّة الأعمال الصالحة مطلوبة؛ فهي دليل صدق الدعوى، وهي السبيل الموصل لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ. وفي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**))(١).

وجاء في الحديث: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سل: فقال: ((**اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك**))(٢). قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**وحب عمل يقربني إلى حبك**)) أي: وأسألك أن توفقني إلى أحب الأعمال الصالحة التي تقربني إلى حبك. قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا يدل على أنه طالب لمحبة العمل حتى يكون(٣) وسيلة إلى محبة الله عَزَّوَجَلَّ إياه، فينبغي أن يحمل الحديث على أقصى ما يكون من المحبة في الطرفين"(٤).

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه أحمد [٢٢١٠٩]، والترمذي [٣٢٣٥] عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: "حسن صحيح"، وقال: "سألت محمد بن إسماعيل، عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن صحيح". كما أخرجه الطبراني في (الكبير) [٢١٦]، والحاكم [١٩١٣]. وفي سؤال هذه المحاب، وهي داخلة في صدر الدعاء: ((فعل الخيرات)) هو من عطف الخاص على العام؛ لجلالة شرف هذه المطالب، وقوة الاهتمام بها.

(٣) أي: العمل؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد. وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧]، فالعمل الصالح هو السبيل لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ، والدعوى لا بدَّ أن يصدقها العمل، ولبعض المتقدمين:

تعصي الإله وأنت تزعم حبَّه ... هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبُّك صادقًا لأطعته ... إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيع

-وقد تقدم بيانه-.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن) (٩٥٩/٣)، وانظر: مرقاة المفاتيح (٦٢٧/٢)، مرعاة المفاتيح (٤٦٣/٢).

وقد تقدَّم بيانُ (الأعمال التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ)، و(الأعمال التي لا يحبها)، و(الأسباب التي تعين على محبة الطاعات)، وهي من الموضوعات ذات الصلة.

والعمل الصالح ثمرته عظيمة، ونفعه جليل، ويكفي المؤمن أن ينال الحياة الطيبة في الدنيا، وحسن الجزاء في الآخرة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

ومن ثمرات محبة العمل الصالح: تيسير القيام به، والاندفاع نحوه برغبة ولذة، وقد تقدم بيان ذلك في (الأسباب التي تعين على محبة الطاعات). ومن علامة محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد: (مداومة العبد على الطاعات) -وقد تقدم بيان ذلك-.

والمداومة على العمل الصالح دليل الرغبة فيه ومحبته، وعدم كراهيته، وهذا مما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ، بخلاف تركه والتجافي عنه؛ فهي مُشعِرة بالتكاسُل عنه واستثقاله، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن المنافقين بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤].

المبحث الحادي عشر

محبة الوالدين

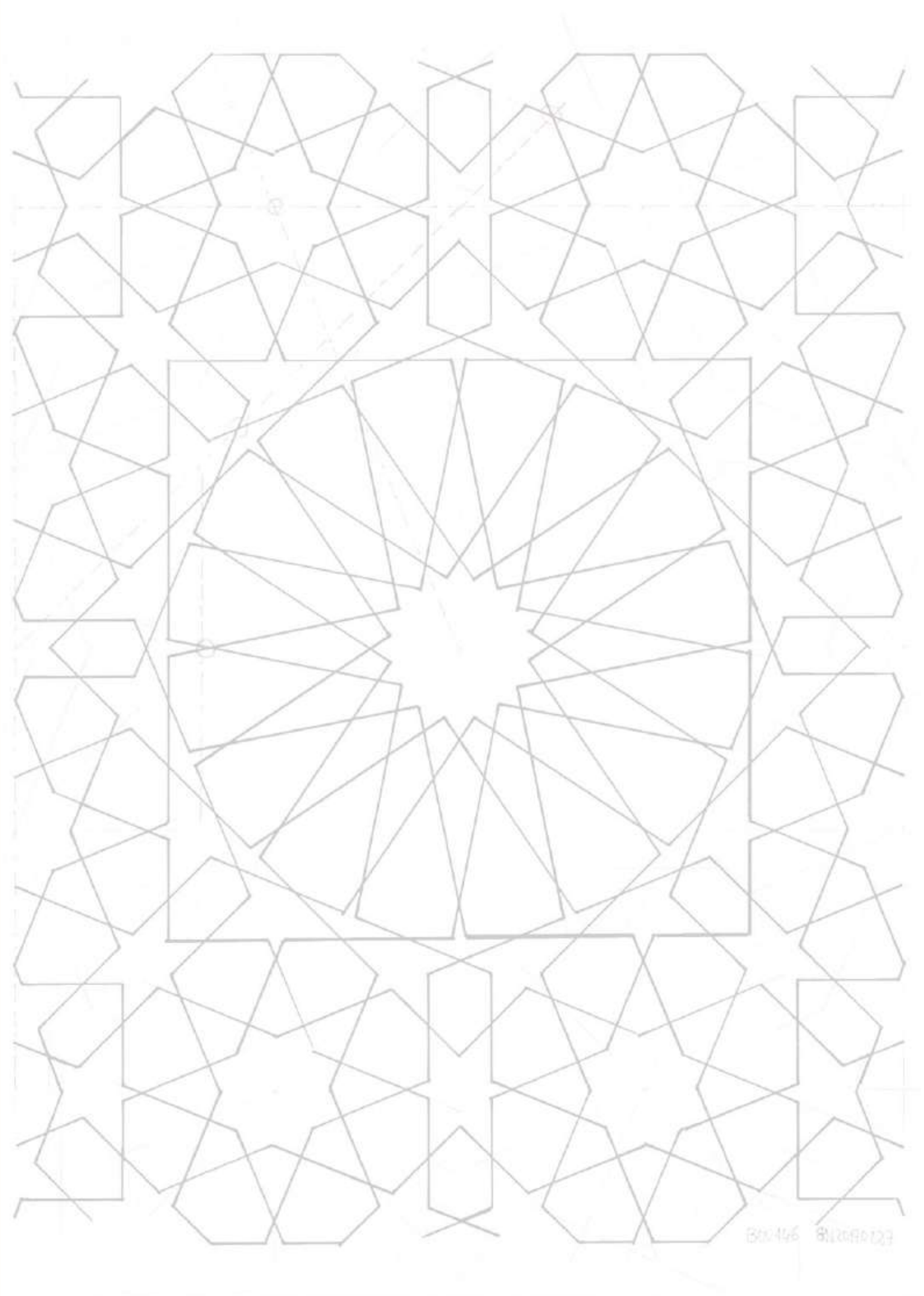

إنَّ محبة الوالدين فريضةٌ مقدسة، وواجبٌ إنساني، وأدبٌ اجتماعي، تقتضيه الفطرة، وهي أسمى معاني البرِّ والوفاء.

وإنَّ الوالدين أحق الناس بحسن الصحبة، وجميل البر والإحسان؛ لعظيم فضلهما، وشدة عنايتهما، وحرصهما على راحتك وسعادتك في جميع أطوار حياتك.

وقد اهتمَّ الإسلامُ بالوالدين اهتمامًا بالغًا، وجعل طاعتهما والبر بهما من أفضل القربات. ونهى عن عقوقهما، وشدَّد في ذلك غاية التشديد.

وقد جعلَ الشارع برَّ الوالدين من أعظم الأعمال وأحبها إليه، فقد سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: ((**الصلاة على وقتها**))، قيل: ثم أي؟ قال: ((**ثم بر الوالدين**))، قيل: ثم أي؟ قال: ((**الجهاد في سبيل الله**))[1].

وقدم في الحديث: برَّ الوالدين على الجهاد؛ إشارةً إلى أن حقوق العباد اللَّازمة (التي هي من فروض الأعيان) تقدم على التطوع بالجهاد[2]. يعني: من باب تقديم فرض العين على فرض الكفاية. ويدل عليه حديث: عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستأذنه في الجهاد، فقال: ((**أحيٌّ والداك؟**))، قال: نعم، قال: ((**ففيهما فجاهد**))[3].

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ في (شرح السنة): "هذا في جهاد التطوع لا يخرج إلَّا بإذن الأبوين إذا كانا مسلمين. فإن كان الجهاد فرضًا متعينًا، فلا حاجة إلى إذنهما، وإن منعاه عصاهما وخرج.

وإن كان الأبوان كافرين، فيخرج دون إذنهما، فرضًا كان الجهاد أو تطوعًا، وكذلك لا يخرج إلى شيء من التطوعات كالحج والعمرة والزيارة، ولا يصوم التطوع إذا كره الوالدان المسلمان أو أحدهما إلا بإذنهما، وما كان فرضًا فلا يحتاج فيه إلى إذنهما،

(١) تقدم.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب (٢١٦/٤).

(٣) صحيح البخاري [٣٠٠٤، ٥٩٧٢]، مسلم [٢٥٤٩].

وكذلك لا يخرج إلى جهاد التطوع إلا بإذن الغرماء إذا كان لهم عليه دين عاجل، كما لا يخرج إلى الحج إلا بإذنهم، فإن تعين عليه فرض الجهاد لم يُعَرِّجْ على الإذن"[1].

وبرُّ الوالدين واجب على كل مسلم ومسلمة. ويطلق البر على الإحسان بالقول اللين اللطيف الدال على الرفق والمحبة، وتجنب غليظ القول الموجب للنفرة، واقتران ذلك بالشفقة والعطف والتودد والإحسان بالمال وغيره من الأفعال الصالحات[2].

ويكون بر الوالدين بالإحسان إليهما بالقول اللين الدال على الرفق بهما والمحبة لهما -كما تقدم-، وبمناداتهما بأحب الألفاظ إليهما، كيا أمي ويا أبي، وليقل لهما ما ينفعهما في أمر دينهما ودنياهما، ويعلمهما ما يحتاجان إليه من أمور دينهما، وليعاشرهما بالمعروف. أي: بكل ما عرف من الشرع جوازه، فيطيعهما في فعل جميع ما يأمرانه به، من واجب أو مندوب، وفي ترك ما لا ضرر عليه في تركه، ولا يحاذيهما في المشي، فضلًا عن التقدم عليهما، إلَّا لضرورة نحو ظلام، وإذا دخل عليهما لا يجلس إلَّا بإذنهما، وإذا قعد لا يقوم إلَّا بإذنهما، ولا يستقبح منهما نحو البول عند كبرهما أو مرضهما؛ لما في ذلك من أذيتهما[3].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: "وبر الوالدين فرض لازم، وهو أمر يسير على من يسره الله له. وبرهما: خفض الجناح، ولين الكلام، وألا ينظر إليهما إلا بعين المحبة والإجلال، ولا يعلو عليهما في مقال، إلا أن يريد إسماعهما، ويبسط أيديهما في نعمته، ولا يستأثر عليهما في مطعمه ولا مشربه.

(١) انظر: شرح السنة، للبغوي (١٠/٣٧٨). "ولو منعه أبواه الكافران عن الخروج للجهاد الكفائي، مخافة عليه، ومشقة لهما بخروجه وتركهما، فعند الحنفية: لهما ذلك، ولا يخرج إلا بإذنهما برًا بهما وطاعة لهما، إلا إذا كان منعهما له لكراهة قتال أهل دينهما، فإنه لا يطيعهما ويخرج له" الموسوعة الفقهية الكويتية (٨/٦٦)، حاشية ابن عابدين (٣/٢٢٠).

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٨/٦٣)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي (٢/١٠٦)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢/٢٩٠).

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٨/٦٣)، الفواكه الدواني (٢/٢٩٠).

ولا يتقدم أحد أباه إذا مشى معه، ولا يتقدمه في القول في مجلسه، فيما يعلم أنه أولى به منه.

ويتوقى سخطهما بجهده، ويسعى في مسرتهما بمبلغ طاقته.

وإدخال الفرح عليهما من أفضل أعمال البر. وعليه أن يسرع إجابتهما إذا دعواه، أو أحدهما، فإن كان في الصلاة النافلة خففها وتجاوز فيها، وأسرع إجابتهما. ولا يقل لهما إلَّا قولًا كريمًا"(١).

والبرُّ بالوالدين فرضُ عينٍ -كما سبق بيانه-، ولا يختصُّ بكونهما مسلمين، بل حتى لو كانا فاسقين أو كافرين يجبُ برُّهما والإحسان إليهما -ولو كانا مُشْرِكَيْن- ما لم يأمرا بشرك أو ارتكاب معصية فقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

وفي (الصحيح): عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش، إذ عاهدوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ومدتهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة(٢) أفأصلها؟ قال: ((**نعم صليها**))(٣).

هذا وفي الدعاء بالرحمة الدنيوية للوالدين غير المسلمين حال حياتهما خلاف. ذكره القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما الاستغفار لهما فممنوع؛ استنادًا إلى قوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣]؛ فإنها نزلت في استغفاره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي طالب، واستغفار بعض

---

(١) الكافي في فقه أهل المدينة (٢/١١٣٧- ١١٣٨).

(٢) ((وهي راغبة)) جملة حالية: أي: راغبة عن الإسلام وكارهة له. وقيل معناه: طامعة فيما أعطيها من الإحسان وحريصة عليه.

(٣) صحيح البخاري [٣١٨٣، ٥٩٧٩].

الصحابة لأبويه المشركين. وانعقد الإجماع على عدم الاستغفار لهما بعد وفاتهما وحرمته، وعلى عدم التصدق على روحهما. أما الاستغفار للأبوين الكافرين حال الحياة فمختلف فيه؛ إذ قد يسلمان(١).

وأما الإحسان إلى الوالدين المسلمين بعد وفاتهما فيكون بصدق الدعاء لهما، وأداء الصدقة عنهما(٢)، وحفظ وصيتهما، وإنفاذ عهودهما، والإحسان إلى من كان من أهل ودهما ومعارفهما، ونحو ذلك.

"ويقال: إنَّ الحقَّ أمر العباد بمراعاة حقِّ الوالدين، وهما من جنس العبد.. فمن عجز عن القيام بحقِّ جنسه أنَّى له أن يقوم بحقِّ ربه؟"(٣).

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٦٦/٨)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٤٥/١٠)، الفواكه الدواني (٣٨٤/٢)، الشرح الصغير وحاشية الصاوي عليه (٧٤١/٤)، شرح إحياء علوم الدين (٣١٦/٦).

(٢) وفي الحديث: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رجلًا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أمي افْتُلِتَتْ نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: ((نعم)). صحيح البخاري [١٣٨٨]، مسلم [١٠٠٤]، وعن ابن عباس: أن رجلًا قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أمه توفيت أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: ((نعم))، قال: فإن لي مخرافًا وأشهدك أني قد تصدقت به عنها. صحيح البخاري [٢٧٧٠]. قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (افتلتت نفسها): "ضبطناه: نفسها ونفسها بنصب السين ورفعها فالرفع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله، والنصب على أنه مفعول ثان. قال القاضي: أكثر روايتنا فيه النصب. وقوله: (افتلتت) بالفاء هذا هو الصواب الذي رواه أهل الحديث وغيرهم. قالوا: ومعناه: ماتت فجأة. وكل شيء فعل بلا تمكث فقد افتلت ويقال افتلت الكلام واقترحه واقتضبه إذا ارتجله. (وأظنها لو تكلمت) أي: لو قدرت على الكلام". انظر: شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (٨٩/٧)، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٢٧٨/٣)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١٦٠/٢). و"(المخراف): بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة، وفي آخره فاء، وهو اسم للحائط؛ فلذلك انتصب على أنه عطف بيان، ووقع في رواية عبد الرزاق: (مخرف) بدون ألف. قال القزاز: (المخراف): جماعة النخل، بفتح الميم وبكسرها: الزنبيل الذي يخترف فيه الثمار. وقال ابن الأثير: (المخرف) بالفتح يقع على النخل، وعلى الرطب. وقال الخطابي: (المخراف): الثمرة سميت مخرافًا؛ لما يجتني من ثمارها، كما يقال: امرأة مذكار. قال: وقد يستوي هذا في نعت الذكور والإناث، ويقال: (المخراف): الشجرة وهو الصواب، وتكلموا فيه كثيرًا. والحاصل أن (المخراف) هنا: اسم حائط سعد ابن عبادة كما ذكرنا". عمدة القاري، للإمام العيني (٥٢/١٤).

(٣) انظر: لطائف الإشارات (٣٤٤/٢).

ومن برهما: صلة أهل ودهما، ففي (الصحيح): ((**إن أبَرَّ الْبِرِّ صلةُ الولد أهل ود أبيه**))[(١)].

فإن غاب أو مات يحفظ أهل وده ويحسن إليهم، فإنه من تمام الإحسان إليه.

وقد سلك القرآن الكريم مسلكًا عاطفيًّا للإقناع بضرورة الإحسان إلى الوالدين، فصوَّرَ ما تعانيه الأم في حملها وفي ولادتها وفي إرضاعها، وصوَّرَ للمؤمن مرَّة أخرى منظرها وقد شاب رأسها وانحنى ظهرها، وخص هذه الحالة -أعني: حالة الكبر والشيخوخة- بالذكر؛ لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره أكثر من ذي قبل؛ لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر. فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل؛ لأنه قد يظنُّ أنَّهما صارا كلًّا عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه؛ فلذلك خص هذه الحالة بالذكر. وأيضًا: فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال عادة، ويحصل الملل، ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أبويه.

وأكَّد القرآن الكريم على ضرورة الإحسان إلى الوالدين تأكيدًا لا تجد نظيرًا له في الديانات الأخرى، فقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بعبادته وتوحيده وجعل برَّ الوالدين مقرونًا بذلك، كما قرن شكره بشكرهما. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]. ومع ما ذكرتُ من ذلك المسلك العاطفي من حيث ضرورة الإحسان والطاعة، إلَّا أنه بين حدود تلك الطاعة، فليست تلك الطاعة مطلقة، فطاعة الوالدين لا تراعى في ركوب كبيرة، ولا في ترك فريضة، وتلزم طاعتهما في المباحات، وتستحسن في ترك الطاعات المندوبة[(٢)]. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥].

---

(١) صحيح مسلم [٢٥٥٢].

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز)، (٣٤٩/٤)، تفسير القرطبي (٦٤/١٤)، تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان) (٣٢١/٤).

وقد اعتبر القرآن عقوق الوالدين، والخروج عن طاعتهما ومرضاتهما: معصية وتكبرًا وشقاء، حيث قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن يحيى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:١٤]، وقال عن عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢]. فعقوق الوالدين من أعظم الذنوب التي يعجل الله عَزَّوَجَلَّ عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، فهو نكران للجميل، وكفران بالنعمة، ومقابلةٌ للإحسان بالإساءة، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق**))[(١)].

والحاصل أن محبة الوالدين وما تقتضيه من الوفاء لهما -ولا سيما في حال الشيخوخة والكبر- من أعظم أنواع البر، وهي من أوجب الحقوق، وأقدس الواجبات.. ومما يؤسف ما يحصل من عقوق الأولاد، أو من تفضيلٍ للزوجة على الأم في العطاء والبرِّ والمحبة، فمن ذلك: تقديم كلام زوجته على كلام أمه، وكذلك من يشتري لزوجته -مثلًا- ما لا يشتري لأمه، وإن اشترى لأمه اختار الأردأ وما قيمته أقل مما اشتراه لأمه، وذلك من الجحود ونكران الإحسان.

وهاك إجمال مقتضيات محبة الوالدين في حياتهما:

١ – طاعتهما في غير معصية.

٢ – الإحسان إليهما في جميع الأحوال.

٣ – التواضع لهما، ولين الكلام، والتزام الأدب معهما.

٤ – النفقة عليهما.

٥ – استئذانهما في الجهاد الكفائي، وفي السفر وغيره.

٦ – إرضاؤهما بالإحسان إلى من يحبان.

٧ – إبرار قسمهما.

٨ – عدم شتمهما أو التسبب في ذلك.

(١) أخرجه الحاكم [٧٣٥٠]، وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضًا: البخاري في (الأدب المفرد) [٨٩٥] بلفظ: ((وبابان يعجلان في الدنيا البغي وقطيعة الرحم)).

أما إجمال مقتضيات محبة الوالدين بعد موتهما فهي على النحو التالي:

١ – الصلاة عليهما.

٢ – الاستغفار لهما.

٣ – إنفاذ عهدهما.

٤ – صلة أرحامهما وأهل ودهما.

٥– الصدقة عنهما.

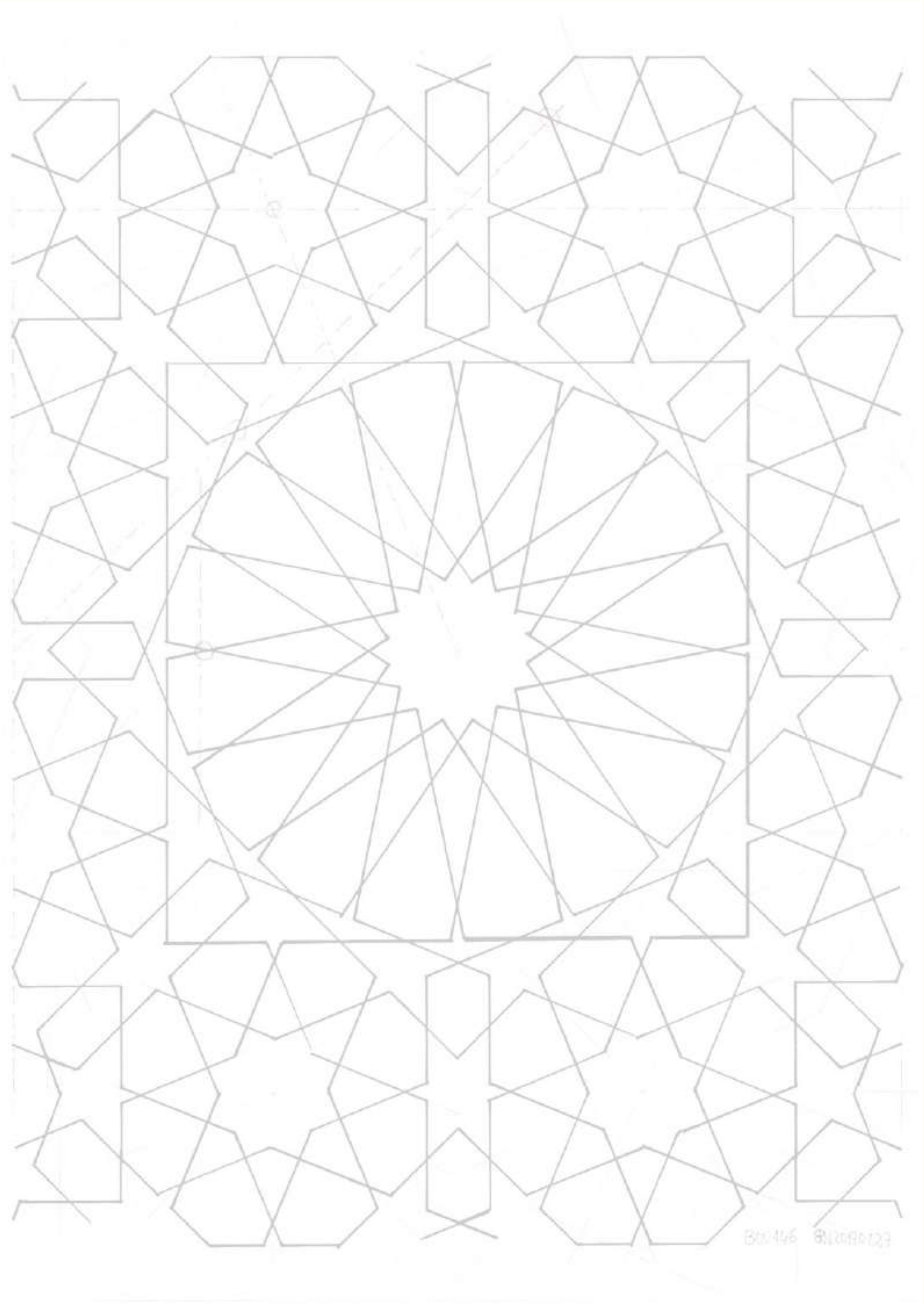

المبحث الثاني عشر

محبة الأرحام

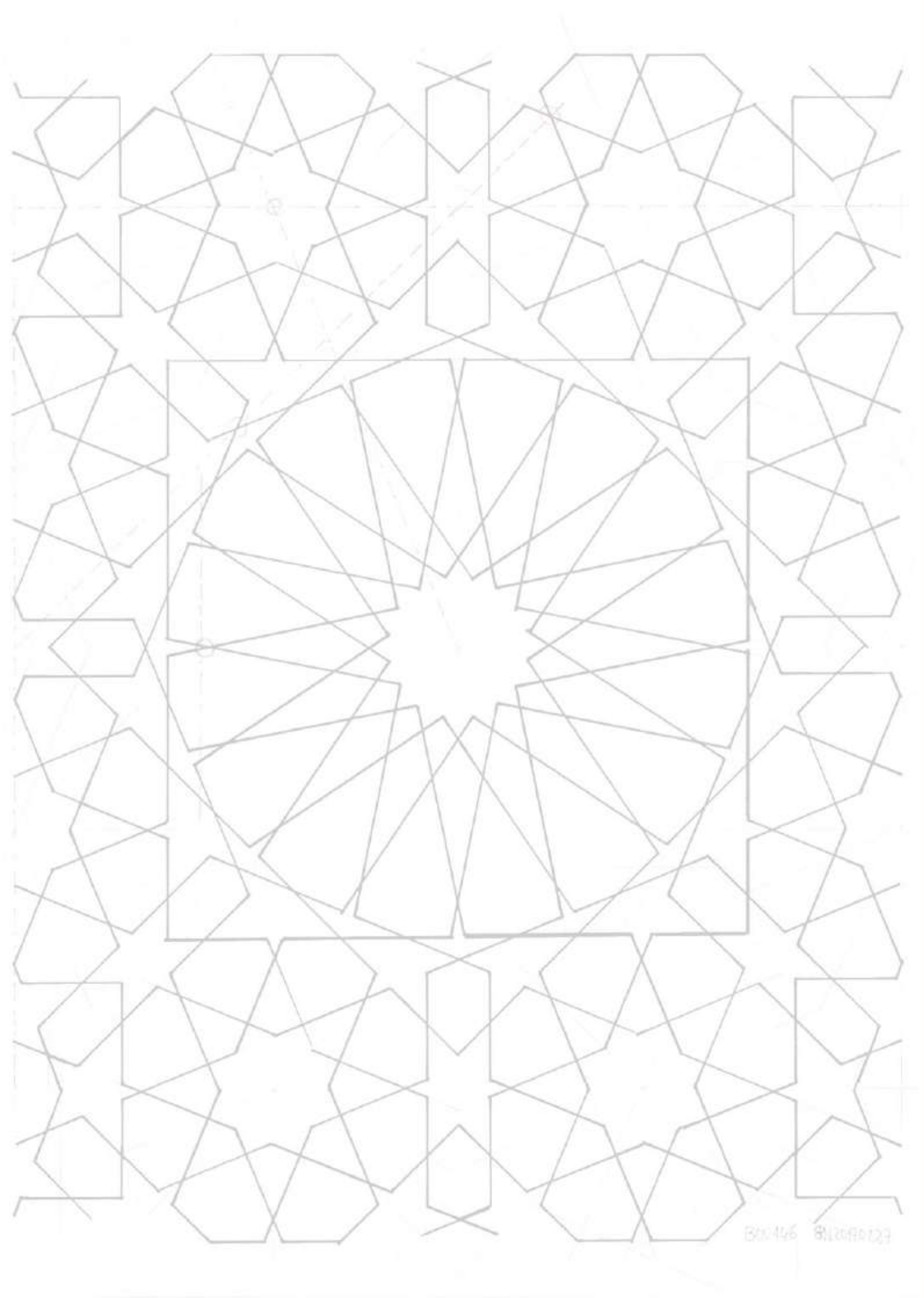

يهدف الإسلام إلى بناء مجتمعٍ إسلاميٍّ متراحم متعاطف، تسودُه المحبَّةُ والإخاء، ويهيمن عليه حبُّ الخير والعطاء، وقد أوجبَ الشارعُ: برَّ الأرحام، وهو بمعنى: صلتهم والإحسان إليهم، وتفقد أحوالهم، والقيام على حاجاتهم ومواساتهم. والمحبة أعظم أنواع البر، وهي تقتضي ما تقدم من أوجه الإحسان، وما سيأتي بيانه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ..﴾ الآية [البقرة:١٧٧]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء:١]، أي: واتقوا إضاعة حق الأرحام، فصلوها بالبر والإحسان، ولا تقطعوها. ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل:٩٠]، ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الإسراء:٢٦].

وفي الحديث: ((**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**))(١).

(١) الحديث مروي عن أبي هريرة، وعن العلاء بن خارجة. حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد [٨٨٦٨]، والترمذي [١٩٧٩]، وقال: "غريب". وأخرجه أيضًا: الحاكم [٧٢٨٤]، وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي. حديث العلاء بن خارجة: أخرجه الطبراني [١٧٦]. قال الهيثمي (١٥٢/٨): "رجاله قد وثقوا". و((مَثْرَاة في المال)): بفتح الميم وسكون المثلثة. وفي (النهاية): مَثْرَاة: -مَفْعَلَةٌ- من الثَّراء، وهو الكثرة، أي: سبب لكثرة المال، وهو خبر ثان. ((مَنْسَأَةٌ)) -بفتح الهمزة- مَفْعَلَةٌ من النَّسَاء، وهو التأخير. ((في الأثر)): -بفتحتين- أي: الأجل، والمعنى: أي: سبب لتأخير الأجل وموجب لزيادة العمر، وقيل: باعث دوام واستمرار في النسل، والمعنى: أن يمن الصلة يفضي إلى ذلك. وسمى الأجل أثرًا؛ لأنه يتبع العمر. قال أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (العارضة): أما (المحبة) فالإحسان إليهم، وأما (النسأ في الأثر) فبتمادي الثناء عليه وطيب الذكر. انظر: عارضة الأحوذي، لابن العربي (١١١/٨)، وانظر: مرقاة المفاتيح (٣٠٩٢/٧)، فيض القدير (٢٥٢/٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (ثرا) (٢١٠/١).

((**إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك**))، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**فاقرؤوا إن شئتم**: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢]))[(١)]. ((**من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**))[(٢)].

فهذه ثلاث فوائد لصلة الرحم:

١- المحبة بين الأهل.

٢- الزيادة في المال.

٣- التأخير في الأجل.

وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: أخبرني عن عمل يدخلني الجنة؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**))[(٣)]. فصلة الرحم هنا جاءت مع الصلاة والزكاة؛ لبيان أهميتها.

وقطيعة الأرحام من موانع محبة الله عَزَّ وَجَلَّ للعبد، ومن أسباب العقاب في الآخرة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد:٢٢-٢٣].

---

(١) صحيح البخاري [٥٩٨٧]، مسلم [٢٥٥٤].

(٢) صحيح البخاري [٢٠٦٧، ٥٩٨٥، ٥٩٨٦]، مسلم [٢٥٥٧]. و(بسط الرزق): توسيعه وكثرته، وقيل: البركة فيه. (ينسأ): يؤخر. (أثره): بقية عمره.

(٣) صحيح البخاري [٥٩٨٣]، مسلم [١٣].

وفي الحديث: عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن رجل من خثعم قال: أتيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في نفر من أصحابه قال: قلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: ((**نعم**))، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: ((**إيمان بالله**))، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: ((**ثم صلة الرحم**))، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: ((**الإشراك بالله**))، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: ((**ثم قطيعة الرحم**))..الحديث(١). فقد جاءت قطيعة الرحم هنا مع الأعمال التي يبغضها الله عَزَّوَجَلَّ، وبعد الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لبيان خطرها، وعظيم أثرها.

وفي الحديث: ((**لا يدخل الجنة قاطع**))(٢).

فهذه النصوص تدل على أن صلةَ الأرحام وبرَّها واجب، وقطيعتها محرمة في الجملة، إلا أنها درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها: ترك الهجر، والصلة بالكلام والسلام.

"واختلفوا في الرحم، فقيل: كلُّ ذي رحم محرم. وقيل: كلُّ وارث. وقيل: هو القريب، سواء كان محرمًا أو غيره، ووصل الرحم: تشريك ذوي القربى في الخيرات، وهو قد يكون بالمال، وبالخدمة، وبالزيارة ونحوها"(٣).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة. والأحاديث في الباب تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها: ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام -ولو بالسلام-.

ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها: واجب، ومنها: مستحب. ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى: قاطعًا. ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى: واصلًا. قال: واختلفوا في حد الرحم التي تجب صلتها [كما تقدم]،

---

(١) تقدم.

(٢) صحيح البخاري [٥٩٨٤]، مسلم [٢٥٥٦]. أي: قاطع رحم. والمراد به هنا: من استحلَّ القطيعة، أو أيَّ قاطع. والمراد: لا يدخلها قبل أن يحاسب ويعاقب على قطيعته.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١١/ ١٨١).

فقيل: هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما، فعلى هذا لا يدخل: أولاد الأعمام، ولا أولاد الأخوال. واحتج هذا القائل: بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، أو خالتها في النكاح ونحوه، وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال. وقيل: هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث، يستوي المحرم وغيره، ويدل عليه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ثم أدناك أدناك**))(١). هذا كلام القاضي رَحِمَهُ اللهُ"(٢).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: "وهذا القول الثاني هو الصواب، ومما يدل عليه: الحديث في أهل مصر: ((**فإن لهم ذمة ورحمًا**))(٣)، وحديث: ((**أَبَرُّ البِرِّ أن يَصِلَ الرَّجلُ أهل وُدِّ أبيه**))(٤) مع أنه لا محرمية، والله أعلم"(٥).

والحاصل أن صلة الرحم تقوي المودَّة، وتزيد المحبَّة، وتوثق عُرى القرابة، وتزيل العداوة والشّحناء. والصلة مصلحة للأحوال، فمن لم يك نافعًا لأهله وأقاربه فلن ينتفع به غيرهم من باب أولى.

وطرقها ميسرة، وأبوابها متعدِّدة، فمن بشاشةٍ عند اللقاء، ولين في المعاملة، إلى طيب في القول، وطلاقة في الوجه، ومشاركة في الأفراح، ومواساة في الأتراح، وإحسان إلى المحتاج، وبذل للمعروف، ونصح وصفح، وعيادة للمريض. والمعنى الجامع لذلك

---

(١) وتمام الحديث في (صحيح مسلم) [٢٥٤٨] عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رجل: يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: ((أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك)).

(٢) إكمال المعلم، للقاضي عياض (١٠/٨)، شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١١٣/١٦).

(٣) وتمام الحديث في (صحيح مسلم) [٢٥٤٣] عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا))، أو قال: ((ذمة وصهرًا، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها)). (القيراط): قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به. (ذمة): الذمة هي: الحرمة والحق، وهي هنا بمعنى: الذمام. (ورحمًا)؛ لكون هاجر أم إسماعيل منهم. (وصهرًا)؛ لكون مارية أم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم.

(٤) صحيح مسلم [٢٥٥٢].

(٥) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١١٣).

كلِّه: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر؛ فإن صلة الرحم أمارةٌ على كرم النفس، وسعة الأفق، وطيب المنبت، وحسن الوفاء. كما أن قطيعة الرحم سببٌ للذلة والصَّغار، والضَّعف والتفرُّق، ومجلبة للهمِّ والغمِّ، كما أنها سبب في سخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومحبَّة الأقارب والعشيرة والمتاع والنِّعم -وإن كان مغروزًا في النفوس- لكن لا ينبغي أن يقدَّم حبُّها على حبِّ الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشرعه والجهاد في سبيله.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

فمن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ في دين الفطرة أنه لم يذم حب الأهل والأقارب والأزواج، ولا حب المال والكسب والاتجار، ولم ينه عن ذلك؛ لأنها من المحبة الطبيعية، وإنما جعل من مقتضى الإيمان: إيثار حب الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حب ما ذكر، وكذلك الجهاد في سبيله إذا وجب.

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّ هناك آدابًا لصلة الرَّحم ينبغي أن يحرص عليها المسلم حتى تتحقق (مقاصدُ الصلة) من الأُلفة، والتعاضد، والمحبة، والتعاون على البر والتقوى، منها:

الإخلاص والنية الصالحة والاحتساب، والبدء بالأقرب، وأن يقدم في صلته: أتقاهم لله عَزَّوَجَلَّ، وأن لا تكون الصلة على وجه المكافأة، وإنما ابتغاء وجه الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يقتصر في صلته على من يبادلونه الصلة، فقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**))(١)، أي: إن

---

(١) صحيح البخاري [٥٩٩١].

الذي يصل غيره مكافأةً له على ما قدم من صلة، ومقابلةً له بمثل ما فعل ليس بواصل حقيقة؛ لأن صلته نوع معاوضة ومبادلة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع فهم ثلاث درجات؛ (مواصل ومكافئ وقاطع)؛ فالواصل: من يتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافئ: الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع: الذي يتفضل عليه ولا يتفضل. وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين، فمن بدأ حينئذ فهو الواصل، فإن جوزي سمي من جازاه: مكافئًا، والله أعلم"(١). وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: ((**لئن كنت كما قلت، فكأنما تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**))(٢). ففي الحديث: الحث على صلة ذي الرحم الذي هذه صفته، ومقابلة الإساءة بالإحسان، فعسى أن ينقلب حاله. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].

ومن أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه: ((**لا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح**))(٣)، فهو (يعفو)، أي: في الباطن (ويصفح)، أي: في الظاهر عن صاحب السيئة.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٢٤).

(٢) صحيح مسلم [٢٥٥٨]. ((وتسفهم)): -بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء-. و((الملّ)): -بفتح الميم وتشديد اللام- هو الرماد الحار، أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، بل ينال أجر الصلة والتحمل للأذى، وبالمقابل ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه.

(٣) صحيح البخاري [٤٨٣٨].

المبحث الثالث عشر

محبة الصديق الصالح

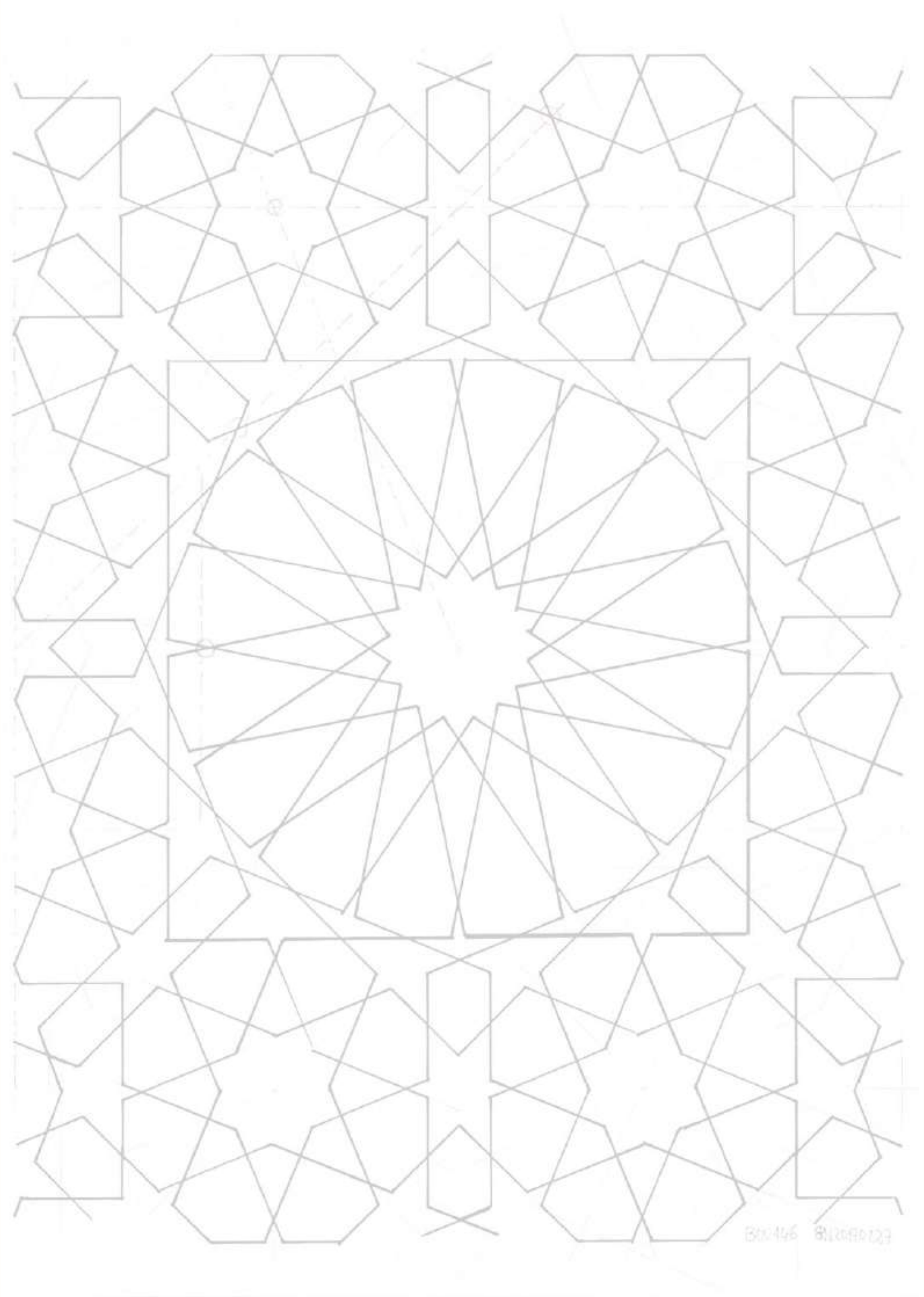

الصداقة نوع من المحبة إلَّا أنها أخص منها، فهي المودة بعينها.

وهي علاقة اجتماعية بين شخصين أو أكثر، تبنى على أساس من المودة والتعاون بينهم، وتبدأ من انفعال عاطفي هادئ، وتنتهي إلى أن تستحوذ على النفس، وتؤثر في السلوك.

والصداقة إذا كانت مرتبطة بالعقيدة فإنها تثمر ثمارًا طيبة، وترقى إلى محبة منبثقة من العقيدة، متأثرة بأخلاقها وأدبياتها..فهي محبة خالصة لله عَزَّوَجَلَّ.

وقد ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن من السبعة الذين يظلهم الله عَزَّوَجَلَّ في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: ((**ورجلان تَحابَّا في الله، اجتمعا عليه، وتَفرَّقَا عليه**))[1]. معناه: اجتمعا على حب الله عَزَّوَجَلَّ، وافترقا على حب الله عَزَّوَجَلَّ، أي: كان سبب اجتماعهما: حبُّ الله عَزَّوَجَلَّ، واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما، وهما صادقان في حبِّ كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما.

وقد يكون للصداقة من الأثر في المنهج والسلوك ما يفوق أيَّ عاطفة أخرى، فإن كان الصديق صالحًا كريم الخلق غدا القرين بعد المخالطة نظيرًا له في الصلاح والكرم، وإن كان سيء الخلق لئيمًا، اقتفى أثره، وسار على نهجه.

قال الشاعر:

عن المرء لا تَسْأَلْ وسَلْ عن قَرِينه ... فكُلُّ قرينٍ بالمقارِنِ يقتدي[2]

وفي الحديث: ((**مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك**[3]**، وإما أن تبتاع منه**[4]**، وإما أن تجد منه ريحًا**

(١) صحيح البخاري [٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦]، مسلم [١٠٣١].

(٢) ديوان طرفة بن العبد (ص:٣٢).

(٣) معنى: ((يحذيك)): يعطيك وزنا ومعنى، وهو بالحاء المهملة والذال.

(٤) مضارع من باب الافتعال للمبالغة: أي: تطلب البيع.

طيبة، ونافخ الكير[١]: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة))[٢].

فالصديق إذا كان صالحًا وصاحب همة نهض بحال صاحبه.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفيه: فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره[٣] وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة"[٤].

وقال العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والقصد به: النهي عن مخالطة من تؤذي مجالسته في دين أو دنيا، والترغيب في مجالسة من تنفع فيهما"[٥].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الطوية إلى النصيحة"[٦].

ولقد حذَّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من صحبة أهل الشر والفساد، وأمر بصحبة أهل الفضل والرشاد والصلاح، فقال عزَّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

---

(١) هو بكسر الكاف وسكون التحتية. قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " كير الحداد، وهو المبني من الطين. وقيل: الزق الذي ينفخ به النار، والمبني: الكور". النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (كير) (٢١٧/٤)، وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (١٠٨/٧)، المخصص، لابن سيده (٤٣٦/٣)، وانظر ذلك مفصلًا في (فتح الباري)، للحافظ ابن حجر (٨٨/٤).

(٢) صحيح البخاري [٢١٠١، ٥٥٣٤]، مسلم [٢٦٢٨].

(٣) يقال: (فجر): إذا كذب، وأصله: الميل. و(الفاجر): المائل.

(٤) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٧٨/١٦).

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (٣٦٤/١).

(٦) مدارج السالكين (٣٢٢/٣).

وفي الحديث: ((**لا تصاحبْ إلَّا مؤمنًا، ولا يأكلْ طعامك إلَّا تقي**))(١).

وأخبر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن ندم أهل النار؛ بسبب صحبتهم لأهل الفساد، فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات:٥٠-٦١]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]. فهذا تنفير من صحبة أهل السوء والباطل.

قال الشيخ محمد خضر حسين رَحِمَهُٱللَّهُ: "سألني بعض من له دراية بعلوم الفلسفة، فقال: إنَّ الحكماء يقولون: إنَّ الصداقة لا تدوم إلَّا بين الفضلاء، فهل يوجد هذا المعنى في القرآن؟ فقلت له: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، فهذا يدل على أن الفضلاء يستمرون على صداقتهم -ولو مع الأهوال العظيمة-"(٢).

وفي المقابل يتحسَّرُ أهلُ النَّار؛ لفقدهم في الدنيا: الصديقَ الصالح والناصح، كما أخبرَ سبحانه عنهم بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا

---

(١) أخرجه ابن المبارك [٣٦٤]، والطيالسي [٢٣٢٧]، وأحمد [١١٣٣٧]، والدارمي [٢١٠١]، وأبو داود [٤٨٣٢]، والترمذي [٢٣٩٥]، وقال: "حسن". كما أخرجه: أبو يعلى [١٣١٥]، وابن حبان [٥٥٤]، والطبراني في (الأوسط) [٣١٣٦]، والحاكم [٧١٦٩]، وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضًا: البيهقي في (شعب الإيمان) [٨٩٣٧].

(٢) موسوعة الأعمال الكاملة، للعلامة محمد الخضر حسين (٥٠٩/١).

صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ [الشعراء:٩٩-١٠١]. وفي ذلك دليل على أن "الصديق هو الذي يهتم بك، وأنَّ الاهتمام حقيقة الصداقة"[١].

وينبغي أن يكون الصديق وفيًّا لصاحبه، معينًا له على البرِّ والتقوى، وأن لا ينساق المسلم وراء صداقة مزيفة، تنحرف به إلى مزالق خطيرة، وتصل به إلى الهاوية، بل يحرص على صحبة من ينهض بحاله إلى الكمال، ويدله على الله عَزَّوَجَلَّ مقاله، ويحذر من صحبة ضعاف الهمم، ومن يرضى عن نفسه؛ فإنَّ الرضا عن النفس إنما هو رضًا بخسارتها وهوانها.

قال بعض أهل العلم: اصحب من ينهضك حاله إلى الكمال، ويدلك على الله عَزَّوَجَلَّ مقاله، واحذر من صحبة من يرضى عن نفسه، ويتبع هواه؛ لأن الصاحب ساحب، والمرء على دين خليله.

قال ابن عطاء الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أصل كل معصية وغفلة وشهوة: الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة: عدم الرضا منك عنها. ولأَن تصحب جاهلًا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه، فأي علم لعالمٍ يرضى عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟"اهـ[٢]؛ لأن الجاهل الذي لا يرضى عن حاله لا يبقى جاهلًا، بل يبحث وينقب ويجتهد إلى أن يتحرر من الجهل. والعالم الذي يرضى عن نفسه لا يكون عالما.

يعني أنَّ النظر إلى النفس بعين الرضا يوجب تغطية عيوبها، فيصير قبيحها حسنًا، والنظر إليها بعين السخط يكون بضد ذلك.

فمن رضي عن نفسه استحسن حالها، فتستولي عليه الغفلة عن الله تعالى، فينصرف قلبه عن مراعاة خواطره، فتثور عليه الشهوة وتغلبه؛ لعدم وجود المراقبة القلبية التي تدفعها، فيقع في المعاصي لا محالة. فعطف الغفلة والشهوة على المعصية من عطف

---

(١) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب (٣٦٠/٢).

(٢) انظر: شرح ابن عباد على الحكم (ص:١٧٣)، وانظر: تفسير الثعالبي (٣٢٩/٥)، البحر المديد (٥١٢/١).

السبب على المسبَّب. وكذا عطف اليقظة والعفة على الطاعة؛ فإن اليقظة التي هي: التنبه لما يرضي الله تعالى، والعفة التي هي: علو الهمة عن الشهوات يتسبب عنهما: الطاعة التي هي: اتباع المأمورات واجتناب المنهيات.

وإنَّ رؤية المجدين تبعث في النفس الهمة؛ لتقليدهم، والتشبه بهم، والسير على نهجهم. وبالمقابل؛ فإن صحبة أهل السوء قد تثير في النفس الشبه والشكوك، وتحرض النفس على متابعتهم واقتفاء أثرهم؛ فإنَّ الصاحب ساحب، والمرء على دين خليله، وكل قرينٍ بالمقَارن يقتدي.

ولكن الإنسان قد يفتقر في بعض الأحيان إلى الصحبة الصالحة، ففي هذه الحالة عليه أن ينهض بهمته من بين الأموات، ولا يغفل عن طلب الهداية..

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإذا عظم المطلوب، وأعوزك الرفيق الناصح العليم، فارحل بهمتك من بين الأموات، وعليك بمعلم إبراهيم -يعني: الله ﷻ-"(١).

كما أن الإنسان قد لا يعلم حقيقة من حوله، أو قل: من اتخذه خليلًا، فيكشف له السَّفَرُ -مثلًا- أو ما يقعُ من البلايا والفتن حقيقةَ حاله.

"وأما الصديق فهو الصادق في ودادك، الذي يهمه ما يهمك، فأعز من بيض الأَنُوقُ(٢). وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال: اسم لا معنى له. ويجوز أن يريد بالصديق الجمع"(٣).

فينبغي أن يثق بالله عَزَّوَجَلَّ في كل حال، وأن يكون أنسه به؛ فمن تعلَّق بالمخلوقين ورجاهم وطمع فيهم أن يجلبوا له منفعة، أو يدفعوا عنه ضرًّا، فإنه يخذل من

---

(١) مفتاح دار السعادة (٣٢/١).

(٢) (الأنوق): كصبُور: العُقاب أو الرَّخَمَة؛ لأنها تبيض في مواضع عالية لا يصل إليها أحد. قيل: ذات اسمين؛ لأنها تسمى: الرخمة، والأنوق. وفي المثل: (هو أعز من بيض الأنوق)؛ لأنها تحرزه فلا يكاد يظفر به؛ لأن أوكارها في رؤوس الجبال، والأماكن الصعبة البعيدة. انظر: الصحاح، للجوهري، مادة: (أنق) (١٤٤٧/٤).

(٣) انظر: تفسير الرازي (٥١٩/٢٤)، تفسير القرطبي (١١٧/١٣)، تفسير النسفي (٥٧١/٢).

جهتهم، ولا يتحقق مقصوده، أما إذا توجه إلى الله عَزَّوَجَلَّ بصدق الافتقار إليه فإن الله عَزَّوَجَلَّ يكون معه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من منحة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية؟ وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان على أبي طالب عند الوفاة أضر من قرناء السوء؟ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد. وهذه الخلطة التي تكون على نوع مودة في الدنيا وقضاء وطر بعضهم من بعض، تنقلب إذا حقت الحقائق عداوة، ويعض المخلط عليها يديه ندمًا"(١).

والحاصل أن صحبة أهل الباطل تورد صاحبها المهالك، وفي المقابل فإن صحبة أرباب العزائم والهمم، ومشاركة المجدين تبعث في النفس الهمة، وتولد الحرارة والشوق؛ لتقليدهم والتشبه بهم، وهي من أسباب النجاة والرفعة، كما أن صحبة أهل الباطل تؤثر في الصد عن الحق.

والصداقة التي تدوم وتثمر ثمارًا طيبة إنما تبنى على المحبة والصدق والإخلاص، وإن لهذه المحبة مقتضيات تقدم بيانها تُحَفِّزُ على المحبة الصادقة.

والأخوَّة الحقيقيَّة هي التي تقوم على الإيمان والمحبة في الله عَزَّوَجَلَّ ولله، وليس من أجل منفعةٍ دنيويَّة، أو مصلحةٍ شخصيَّة، أو عصبيَّة قبليَّة، أو غير ذلك من الماديَّات، فما كان لله عَزَّوَجَلَّ دام واتَّصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل.

وقد قيل: إنَّ الكلمة منفردة وحيدة لا تعدو أن تكون رسمًا، قد تُفهمك معنى، ولكن فيضَ معانيها ، وجمال قدرها لا يدرك إلَّا باتساقها مع غيرها من الكلمات، وكذلك هو حال المؤمن مع إخوانه وأحبابه..-كما تقدم-.

"فإن صفا لك أخ فكن به أشد ضنًا منك بنفائس أموالك، ثم لا يزهدنك فيه أن ترى خلقًا أو خلقين تكرههما؛ فإن نفسك التي هي أخص النفوس بك لا تعطيك

---

(١) مدارج السالكين (١/٤٥٥).

المقادة في كل ما تريد، فكيف بنفس غيرك؟ وبحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره"(١).

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من صدق في إخوة أخيه قبل علله، وسد خلله، وغفر زَلَلَه. وقال: من علامة الصديق: أن يكون لصديق صديقه صديقًا. وقال: ليس سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا غم يعدل فراقهم. وقال: من نَمَّ لك نَمَّ بك، ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك، وإذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك. وقال: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل. وقال: من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه"(٢).

و"قال رجل لداود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أوصني، قال: اصحب أهل التقوى؛ فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة"(٣).

(١) رسائل الجاحظ (٤/٧٨).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (١/٥٥-٥٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/١٣٨)، طبقات الشافعيين (ص:٢٩).

(٣) موسوعة ابن أبي الدنيا (١/٦٢).

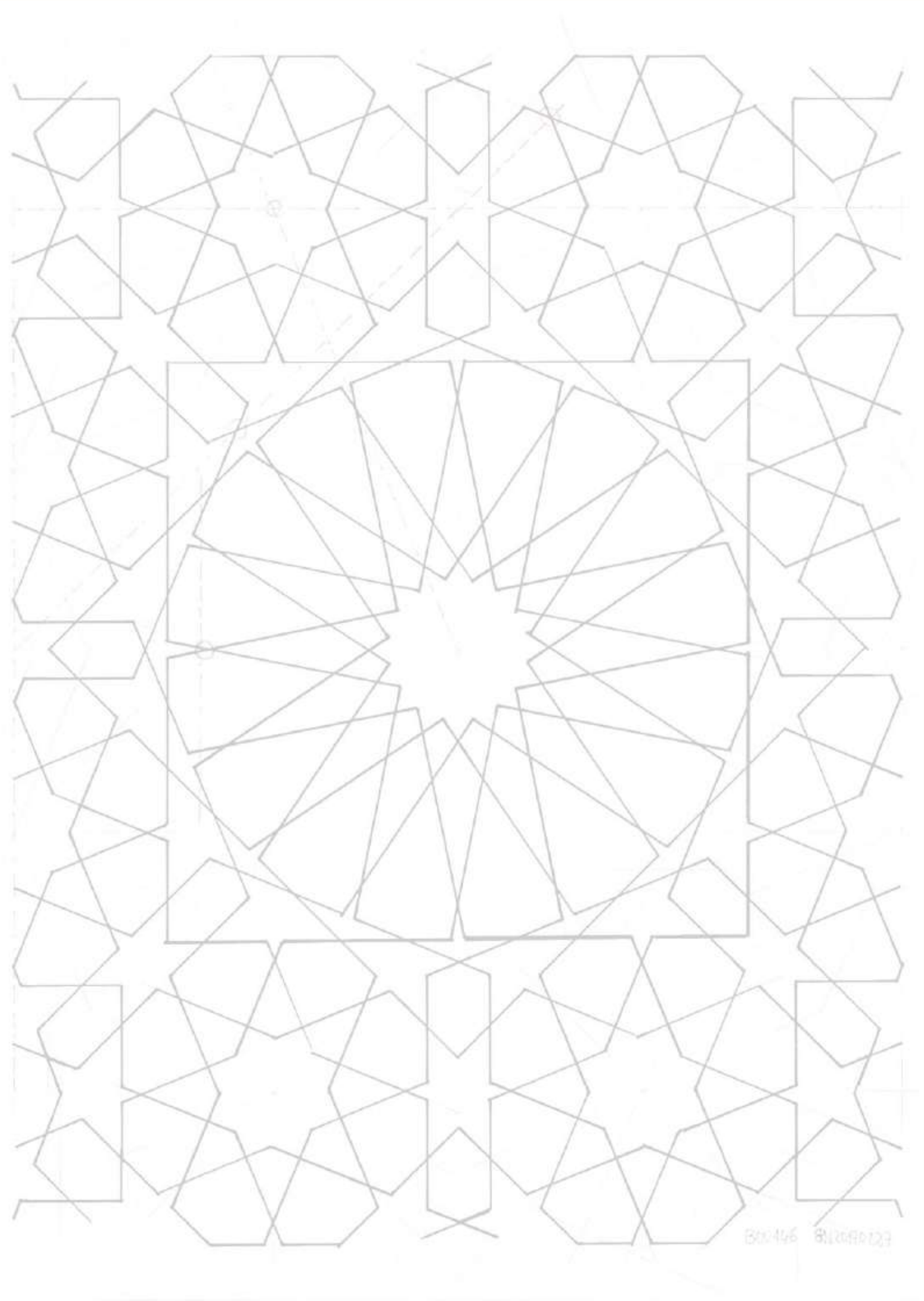

المبحث الرابع عشر

محبة الأولاد

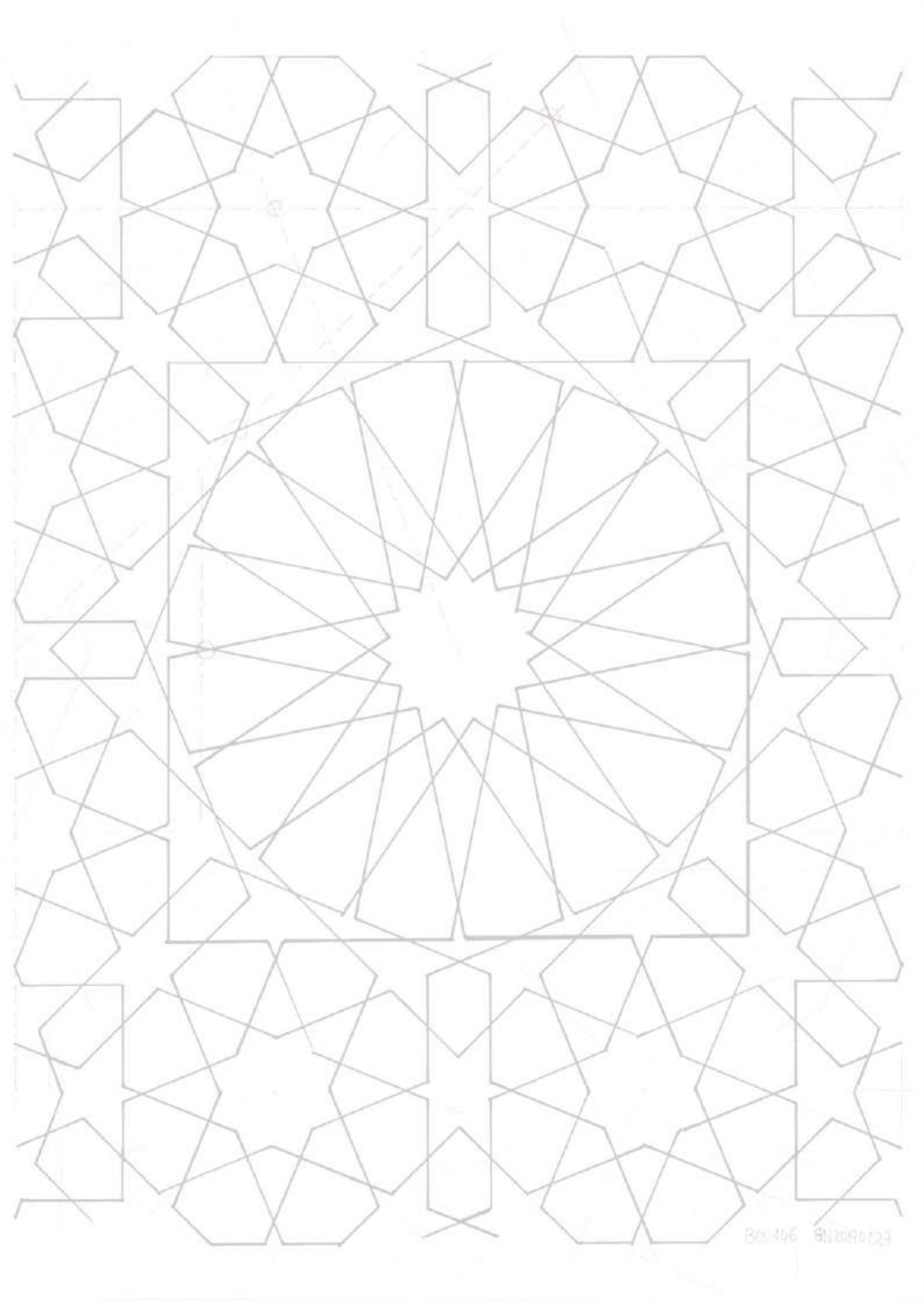

فطَرَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الوالدين على محبة الولد، والإشفاق عليه، والحرص على الثناء عليه، ودفع الذَّم عنه.

وقد مدح المولى عَزَّوَجَلَّ أولياءه في كتابه العزيز بأنهم يدعون الله عَزَّوَجَلَّ، ويتضرَّعون إليه أن يقرَّ أعينهم بالولد الصالح، فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤].

والمحبة الحقيقة للأولاد تقتضي: حملَهم على ما فيه صلاحهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وتنوير بصائرهم، وأمرهم بالمعروف، وأن ينأى بهم عن أماكن الشبهات، محذرًا إياهم من المعاصي، مبينًا عاقبتها، وأن يعتني بالتربية الأولى من أول النشأة، حاثًّا أولاده على الطاعات والأخلاق الحميدة.

وإن التربية الأولى لها أثرٌ في صياغة شخصية الإنسان وأخلاقه في بيته ومجتمعه.

فإما أن يغرس المربِّي الفضائلَ في نفوس أولاده أو الرذائل، والبيئة تؤثر في الفطرة، وفي التفكير، وينعكس أثرها على سلوك الولد، وعلى علاقاته الاجتماعية؛ ولذلك كانت التربية من أعظم أنواع المسؤولية، فإذا كان الأب مسؤولًا عن تغذية طفله ماديًّا، فلا يهمله حتى يتعرض جسمه للهزال، أو المرض، أو الموت، فهو مسؤول كذلك عن تغذيته روحيًّا، فلا يهمله حتى يتعرض لما هو أشد خطرًا من هزاله، أو مرضه، وذلك حين يتعرض لموت القلب أو الروح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل: مجالس اللهو والباطل والغناء، وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء؛ فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر، وعز على وليه استنقاذه منه"(١).

وينبغي أن يتنبه كل مربٍّ إلى أمرين:

الأوَّل: أن لسان العمل بالنسبة للمربين أبلغُ من لسان القول، وأن الأعمال أعلى صوتًا من الأقوال.

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٢٤٠).

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]. ويقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف:٢-٣].

وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟! أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟! قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**))(١).

والسلاح لا ينفع الإنسان إن ملكه ولم يستخدمه، فإذا دهمه خطر، فإن كان جاهلًا ضره جهله، وإن كان عالما لم ينفعه علمه، فلا خير في قول لا يصدقه العمل.

الثاني: أننا معشر المسلمين إذا لم يؤسس نهوضنا على قواعد ديننا فلا خير لنا فيه، ومهما نبتغي العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله عَزَّوَجَلَّ.

والمحبة التي لا ترتبط بالعقيدة محبَّة لا تدوم ولا تثمر. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥].

"والتنبيه إلى أن من الأزواج والأولاد من يكون عدوًا.. إن هذا يشير إلى حقيقة عميقة في الحياة البشرية. ويمس وشائج متشابكة دقيقة في التركيب العاطفي، وفي ملابسات الحياة سواء. فالأزواج والأولاد قد يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ. كما أنهم قد يكونون دافعًا للتقصير في تبعات الإيمان"(٢).

يقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مخبرًا عن الأزواج والأولاد: إن منهم من هو عدو الزوج والوالد، بمعنى: أنه يلتهى به عن العمل الصالح، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

---

(١) صحيح الإمام البخاري [٣٠٩٤، ٦٦٨٥]، مسلم [٧٦٧٤].

(٢) الظلال (٣٥٨٩/٦).

[المنافقون:٩]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾. قال ابن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: على دينكم.

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا﴾ يحمل الرجل على قطيعة الرحم، أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه[(١)].

قال القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا يبين وجه العداوة؛ فإن العدو لم يكن عدوًّا لذاته، وإنما كان عدوًّا لفعله، فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوًّا، ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة"[(٢)].

وفي الحديث: ((**إن الشيطان قعد لابن آدم بِأَطْرُقِه[(٣)]، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتَذَرُ دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟! فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ؟![(٤)] فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جَهْدُ النفس والمال[(٥)]، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ؟! فعصاه فجاهد. فقال رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فمن فعل ذلك كان حَقًّا**

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٩)، وانظر: تفسير الطبري (٢٣/٤٢٥)، تفسير الماوردي (٦/٢٥)، تفسير مجاهد (ص:٦٦٢).

(٢) أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي (٤/٢٦٤)، وانظر: تفسير ابن عادل (١٩/١٣٥- ١٣٦).

(٣) قوله: ((بأطرقه)): قال في (النهاية): "هي جمع طريق على التأنيث؛ لأن الطريق يذكر ويؤنث فجمعُه على التذكير: أَطْرِقَة، كرغيف وأرغفة، وعلى التأنيث: أَطْرُق كيمين وأيمُن. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/١٢٣)، حاشية العلامة السندي على سنن النسائي (٦/٢١).

(٤) ((الطِّوَل)): "-بكسر الطاء وفتح الواو- وهو الحبل الذي يشد أحد طرفيه في وتد والطرف الآخر في يد الفرس، وهذا من كلام الشيطان، ومقصوده: أن المهاجر يصير كالمقيد في بلاد الغربة لا يدور إلا في بيته، ولا يخالطه إلا بعض معارفه، فهو كالفرس في طول لا يدور ولا يرعى إلا بقدره، بخلاف أهل البلاد في بلادهم، فإنهم مبسوطون لا ضيق عليهم، فأحدهم كالفرس المرسل". حاشية العلامة السندي على سنن النسائي (٦/٢٢).

(٥) ((جهد النفس)): -بفتح الجيم- بمعنى: المشقة والتعب. المراد بالمال: الجمال والعبيد ونحوهما، أو المال مطلقًا، وإطلاق الجهد للمشاكلة، أي: تنقيصه وإضاعته، والله تعالى أعلم. حاشية العلامة السندي على سنن النسائي (٦/٢٢).

على الله عَزَّوَجَلَّ أن يدخله الجنة. ومن قتل كان حَقًّا على الله أن يدخله الجنة. وإن غرق كان حَقًّا على الله أن يدخله الجنة، أو وَقَصَتْهُ دابته كان حَقًّا على الله أن يدخله الجنة))(١).

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ يدخل فيه: الذكر والأنثى، فكما أن الرجل يكون له ولده وزوجه عدوًّا كذلك المرأة يكون لها ولدها وزوجها عدوًّا بهذا المعنى بعينه. قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾، أي: فاحذروهم على أنفسكم، والحذر على النفس يكون بوجهين: إما لضرر في البدن، وإما لضرر في الدين. وضرر البدن يتعلق بالدنيا، وضرر الدين يتعلق بالآخرة. فحذر الله عَزَّوَجَلَّ العبد من ذلك"(٢).

وقيل: أَعْلم اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن الأموال والأولاد من جميع ما يقع بهم في الفتنة، وهذا عامٌّ يعمُّ جميع الأولاد؛ فإن الإنسان مفتون بولده؛ لأنه ربما عصى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بسببه، وباشر الفعل الحرام لأجله، كغصب مال الغير وغيره(٣).

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥]، أي: بلاء واختبار، يحملكم على كسب الحرام، ومنع حق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فلا تطيعوهم في معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

وسيأتيك مزيد من البيان مما له صلة بمحبة المال والولد في (محبة الدنيا بين المحظور والمطلوب).

---

(١) أخرجه أحمد [١٥٩٥٨]، والنسائي [٣١٣٤]، وابن حبان [٤٥٩٣]، والطبراني [٦٥٥٨]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٣٩٤١]. قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (تخريج الإحياء) (ص:٩٠٦): "أخرجه النسائي من حديث سبرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح".

(٢) أحكام القرآن، لأبي بكر ابن العربي (٤/ ٢٦٤- ٢٦٥).

(٣) انظر: تفسير الرازي (٥٥٦/٣٠)، تفسير ابن عادل (١٣٦/١٩).

المبحث الخامس عشر

المحبة بين الزوجين

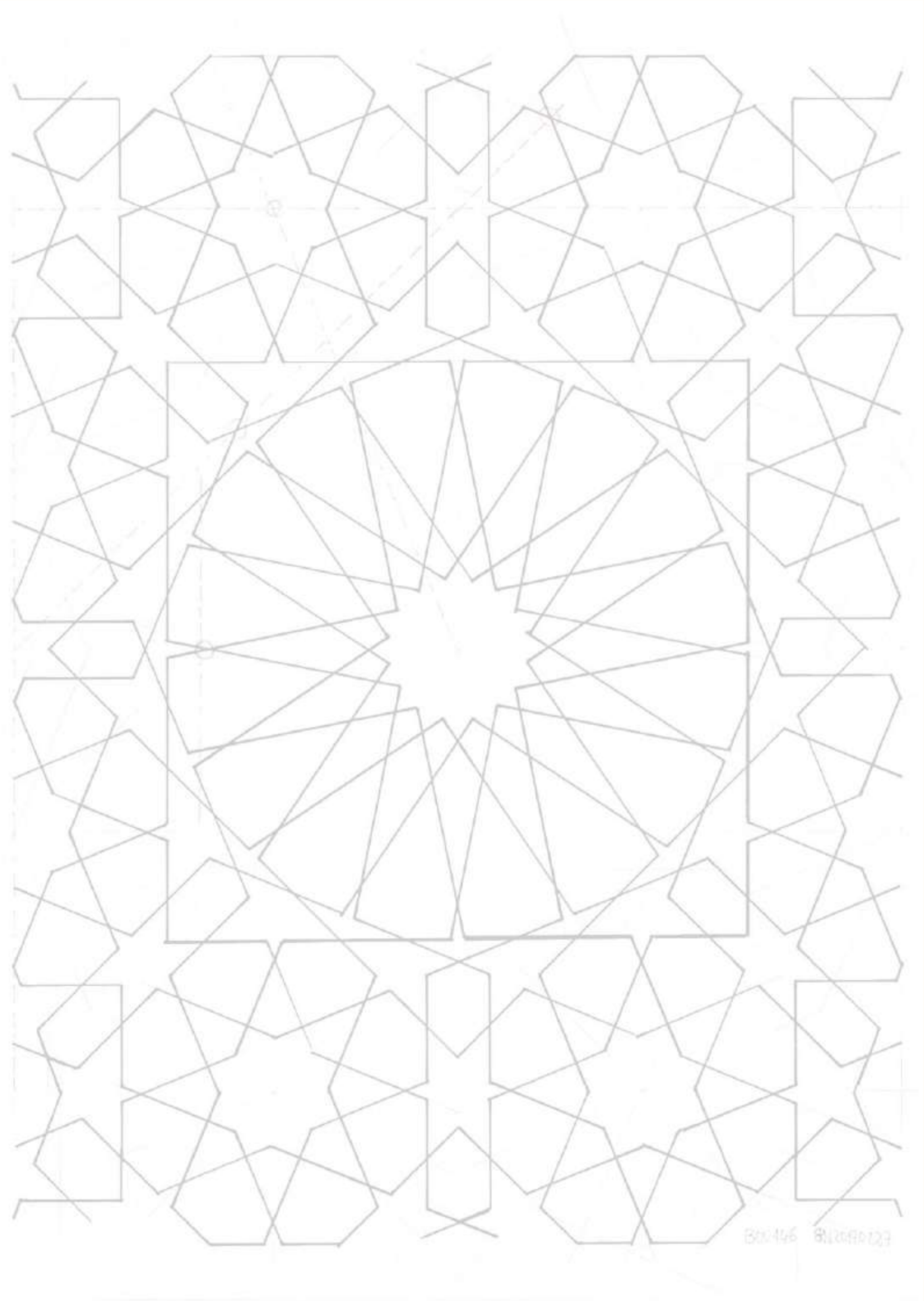

إنَّ المحبة بين الزوجين هي التي تضمن استمرار الحياة على أساس من الأمن والاستقرار والسعادة. وما لم تقم الحياةُ الزوجية على أساسٍ ثابت من المحبة فإنها تفقد كلَّ مقوّمات السعادة.

والمحبة المنبثقة من العقيدة تعمق جذور الصلة بين الزوجين، وتضفي عليها قداسة وأمنًا وسلامة.

والقيمة الكبرى للأسرة هي في المودة والرحمة، والسكن الروحي، والنقاء العاطفي.

إنَّ المحبة بين الزوجين من موجبات الحياة الزوجية السعيدة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١]. والمودة: المحبة والمعاملة الحسنة(١)، والرحمة: صفة تبعث على حسن المعاملة.

والمحبة هي الرباط الوثيق بين الزوجين، وهي أوثق من رابطة العقد القانوني.

فعلى الزوج أن ينظر إلى زوجته على أنها سكنٌ له، تركن إليها نفسه، وتكمل في جوارها طمأنينتُه، وترتبط بالحياة الكريمة معها سعادتُه، وهي تكملةٌ روحيَّة للزَّوج، يكون بدونها عاريًا من الفضائل النفسيَّة، فقيرًا إلى بواعث الاستقرار والطمأنينة. وكذلك ينبغي أن تنظر الزوجة إلى زوجها.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الحب -أعزك الله- أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة. وليس بمنكر في الديانة ولا

---

(١) يقال: وددت الرجل -من باب علمت- إذا أحببت. و(وددت أن ذاك كان لي) إذا تمنيته فأنا أود فيهما جميعًا. والماضي والمستقبل في سياق (ود) سيان يقال: (وددت أن يكون كذا، وددت لو كان كذا)، ويقال أيضًا: (يود لو)، ولا يقال: (يحب لو)؛ لأن مفهوم (ود) ليس مطلق المحبة، بل المحبة التي يقارنها التمني، وتلك المقارنة هي شرط استعمالها على الأصل، فلا تذكر بدون (لو) الدالة على الشرط المذكور إلا إذا توسع وجردت عن الشرط المذكور واستعملت في معنى مطلق المحبة. الكليات، لأبي البقاء الكفوي (ص:٩٤٣).

بمحظور في الشريعة؛ إذ القلوب بيد الله عَزَّوَجَلَّ. وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير.."[1].

ولكن ينبغي أن لا يصل إلى حد العشق المذموم -كما تقدم في (التحذير من آفات العشق)-.

ومن ركائز المحبة بين الزوجين: التودد بطيب الكلام، والبعد عن التقبيح؛ لتدوم المودة والألفة والرأفة والرحمة التي حثَّ عليها القرآن، وحثَّت عليها السنة النبوية.

ومنها: المعاشرة بالمعروف، والإحسان، وحسن الخلق، والملاطفة.

ومنها: الحكمة في التعامل مع التحديات التي قد تعترض مسيرة الحياة الزوجية، وليس من شرط نجاح الحياة الزوجية خلوها من الأزمات، بل في حسن التعامل معها، وسبل الخروج منها بأمان وسلامة.

فإن الحياة الزوجية لا تسلم من اختلاف بين الزوجين، وذلك أمر طبيعي، ولكن ينبغي أن لا يزيد عن الحد الطبيعي.

ويتوقف العلاج في كل حالة اختلاف على مدى قدرة الزوج أو الزوجة على احتواء الموقف، والمهارة في إدارة الأزمات، والقدرة على الحوار المتحضر فيما بينهما، والتسامح والتجاوز.

وإن استقرار الأسرة يحتاج إلى التعاون بين الزوجين.

ومن المعلوم أن المرأة عاطفية سريعة الانفعال، فلا تثر ثائرة الزوج لأقلِّ خصومة، وقليل من ضبط الأعصاب حين تقع الخصومة يدفع عن الأسرة كثيرًا من الشر والأذى.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

(١) طوق الحمامة (ص: ٩٠).

وقد يلجأ أحد الزوجين إلى الاستشارة في بعض الحالات، ولكن ينبغي أن لا تُطلب إلَّا من خبير مؤتمن، يحرص على سلامة العائلة، ويساهم في إيجاد الحلول المناسبة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**))(١).

وكان من أخلاقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة -أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- يتودد إليها بذلك. قالت: سابقني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسبقته، فقال: ((**هذه بتلك**))(٢)"(٣).

وكان يقول لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: ((**يا عائش**))(٤) يرخم اسمها.

---

(١) الحديث مروي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وقد أخرجه الدارمي [٢٣٠٦]، والترمذي [٣٨٩٥] وقال: "حسن صحيح". كما أخرجه ابن حبان [٤١٧٧]، وأبو نعيم في (الحلية) (١٣٨/٧)، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٨٣٤٤]. وقد أخرجه الترمذي كذلك [١١٦٢] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخيركم خيركم لنسائهم))، وقال: وفي الباب عن عائشة، وابن عباس. حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح. قال العراقي (ص:٤٨٣): "أخرجه الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دون قوله: ((وأنا خيركم لنسائي))، وله من حديث عائشة وصححه ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)).

(٢) أخرجه الحميدي [٢٦٣]، وابن الجعد [٣٣٣١]، وابن أبي شيبة [٣٣٥٨٨]، وأحمد [٢٦٢٧٧]، وابن ماجه [١٩٧٩]، وأبو داود [٢٥٧٨]، والنسائي في (الكبرى) [٨٨٩٤]، وابن حبان [٤٦٩١]، والطبراني في (الكبير) [١٢٤]، وأبو نعيم في (الحلية) (١٤٠/٧)، والبيهقي في (الكبرى) [١٩٧٥٨]. قال العراقي (ص:٤٨٢): "رواه أبو داود والنسائي في (الكبرى) وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح".

(٣) تفسير ابن كثير (٢٤٢/٢).

(٤) صحيح البخاري [٣٧٦٨، ٦٢٠١]، مسلم [٢٤٤٧].

ومن ركائز المحبة: ألا ينشغل الزوج عن زوجته، ولا تنشغل الزوجة عن زوجها.

ومنها: بناء الأسرة على أساس من التقوى، والتعاون على البر والتقوى والعمل الصالح؛ فإن سرَّ السَّعادة الزَّوجية: أن يقوم البيتُ على محبة الله عَزَّوَجَلَّ وطاعته. فطاعة الله عَزَّوَجَلَّ لها أثرٌ كبير في الألفة والمحبة بين الزوجين والأمن والاستقرار.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧]، كما أن للمعصية أثرًا في الاختلاف وعدم الاستقرار الأسري. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠].

إنَّ الإيمان يمنح النَّاسَ الأمن والأمان، وفي مناخ الأمن والأمان يسود الرخاء، وتعم السعادة أجواء البيت.

ومنها: حسن اختيار الزوج للزوجة، والزوجة للزوج؛ فإن سوء الاختيار من أول الأمر له من الآثار والنتائج ما يهدد الأمن الأسري.

ويلاحظ أن التشريعات الإسلامية تتناغم مع العقل والعاطفة؛ حيث تبرز مقومات الاختيار، وفي الوقت نفسه لا تلغي دور العاطفة. فمن المقومات: أن تكون من أهل الاحتشام والعفة: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة:٥].

وفي الحديث: ((**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك**))(١).

---

(١) صحيح البخاري [٥٠٩٠]، مسلم [١٤٦٦]. يقال: ترب الرجل: إذا افتقر، فقوله: ((تربت يداك))، أي: لصقت بالتراب، بمعنى: افتقرت، وهي كلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب، بل اللوم ونحوه.

ويقال في الرجل كذلك ما يقال في المرأة من اعتبار كونه من أهل الاحتشام والعفة؛ ففي الحديث: ((**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**))(١).

فنلاحظ اعتبار مقومات الاختيار في التشريع الإسلامي؛ لتبنى الأسرة بناء سليمًا معافى، وإن كانت هذه المقومات تتفاوت، ويبرز الأهم منها في ذات الدين، صاحبة الخلق.

وهو ما يعني أن الإنسان لا ينبغي أن ينساق وراء عاطفته انسياقًا لا يبصره بالعيوب، وفي الوقت نفسه فإن مما يهدد الأمن الأسري أن يلغي دور العاطفة تمامًا، ففي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أنظرت إليها؟**))، قال: لا، قال: ((**فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئًا**))(٢).

ومنها: تطهير البيوت من المنكرات، فبالأخلاق تستقيم الحياة، وتسعد النفس، ويدوم الود.

ومنها: التنبه إلى الأخطار التي تهدد كيان الأسرة من التَّصدي للتيارات الفكرية، والإمدادات السرطانية الدخيلة والزاحفة من أجهزة إعلام ومجلات وأفلام ومواقع وغير

---

(١) الحديث مروي من حديث أبي هريرة وحديث أبي حاتم المزني. حديث أبي هريرة أخرجه ابن ماجه [١٩٦٧]، والترمذي [١٠٨٤]، وقال: وفي الباب عن أبي حاتم المزني، وعائشة. حديث أبي هريرة قد خولف عبد الحميد بن سليمان في هذا الحديث. ورواه الليث بن سعد، عن ابن عجلان، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا. قال محمد: وحديث الليث أشبه ولم يعد حديث عبد الحميد محفوظًا. وأخرجه أيضًا: الطبراني في (الأوسط) [٤٤٦]، والحاكم [٢٦٩٥]. حديث أبي حاتم المزني: أخرجه الترمذي [١٠٨٥]، وقال: "هذا حديث حسن غريب، وأبو حاتم المزني له صحبة، ولا نعرف له عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير هذا الحديث". كما أخرجه الطبراني في (الكبير) [٧٦٢]، والبيهقي في (الكبرى) [١٣٤٨١]. قال العراقي: "أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة،، ونقل عن البخاري أنه لم يعده محفوظًا. وقال أبو داود: إنه خطأ ورواه الترمذي أيضًا من حديث أبي حاتم المزني وحسنه. ورواه أبو داود في المراسيل، وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواته".

(٢) صحيح مسلم [١٤٢٤].

ذلك، وهي تُصَابِح النَّاس وتماسيهم بإمكاناتها الرهيبة تخفض ما يعليه الزوج أو الأب أو الموجه الصالح في التعليم، وتهدم ما يبنيه.

وكذلك التنبه إلى المحيط الاجتماعي الذي لا يخلو من المفسدين، وأصدقاء السوء.

ومن هنا كان لا بدَّ من مواجهة تلك التيارات؛ وذلك من خلال التبصير والتنوير بالمنهج الإصلاحي في التشريعات الإسلامية؛ حرصًا على كيان الأسرة من التفكك والذوبان؛ وعلى الأبناء من الانحراف أو التيه أو ضعف الإيمان. والوقاية من ذلك تكون بالرجوع إلى المناهج الإسلامية في التربية، وغرس الفضائل في نفوس الأبناء من أول النشأة، والبعد عن أماكن الشبهات، والتصدي للمنكرات في البيوت التي تعدُّ معاول هدمٍ في محاضن أجيال الأمة، ومصادر تخريب في أكنان الأسرة المسلمة.

ومنها: عدم إفشاء الأسرار الزوجية؛ فإنَّ للفراش أسرارًا يجب أن تحاط بسياج من الكتمان، وإن إفشاء شيء من ذلك من أسباب الاختلاف، وتعرض الأمن الأسري للتهديد، وفقدان الثقة المتبادلة. فمن ركائز المحبة: أن يكون الزوج لباسًا وسترًا لزوجة، وأن تكون الزوجة كذلك له.

والزواج علاقة لها خصوصيتها وأسرارها، وهي علاقة يؤتمن فيها الزوجان على أسرار بعضهما، فلا ينبغي أن يفشي أحدهما سر صاحبه. قال الله عَزَّوَجَلَّ في وصف المؤمنات الصالحات: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ [النساء:٣٤]. فالآية فيها وصف الصالحات بأنهن حافظات للغيب، أي: يحفظن أنفسهن عن الفاحشة، وأموال أزواجهن عن التبذير والإسراف، ويحفظن ما بينهن وبين أزواجهن من أسرار وخصوصيات.

وفي الحديث: ((**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**))(١).

---

(١) صحيح مسلم [١٤٣٧].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفي هذا الحديث: تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه"(١).

ومنها: القناعة والرضا بالقسم؛ فإن الحياة الطيبة إنما تبنى على القناعة، والذي لا يقنع كالذي يشرب من ماء البحر، كلما شرب كلما ازداد عطشًا.

ومنها: البعد عن الغيرة التي تتجاوز الحد؛ ومن حق الزوجة: أن يغار الزوج عليها، فلا يعرضها للشبهات، ولا يتساهل معها في كل ما يؤذي الشرف، أما إذا جاوزت الغيرة الحد فكانت ظنًّا لا أساس له إلَّا وسوسة الشيطان فهي من الغيرة المذمومة، وعلاجها بالثقة والمحبة المتبادلة بينهما.

ومنها: التضحية والبذل والتسامح والصدق والإخلاص، والبعد عن الأنانية والتسلط والعنف.

ومنها: الحوار في إدارة الأزمات، وتجاوز العقبات، ولأجل فهم الآخر.

ومنها: اعتبار كل واحد من الطرفين من ركائز الأسرة، ومكملًا للآخر، والاعتراف بأهمية كل طرف وبما يقوم به من جهد، والشكر على بذل المجهود في إدارة شؤون البيت والأسرة، وإسعاد الطرف الاخر.

ومنها: معرفة الزوجة حقوق الزوج ومتطلباته، ومسؤوليتها ودورها في البيت، وواجبها تجاه الأولاد، وكذلك على الزوج أن يفقه حقوق الزوجة ويدرك حاجتها.

قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها..**))..الحديث(٢).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٨/١٠).

(٢) صحيح البخاري [٢٤٠٩، ٢٥٥٤، ٢٥٥٨، ٢٧٥١، ٥٢٠٠، ٧١٣٨]، مسلم [١٨٢٩]. قال العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله: ((والرجل راع في أهله)) زوجة وغيرها، ((وهو مسؤول عن رعيته)) هل وفاهم حقوقهم من نحو نفقة وكسوة وحسن عشرة؟ ((والمرأة راعية في بيت زوجها)) بحسن تدبيرها في المعيشة، والنصح له، والشفقة عليه، والأمانة في ماله، وحفظ عياله وأضيافه ونفسها. ((وهي مسؤولة عن=

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته"(١).

ومنها: الاعتناء بالنظافة والتزين والتطيب؛ فإن العناية بالمظهر من عوامل التجدد في الحياة الزوجية، ويثمر اكتفاء واقتناعًا بالطرف الآخر، وزيادة في العفة، ويدخل في ذلك: ممارسة بعض الرياضات التي تقي الجسد من الترهل والسمنة، والبعد عن المشروبات التي تضر بالجسد وتضعفه كالدخان -مثلًا- إلى غير ذلك.

مسألة: (محبة الزوجة الكتابية):

إن محبة الزوجة -مسلمة كانت أم كتابية- أمر مطلوب، فمحبة الزوجة أساس لا بدَّ منه؛ لاستمرار الحياة، ولبناء الأسرة بناء سليمًا، وهي من المحبة الطبيعية الجبليَّة التي لا تتنافى مع التشريعات، بل جاء التشريع بتقرير ذلك وتأكيده.

هذه المحبة إنما تُبنى على الإحسان والإخلاص والصدق في المودة. وهي تعكس واقعية التشريعات الإسلامية التي تتلاءم مع الفطرة، وطبيعة الخلق، فالمسلم لا يحب زوجته الكتابية لأجل معتقدها؛ ولكن لكونها زوجته، ورفيقة حياته، فيعاشرها بالمعروف، ويعاملها بالرفق والمحبة.

مسألة: (محبة إحدى الزوجات أو أحد الأولاد أكثر من غيره):

أمَّا محبة إحدى الزوجات، أو أحد الأولاد أكثر من غيره، فقد ذهب الفقهاء إلى أنَّ الإنسان لا يؤاخذ إذا مال قلبُه إلى إحدى زوجاته، وأحبها أكثر من غيرها،

=رعيتها)) هل قامت بما يجب عليها ونصحت في التدبير أو لا؟ فإذا أدخل الرجل قوته بيته فالمرأة أمينة عليه، وإن اختزنه دونها خرج عن أمانتها الخاصة وصارت هي وغيرها فيه سواء، فإن سرقت من المخزن قطعت وفاقًا للشافعي ومالك، خلافًا لأبي حنيفة في قوله: لا قطع بين الزوجين.." فيض القدير (٥/٣٨).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٢١٣).

وكذا إذا أحبَّ أحد أولاده أكثر من الآخرين؛ لأنَّ المحبة من الأمور القلبيَّة التي ليس للإنسان فيها خيار، ولا قدرة له على التحكم فيها؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم لنسائه فيعدل ويقول: ((**اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**))(١). قال الترمذي -في تفسير قوله: ((**فيما تملك ولا أملك**))- يعني به: الحب والمودة.

وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "والحديث يدل على أن المحبة وميل القلب أمر غير مقدور للعبد، بل هو من الله تعالى لا يملكه العبد"(٢).

وإنما يحرم عليه أن يفضل المحبوب على غيره بالعطايا، أو بغيرها من الأمور التي يملكها الإنسان بغير مسوغ؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء:١٢٩].

ولقول النبي ﷺ: ((**من كان له امرأتان يميل لإحداهما جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل**))(٣).

قال العلماء: المراد الميل في القسم والإنفاق لا في المحبة؛ لما عرفت من أنها مما لا يملكه العبد.

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه [١٣٧٠]، وأحمد [٢٥١١١]، والترمذي [١١٤٠]، وقال: حديث عائشة هكذا رواه غير واحد، عن حماد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عبد الله بن يزيد، عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقسم، ورواه حماد بن زيد، وغير واحد، عن أيوب، عن أبي قلابة مرسلا، أن النبي ﷺ كان يقسم، وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة.

(٢) سبل السلام، محمد بن إسماعيل الصنعاني (٢/٢٣٨).

(٣) أخرجه الطيالسي [٢٥٧٦]، وإسحاق بن راهويه [١٠٠]، وأحمد [٧٩٣٦]، والدارمي [٢٢٥٢]، وابن ماجه [١٩٦٩]، وأبو داود [٢١٣٣]، والبزار [٩٥٥١]، والنسائي [٣٩٤٢]، وابن حبان [٤٢٠٧]، والحاكم [٢٧٥٩]، وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا: البيهقي في (شعب الإيمان) [٨٣٤٠]. قال العراقي (ص:٤٨٧): "أخرجه أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة: قال أبو داود وابن حبان (فمال مع إحداهما)، وقال الترمذي: (فلم يعدل بينهما)".

ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التسوية بين الأولاد بالعطايا ونحوها لبشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: ((**أكل ولدك نحلت مثله**))، قال: لا، قال: ((**فارجعه**))"[2].

وفي رواية قال: ((**فاردده**))[3].

وفي رواية فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أفعلت هذا بولدك كلهم؟**))، قال: لا، قال: ((**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**))، قال: فرجع أبي فرد تلك الصدقة[4].

وفي رواية: قال: ((**فلا تشهدني إذًا، فإني لا أشهد على جور**))[5].

وفي رواية: ((**لا تشهدني على جور**))[6].

وفي رواية قال: ((**فأشهد على هذا غيري**))[7].

وفي رواية قال: ((**فإني لا أشهد**))[8].

وفي رواية قال: ((**فليس يصلح هذا، وإني لا أشهد إلا على حق**))[9].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أما قوله: ((**نحلت**)) فمعناه: وهبت. وفي هذا الحديث أنه ينبغي أن يسوي بين أولاده في الهبة، ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر،

---

(١) صحيح البخاري [٢٥٨٦]، مسلم [١٦٢٣]. قال العلامة السندي رَحِمَهُ اللَّهُ: "النُّحل: -بضم فسكون-: مصدر نحلته، أي: أعطيته. ويطلق على المُعْطِي أيضًا. والنحلة -بكسر فسكون- وجوز الضم بمعنى: العطية. قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "النُّحل: العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق. يقال: نَحَلَه يَنْحَلُه نُحْلًا -بالضم-. والنِّحْلَة -بالكسر-: العطية". حاشية السندي على سنن النسائي (٦/٢٥٨)، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (نَحَلَ) (٥/٢٩). وقوله: ((فارجعه)) يدل على جواز الرجوع في الهبة للولد. ولعل من لا يقول به يحمل على أنه رجع قبل أن يتم الأمر بالقبض من جهته، ونحو ذلك.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦/ ١٨٩).

(٣) صحيح مسلم (١٠) [١٦٢٣].

(٤) صحيح مسلم (١٣) [١٦٢٣].

(٥) صحيح مسلم (١٤) [١٦٢٣].

(٦) صحيح البخاري [٢٦٥٠] مسلم (١٦) [١٦٢٣].

(٧) صحيح مسلم (١٧) [١٦٢٣].

(٨) صحيح مسلم (١٨) [١٦٢٣].

(٩) صحيح مسلم (١٩) [١٦٢٣]، شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١١/٦٥).

ولا يفضل، ويسوي بين الذكر والأنثى. وقال بعض أصحابنا: يكون للذكر مثل حظ الأنثيين، والصحيح المشهور أنه يسوي بينهما؛ لظاهر الحديث، فلو فضل بعضهم، أو وهب لبعضهم دون بعض، فمذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة أنه مكروه وليس بحرام، والهبة صحيحة. وقال طاووس وعروة ومجاهد والثوري وأحمد وإسحاق وداود رَحِمَهُمُ اللَّهُ: هو حرام، واحتجوا برواية: ((**لا أشهد على جور**)) وبغيرها من ألفاظ الحديث"[1].

وفي رواية: ((**اعدلوا بين أولادكم في النَّحْل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في الْبِرِّ والعطف**))[2].

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإن انتظام المعاش والمعاد إنما يدور مع العدل، والتفاضل بينهم يجرُّ إلى الشحناء والتباغض، ومحبة بعضهم له وبغض بعضهم إياه، وينشأ عن ذلك العقوق ومنع الحقوق"[3]. وفيه: الندب إلى التآلف بين الإخوة، وترك ما يورث العقوق للآباء.

---

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١١/٦٥- ٦٧)، وانظر: المعتصر من المختصر من مشكل الآثار (٢/٦٤)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (١٣/٣٧٠)، الشرح الممتع على زاد المستقنع (١١/٤٨).

(٢) أخرجه ابن حبان [٥١٠٤]، كما أخرجه الطبراني في (الكبير) [٧٠]، وتمام [٢٧٣]، والبيهقي في (الكبرى) [١٢٠٠٣]. قال العلامة المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في (فيض القدير) (١/٥٥٧): "إسناده حسن".

(٣) فيض القدير (١/ ٥٥٧).

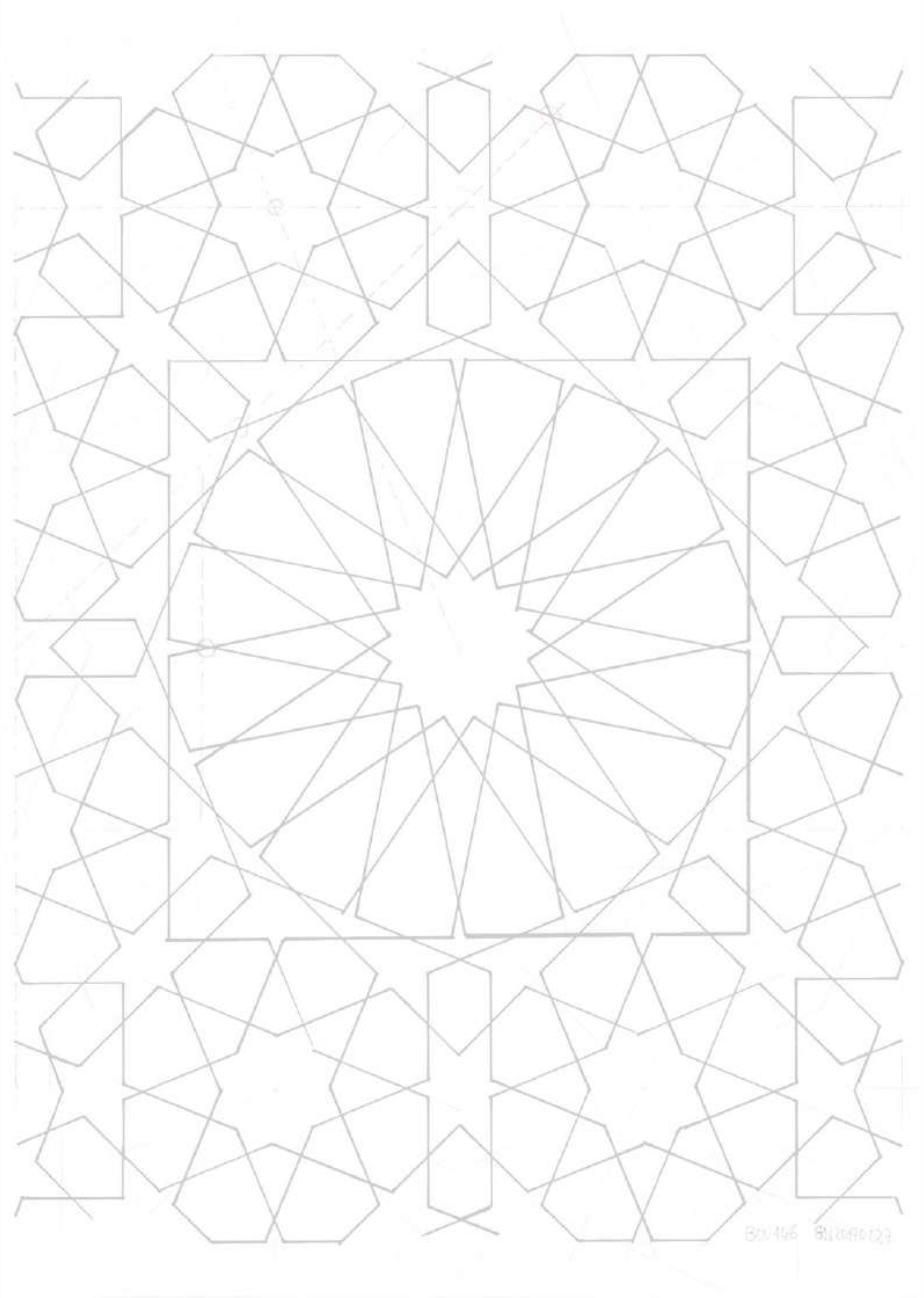

المبحث السادس عشر

محبة الوطن

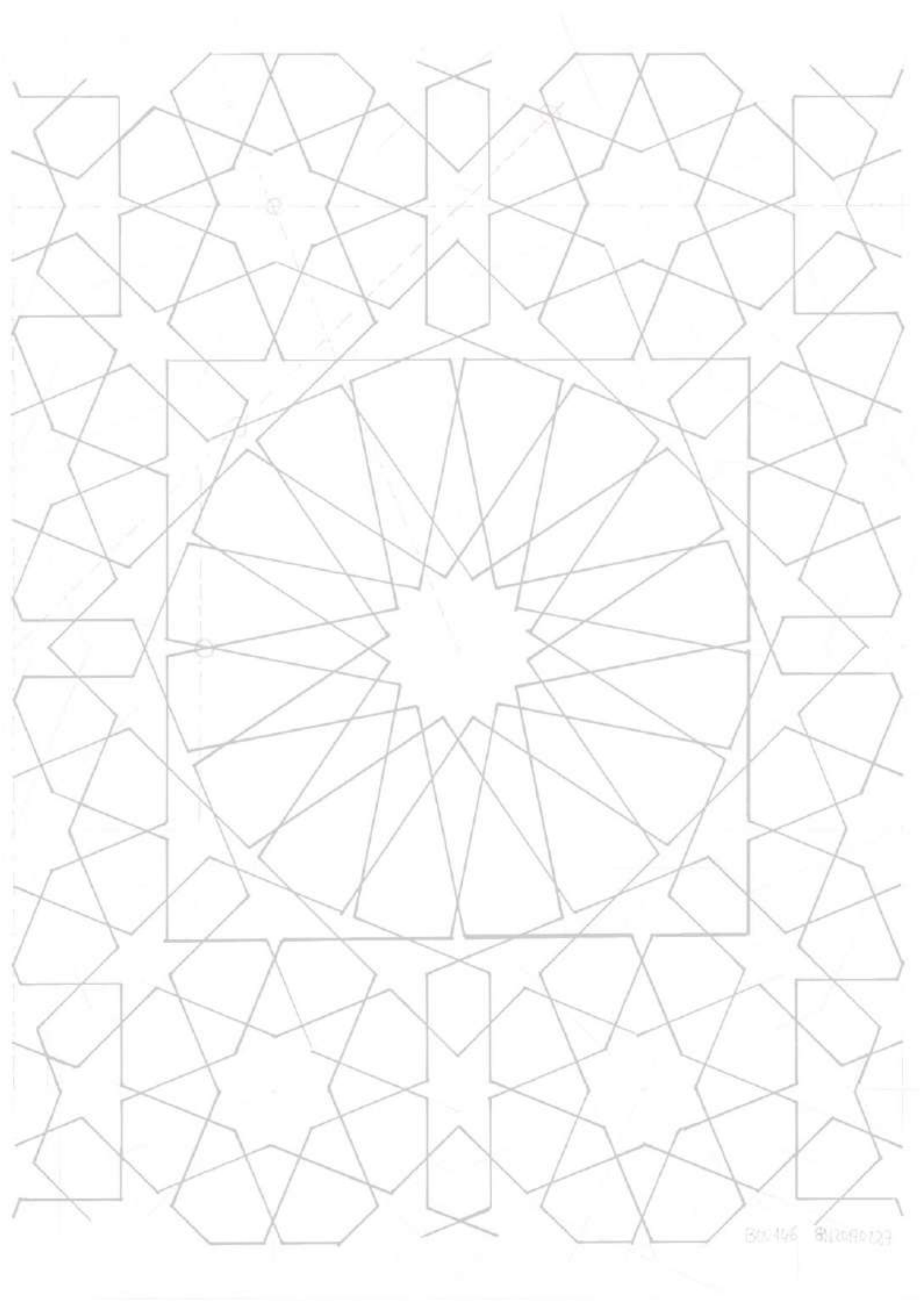

إنَّ حب الوطن والحنين إليه فطرةٌ ثابتةٌ في حنايا النفوس، ومتجذِّرةٌ في شغاف القلوب..

إنَّه الحنين إلى منازل الصبا القديمة، وإلى التنزه في ساحات رياضها النضرة، وأجوائها العطرة، والتروي من حياضها، والاستظلال بأشجارها، والأكل من ثمارها، والتَّفيؤ من ظلالها، والارتشاف من قلالها، إلى جمال أهلها، وإلى ديارها العامرة، وسهولها وبطاحها، وأنهارها وجداولها، وساحاتها وميادينها، إلى أرضها وسمائها، وبرها وبحرها، وبردها وحرها.

إنَّ محبة الوطن سببٌ لعمارته وسلامته من الخراب، ومحفزٌّ للنهوض به، وحفظه من الضياع.

وضياعُ الأوطان يكون بكفران نِعَم الله عَزَّوَجَلَّ وتضييع أمرِه، فما أهون الخلق على الله عَزَّوَجَلَّ إذا عصوا أمره، وقابلوا ما أسبغ عليهم من النِّعم بالكفران والجحود.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ:١٥-١٧].

وبالمقابل فإنَّ الإيمان والتقوى يمنحان: الأمن والأمان، ويورثان: القناعة والرضا، وهما من أسباب الرزق، والبركة فيه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح:١٠-١٢].

وإن للمعصية شؤمًا في منع الرزق، أو سلب بركته، فقد يحرم المرءُ الرزقَ بالمعصية يرتكبها، أو قد يحرم البركةَ في الرزق، فيكون لديه المال الوفير ولا يحسن الانتفاع به، فيضيع المال في غير مصلحة، ويذهب من غير فائدة.

فمن ركائز الوطنية التي ينبغي أن يُعنى بها: غرسُ بذور الإيمان والتقوى في نفوس الأبناء من أول النشأة، فهي التي تثمر محبةً للوطن، وقيمًا وأخلاقًا واستقامة، وأمنًا، وبركات في الرزق.

إن محبَّةَ الوطن تقتضي القيام بمسؤولياته، وحفظ أماناته، والمساهمة في نهوضه في شتى المجالاتِ المفيدةِ والنافعة، والدفاع عنه، وحفظ نظامه وممتلكاته، والتناصح بين أفراده، والاحترامَ وحُسْنَ الخُلق، والتعاون على البرِّ والتقوى والإصلاح.

إن مصالح الوطن وحفظه من الاضرابات والغوائل، مقدم على ولائنا وانتمائنا للقبائل والعوائل. وإن الحرص على سلامة أمنه، والنهوض به هو الميزان الذي توزن به التحالفات والانتماءات والأحزاب. فينبغي على المواطن الصالح أن يضع يده في أيدي الصادقين المخلصين، الحريصين على مصالح أمتهم، وأن يتعاونوا على البر والتقوى والنهوض والرقي بوطنهم.

فالوطنية: علم وفكر وتقدم وازدهار، واختراعات ومبتكرات، وعقول نيرة تتسلح بالعلم والمعرفة.

وإخراج الإنسان من وطنه ليس بالأمر الهيِّن، فهو بمثابة زرعٍ فَقَدَ تُرْبَتَهُ، فهو ذاوٍ(١) لا يثمر ولا يَنْضُرُ.

وقد شبَّه الحقُّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إخراج العبد من وطنه، بإخراج روحه من جسده، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٦٦]، فأتى الله عَزَّوَجَلَّ بأصعب أمرين: إخراج الروح من الجسد، وإخراج الجسد من الوطن.

---

(١) يقال: (ذوى) البقل يذوي بالكسر (ذُوِيًّا) مضموم مشدد فهو (ذَاوٍ) أي: ذبل.

وقد جاء في (الصحيح) في قصة بداية نزول القرآن على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذهابه إلى ورقة بن نوفل، وقول ورقة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا ليتني أكون حيًّا؛ إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أو مخرجي هم؟!**))، قال: نعم..(١).

فتأمل كيف راجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورقة في إخراجه من بلده، ولم يراجعه في إخباره بعداء قومه وأذيتهم له في جسده؟!

قال السهيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: "يؤخذ منه: شدة مفارقة الوطن على النفس؛ فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع قول ورقة أنهم يؤذونه ويكذبونه، فلم يظهر منه انزعاج لذلك، فلما ذكر له: الإخراج تحركت نفسه لذلك؛ لحب الوطن وإلفه فقال: ((**أو مخرجي هم؟!**))"(٢).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قدم من سفر، فأبصر درجات المدينة، أوضع ناقته، وإن كانت دابة حركها، قال أبو عبد الله: زاد الحارث بن عمير، عن حميد: حركها من حبها(٣). أي: حثها على الإسراع لجهة المدينة، والدخول إليها؛ لكثرة حبه لها. وفي الحديث دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية: حب الوطن والحنين إليه(٤).

ويدل على أن الوطن الحقيقي هو الذي ارتضاه الإنسان محلًّا ومسكنًا يقيم فيه، وتنفس فيه الحرية، ولد به أو لم يولد(٥).

---

(١) صحيح البخاري [٣]، مسلم [١٦٠].

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣٥٩/١٢).

(٣) صحيح البخاري [١٨٠٢].

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦٢١/٣)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٣٥/٣)، تحفة الأحوذي (٢٨٣/٩).

(٥) قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: "المنزل تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا، أي: اتخذها محلًّا ومسكنًا يقيم فيها". لسان العرب، مادة: (وطن) (٤٥١/١٣)، العين، للخليل الفراهيدي (٤٥٤/٧)، تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري (٢١/١٤). وعرف الجرجاني الوطن بقوله: "الوطن الأصلي: هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه". التعريفات (ص:٢٥٣)، التوقيف على=

فموطني حيث كرامتي..موطني هو المكان الذي لا أتجرعُ فيه الظلم والقهر ليل نهار، هو الذي أشعرُ فيه بالأمن والحرية في التدين وإبداء الرأي، هو الذي أساهم في نهوضه، هو الذي أشعر فيه بأني إنسان.

ولا يمنع ذلك من الحنين للموطن الأصلي الذي ولد فيه، وأن يتمنى له الخير، وأن يتحرر من الجهل والظلم والفقر والاستبداد، وأن يرقى إلى مصافِّ الدول المتقدمة..إلى غير ذلك.

ويلزم الإنسان في حال الاستطاعة أن يتخير طيب البقاع؛ ليضع فيها بذور دعوته.

وقد أوجب الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الهجرة -على القادر- من البلد الذي يفتن فيه المسلم في دينه، ولا يتسنى له إقامة الشعائر الإسلامية. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧].

قال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "في الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن فيه الرجل من إقامة دينه"(١). فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، يعني: من أرض الكفر إلى بلد أخرى كما فعل غيركم من المهاجرين إلى المدينة والحبشة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، أي: لتركهم هذا الواجب مع تمكنهم منه. وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه -كما تقدم-. ثم استثنى أهل العذر منهم فقال: ﴿إِلَّا

=مهمات التعاريف، للمناوي (ص:٣٣٨). وقيل: "الوطن بالمعنى العام: منزل الاقامة، والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد به الإنسان، أو نشأ فيه. والوطن بالمعنى الخاص هو البيئة الروحية التي تتجه اليها عواطف الانسان القومية". المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا (٥٨٠/٢).

(١) تفسير البيضاوي (٩٢/٢)، وانظر: السراج المنير، للخطيب الشربيني (٣٢٦/١)، تفسير النسفي (٣٨٨/١)، البحر المحيط في التفسير (٤١/٤).

الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾، أي: لا قوّة لهم على الهجرة ولا نفقة لهم. ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء:٩٨]، أي: طريقًا إلى أرض الهجرة.

قال الإمام السيوطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الإكليل): "استدل بالآية على وجوب الهجرة من دار الكفر، إلَّا على من لم يطقها. وعن مالك: الآية تقتضي أن كل من كان في بلد تغيَّر فيه السنن، فينبغي أن يخرج منه"[١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "في هذه الآيات دليل على هجران الأرض التي يعمل فيها بالمعاصي. وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرج منها. وتلا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾. وقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الآيات دالة على أنه ليس لأحد المقام في أرض يُسبُّ فيها السلف، ويعمل فيها بغير الحق"[٢].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واستنبط سعيد بن جبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من هذه الآية: وجوب الهجرة من الأرض التي يعمل فيها بالمعصية"[٣].

"ولذلك كان من مسائل الإجماع: وجوب الهجرة على المسلم من المكان الذي يخاف فيه من إظهار دينه، ويضطر فيه إلى التقية، ومن علامة المؤمن الكامل ألا يخاف في الله عَزَّ وَجَلَّ لومة لائم. قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]. وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يتحملون الأذى في ذات الله عَزَّ وَجَلَّ ويصبرون. وأما المدارة فيما لا يهدم حقًّا، ولا يبني باطلًا فهي كَيَاسَةٌ[٤] مستحبة، يقتضيها: أدبُ المجالسة، ما لم

---

(١) الإكليل في استنباط التنزيل (ص:٩٩).

(٢) تفسير القرطبي (٥/٣٤٦).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٨/٢٦٣).

(٤) (الكَيْس) -بوزن الكيل- ضد الحمق، والرجل (كَيِّسٌ مُكَيِّس) أي: ظريف، وبابه: باع. و(كِيَاسَة) أيضًا: بالكسر. انظر: مختار الصحاح، مادة: (كيس) (ص:٢٧٦)، الصحاح، للجوهري (٣/٩٧٢).

تنته إلى حدِّ النفاق، ويُستَجزْ فيها: الدهان والاختلاق، وتكون مؤكدة في خطاب السفهاء؛ تَصَوُّنًا من سفههم، واتقاءً لفحشهم"(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الفتح): "الهجرة: الترك. والهجرة إلى الشيء: الانتقال إليه عن غيره. وفي الشرع: ترك ما نهى الله عنه"(٢). قال الشيخ جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد وقعت في الإسلام على وجهين:

الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن. كما في هجرتي: الحبشة، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

الثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان. وذلك بعد أن استقرَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين. وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالمدينة إلى أن فتحت مكة، فانقطع الاختصاص، وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقيًا"(٣).

وقد كانت فتنة المسلمين في (مكَّة) فتنة الإيذاء والتَّعذيب، وما يلقونه من المشركين من ألوان الهزء والسُّخرية، فلمَّا هاجروا إلى (المدينة) أصبحت فتنتهم في ترك دورهم وأمتعتهم وأموالهم..ولقد كانوا أوفياء ومخلصين لدينهم أمام الفتنة الأولى، وأمام الفتنة الثَّانية.

وإن من أغلى حقائق الإنسانية: الحرية، وقد آثر الكثير من الدعاة ترك أوطانهم حيث ضيِّق عليهم، ومنعوا من قول الحق، ولم يرتضوا لأنفسهم أن يخونوا دينهم، أو أن ينافقوا أو يداهنوا لأجل عرض زائل، فآثروا الهجرة وترك الأهل والوطن والمال؛ فإن الحرية أغلى، ومحبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلى، وإن الصَّدع بالحق أولى، يتخير الدعاة الأرض الطيبة؛ ليضعوا بذور دعوتهم، تلك الغراس التي تثمر قيمًا وأخلاقًا ودينًا وصلاحًا وبصيرة وفهمًا..

(١) تفسير المنار (٣/٢٣١).
(٢) فتح الباري (١/١٦)، وانظر: عمدة القاري (١/٢٣)، نيل الأوطار، للشوكاني (١/١٧٠).
(٣) تفسير القاسمي (محاسن التأويل) (٣/٢٩٢).

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠]، "أي: مكانًا يراغم فيه أعداء الله. وعلامة المحبة الصادقة: مغايظة أعداء المحبوب ومراغمتهم"(١). "سمى المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة الله عَزَّوَجَلَّ: مراغمًا يراغم به عدو الله وعدوه، والله عَزَّوَجَلَّ يحب من وليه مراغمة عدوه، وإغاظته، كما قال جَلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة:١٢٠]"(٢).

وقد أثنى الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَى على من أخرج من دياره بغير وجه حق، فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

ولما قدم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إلى المدينة أصابتهم الحمى فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة**))(٣). قال السهيلي رَحِمَهُٱللَّهُ: "وفي هذا الخبر وما ذكر من حنينهم إلى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين إليه"(٤). فهو حنان إلى الوطن المنتقل عنه، ثم محبة للوطن المنتقل إليه. ولا ريب أن محبة الموطن الأول فطرية. ويدل عليه حديث: عبد الله بن عدي بن حمراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: رأيت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ واقفًا على الحزورة فقال: ((**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليَّ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت**))(٥).

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (٤٧٢/١).

(٢) مدارج السالكين (٢٤١/١).

(٣) صحيح البخاري [١٨٨٩، ٣٩٢٦، ٥٦٥٤، ٥٦٧٧].

(٤) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٣٦٤/٤).

(٥) أخرجه أحمد [١٨٧١٥]، وعبد بن حميد [٤٩١]، وابن ماجه [٣١٠٨]، والترمذي [٣٩٢٥]، وقال: "حسن صحيح غريب، وقد رواه يونس، عن الزهري، نحوه ورواه محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن=

في هذا الحديث دلالة واضحة على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه كانوا يحبون وطنهم الأصلي: (مكة) حبًّا جمًّا، فدعاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه عَزَّ وَجَلَّ بأن يحبب المدينة إليهم، كما حبب إليهم مكة نصٌّ صريح في ذلك، ولولا أنه فقد المقومات الشرعية والإنسانية لما كان الانتقال عنه واجبًا.

وفي رواية: عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمكة: ((**ما أطيبك من بلد، وأحبك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك**))[(١)].

وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع من أصحابه من يحنُّ إلى الوطن الذي ولد به ونشأ، فلا ينكر عليه، ولكنه يطلب من الله عَزَّ وَجَلَّ أن يحبب إليهم الوطن المنتقل إليه؛ لما فيه من المقومات المفتقدة في الوطن المنتقل عنه. فهذا بلال بن أبي رباح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول:

ألا لـيت شعري هل أبيتن ليلة ... بـواد وحـولي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ
وهــل أَرِدَن يومًا مِـيَاهَ مَجَنَّــةٍ ... وهل يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وطَفِيلُ[(٢)]

=أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحديث الزهري، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عدي بن حمراء عندي أصح". كما أخرجه ابن حبان [٣٧٠٨]، والحاكم [٤٢٧٠]، وقال: "صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه الترمذي [٣٩٢٦]، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب". وأخرجه أيضًا: ابن الأعرابي [١١٨١]، وابن حبان [٣٧٠٩]، والطبراني [١٠٦٢٤] والحاكم [١٧٨٧]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٣٧٢٤]. والضياء [٢١٨].

(٢) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام (٥٨٩/١)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان (١٤٦/١)، دلائل النبوة، للبيهقي (٥٦٥/٢)، الروض الأنف، للسهيلي (٣١/٥)، السيرة النبوية، لابن كثير (٣١٥/٢)، بهجة المحافل (١٦٥/١)، السيرة الحلبية (١١٦/٢)، البداية والنهاية (٢٦٩/٣)، سير أعلام النبلاء (٢١٤/٣).

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فجئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته فقال: ((**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَة**))(١).

وكذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن استوطن المدينة في أحد: ((**هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها**))(٢).

"وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب وطنه، وهو ما جزم به الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ حين عدَّد بعض محابِّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر منها: الوطن، فقال: ويحب وطنه(٣). فالإسلام يحتاج إلى ملاذ آمن ينمو في كنفه، ويربو في أحشائه، وينطلق منه، ويأوي إليه، وهذا الملاذ هو ما يمكن الاصطلاح على تسميته بالوطن. ألا ترى أنه ورد في الحديث النبوي الشريف: ((**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**))(٤)، فالانتماء إلى الوطن في الإسلام يمثل شكلًا من أشكال الجماعة التي جاءت تعاليمه تشد من أزرها وتؤكد عليها وفق ضوابط شرعية، وحدود مرعية. وقد استثمر المسلمون الأوائل ذلك في تحقيق مصالح الجماعة في عدد من المناسبات والظروف المختلفة في إعداد الجيوش وترتيبها في المعارك، وفي تنظيم الناس في العطاء، وفي تخطيط المدن، وفي حفظ الأمن، وفي تنظيم علاقة الراعي بالرعية، إلى غير ذلك من الأمور الهامة.

والمواطنة في الإسلام حق مكتسب لسائر الناس بما يرتب عليها من حقوق وواجبات إلَّا في جزيرة العرب، فلا يسكنها على سبيل الإقامة الدائمة إلَّا المسلمون دون غيرهم.

---

(١) صحيح البخاري [٣٩٢٦، ٥٦٥٤، ٥٦٧٧، ٧٢٣١].

(٢) صحيح البخاري [٢٨٨٩، ٢٨٩٣، ٣٣٦٧، ٤٠٨٤، ٧٣٣٣]. (ما بين لابتيها): هما: الحرتان، والمدينة بين حرتين، والحرة: الأرض الملبسة حجارة سودًا.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٥/٣٩٤).

(٤) صحيح البخاري [١٨٧٦]، مسلم [١٤٧]. (ليأرز) معناه: ينضم ويجتمع.

ومن نعم الله عَزَّوَجَلَّ أن القرآن لم يكبح غريزة حب الأوطان، ولكنه يمنع أن تكون تلك المحبة مساوية لحب الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو مؤثرة عليهما: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]"(١).

ومن الواجب: الدفاع عن الوطن إذا داهمه عدو، وهذا النوع من الجهاد واجب على كل من قدر على حمل السلاح. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

فمن الواجب: الدفاع عن النفس، والعرض، والمال، والوطن عند الاعتداء. وفي الحديث: عن سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **((من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد))**(٢). ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٦].

ولما كان التغريب من أعظم أنواع الابتلاءات والمحن فقد جعلت الشريعةُ التغريبَ من جملة العقوبات التعزيرية، ففي الصحيح عن زيد بن خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه أمر فيمن زنى، ولم يحصن بجلد مائة، وتغريب عام(٣).

وقد اتفق الفقهاء على مشروعية التغريب في الزنا في الجملة، على خلاف بينهم في اعتباره من حد الزنى أو عدم اعتباره..

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، للقاضي حسين بن محمد المهدي (١/٢٩٧-٢٩٨).

(٢) أخرجه أحمد [١٦٥٢]، وعبد بن حميد [١٠٦]، وأبو داود [٤٧٧٢]، والترمذي [١٤٢١]، وقال: "حسن صحيح". كما أخرجه النسائي [٤٠٩٥]، والبيهقي [٦٠٦٢]، والضياء [١٠٩٣]، وقال: "إسناده حسن".

(٣) صحيح البخاري [٢٦٤٩، ٦٨٣١].

وقد اتفق القائلون بالتغريب على وجوبه على الرجل الزاني الحرِّ غير المحصن لمدة عام؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة**))(١). وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن زنى، ولم يحصن بجلد مائة، وتغريب عام -كما تقدم-.

وأما المرأة غير المحصنة، فقد ذهب الشافعية والحنابلة، واللخمي من المالكية إلى وجوب التغريب عليها كذلك. قال الشافعية والحنابلة: ويكون معها زوج أو محرم؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم**))(٢).

وفي رواية: ((**لا تسافر المرأة يومين إلا معها زوجها أو ذو محرم**))(٣).

وفي (الصحيحين): ((**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم**))(٤)؛ ولأن القصد تأديبها، والزانية إذا خرجت وحدها هتكت جلباب الحياء.

وذهب المالكية إلى أنه لا تغريب على المرأة، ولو مع محرم أو زوج ولو رضيت بذلك، على المعتمد عندهم.

والحاصل أن الشارع جعل عقوبة الزاني البكر: أن يبعد عن وطنه؛ كي يتجرع مرارة الذنب الذي وقع فيه. إلى غير ذلك من عقوبات التغريب التعزيرية في الشريعة الإسلامية، وهي مبسوطة في كتب الفقه.

وقد استخدم المشركون هذا السلاح في مواجهة رسل الله عَزَّوَجَلَّ. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة:٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف:٨٨]. فجعل المشركون من قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ خروجه من قريتهم مقابلًا لرجوعه إلى دينهم وتركه عبادة الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) صحيح مسلم [١٦٩٠].

(٢) صحيح البخاري [١٠٨٦، ١٠٨٧]، مسلم [١٣٣٨].

(٣) صحيح البخاري [١١٩٧، ١٩٩٥]، مسلم [٨٢٧].

(٤) صحيح البخاري [١٠٨٨]، مسلم [١٣٣٩].

وحده. وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦].

وذكر الله عَزَّوَجَلَّ عن اليهود فقال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ [الحشر:٣]. فجعل الله عَزَّوَجَلَّ طردهم من المدينة عذابًا لهم في الدنيا.

والمعنى: "ولولا أن كتب الله عَزَّوَجَلَّ عليهم الجلاء؛ لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة"(١).

وقد عاقب الله عَزَّوَجَلَّ بني إسرائيل بأن جعلهم يتيهون في الأرض بلا وطن. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٦].

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ للوطن قداسة، وأمر بالذود عنه، فأذن بالقتال لمن أخرج من دياره بغير حق، ولا يتسنى له إقامة الشعائر الإسلامية. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج:٣٩-٤٠].

(١) انظر: تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) (٢٩/٥٠٤).

المبحث السابع عشر

محبة النفس

بين المحظور والمطلوب

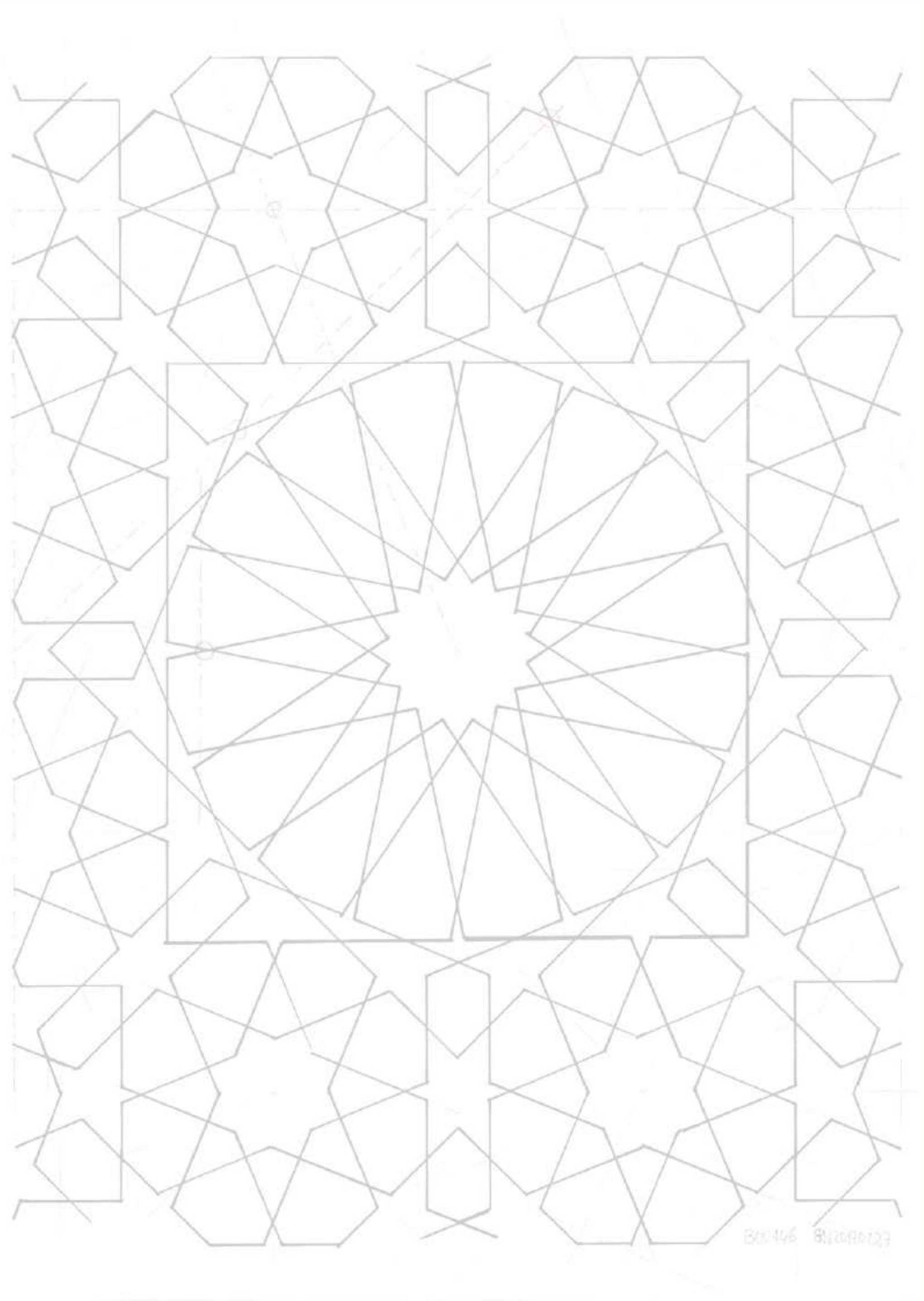

لقد أودع الله عَزَّوَجَلَّ في الإنسانِ غريزةَ محبَّةِ النفس، فهي فطرةٌ جبليَّة، وعليها تقوم مصالحُ الدنيا، وبها يحافظ الإنسان على حياته، ومن المعلوم أن (حفظ النفس) من الضروريات الخمس التي اتفق العقلاء من سائر الملل عليها، قال الشاطبي رَحِمَهُٱللَّهُ في (الموافقات): "اتفقت الأمة، بل سائر الملل، على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري"(١).

وعندما تمتزج (محبة النفس) بالعقيدة الصحيحة؛ فإنها ترتقي في مدراج الكمال؛ لأن العقيدة تكبح جماحها عن الاسترسال في الشهوات، وتحملها على ما فيه صلاحها وسعادتها في الدنيا والآخرة، وتنهض بها إلى المعالي.

ولا يكون ذلك إلا بالسير وفق منهج الله عَزَّوَجَلَّ. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

والإنسان مركب من كثير من الصفات التي هي على طرفي نقيض بين الخير والشر، والعقيدة هي التي توجه الإنسان إلى ملازمة الميول والصفات الخيرة، والتحرر من الصفات المذمومة كالكبر والعجب والأنانية والغرور والزهو والمراء والتعصب والجشع والرياء والظلم والحسد والتجسس والتقاطع والتدابر...الخ.

وإذا كان الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ أول المقومات الروحية وأعظمها أثرًا في حياتنا من حيث ربط النفس بالكمال المطلق لله عَزَّوَجَلَّ، فإن هناك مقومًا آخر ينبثق عن الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والالتزام بشريعته، وله أثر فعَّال في حياة الفرد والمجتمع، وهو الإيمان بالنفس.

أما في حياة الفرد فقد دلت الدراسات النفسية على أن الفرد إذا آمن بأن له كيانًا خاصًّا، وأنه ليس مجرد تكرار لغيره -ولا سيما مع وضوح الغاية والهدف، ولا

---

(١) الموافقات، للشاطبي (٣١/١).

يريح النفس شيء كما يريحها وحدة الغاية والهدف- فإنه ينبعث في عمله انبعاثًا قويًا، ويثمر ثمرات مبتكرة.

أما إذا أحس بأنه شخصية ثانوية، يسعى بلا غاية ولا هدف، فإن ذلك يدعوه إلى التخلف والتبعية والتقليد. وقد ربط الحقُّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم بين خسارة النفس وخسارة الإيمان فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢].

وأما أثره في المجتمع فإن تاريخ المسلمين خير مثال تطبيقي لهذا الذي قررناه، فقد نهض المسلمون نهضة قوية حولت العرب من أمة صغيرة منطوية على نفسها إلى أمة ذات حضارة وتأثير وقيادة وريادة في مختلف النواحي؛ لأنهم فهموا القرآن الكريم على هذا الأساس..سمعوا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، ففهموا منها أنهم أمة المطلوب أن تكون داعية لا أن تكون مجرد أمة مدعوة. فواجبنا أن نحرص على إيماننا بأنفسنا، وأن نعلم أن أعدائنا ليسوا بأقوى منَّا همًا، ولا أكثر منا رقيًّا وتقدمًا إذا ما رجعنا إلى قواعد ديننا، وأبصرنا موضع الخلل.

فمحبة النفس تعني: قيادتها والانتصار عليها وتهذيبها، والسير بها في طريق السعادة الباقية، والنأي بها عن مزالق أهل الغواية، وأن يجعلها تركن إلى ركن مكين، وحصن أمين، من الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، والعمل بشريعته.

فلا ينبغي للمسلم أن يسترسل في اتباع رغبات النفس؛ فإن الاسترسال في متابعة النفس والهوى له مضار ظاهرة وباطنة وحسية ومعنوية وفردية واجتماعية.

ومحبة النفس تقتضي صيانتها عما يضر في الآخرة، والعناية والارتقاء بها.

فمن أراد أن يسلك طريق السعادة فعليه أن يخالف النفس والهوى والشيطان، وأن يتبع منهج الله عَزَّوَجَلَّ القويم، وشِرعته المباركة، التي أنزلها ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، فذلك السبيل الذي ينجو به الناس من الغواية، وسلطان الهوى، فلا سبيل إلا بالاتباع، ولا نجاة إلَّا بالانقياد. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"سمعت شيخنا -يعني: ابن تيمية- يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين؛ فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولًا حتى يخرج إليهم"(١). "فمن قهر هواه عز وساد، ومن قهره هواه ذل وهان وهلك وباد"(٢).

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]. فالهداية لا تكون إلَّا بالانتصار على النفس. قال القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: الذين جاهدوا بسلوك طريق المعاملة، لنهدينهم سبل الصبر على الاستقامة"(٣).

ومحبة النفس وتقديم رغباتها ينبغي أن لا يكون على حساب الإضرار بحقوق الآخرين، فمحبة النفس لا تعني أن لا يرى الإنسان إلا ذاته، ولا يعمل إلَّا من خلال هذه الذات، وما يحقق لها من نفع ذاتي لا يشاركها فيه أحد. بل من أسمى معاني المحبة: الإيثار، وهو تقديم حاجة الغير على حاجة النفس سخاءً وتفضلًا(٤)..وهذا لا يكون إلَّا من نفوس مهيأة للتضحية، فحقيقة الإيثار لا تتنافى مع محبة النفس، وإنما الإيثار ارتقاء بالنفس، وسمو في الأخلاق، ودوام للمحبة، واغتنام للحسنات، فله من الآثار ما هو غنيمة للنفس.

(١) روضة المحبين (ص:٤٧٨).

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني الحنبلي (٢/ ٤٥٨).

(٣) لطائف الإشارات (٢/١٧٧).

(٤) وقد تقدم بيانه.

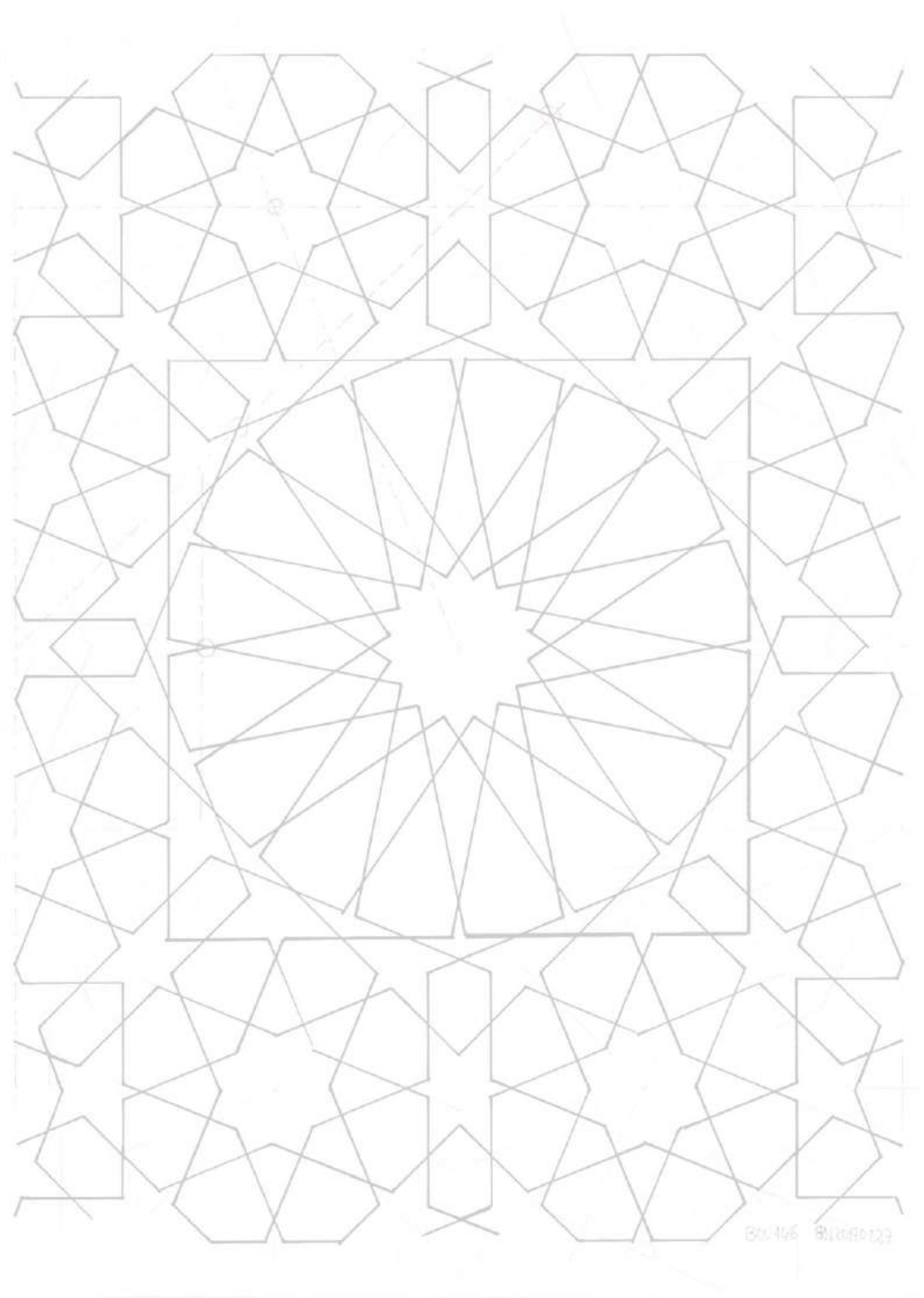

المبحث الثامن عشر

المحبة العامة

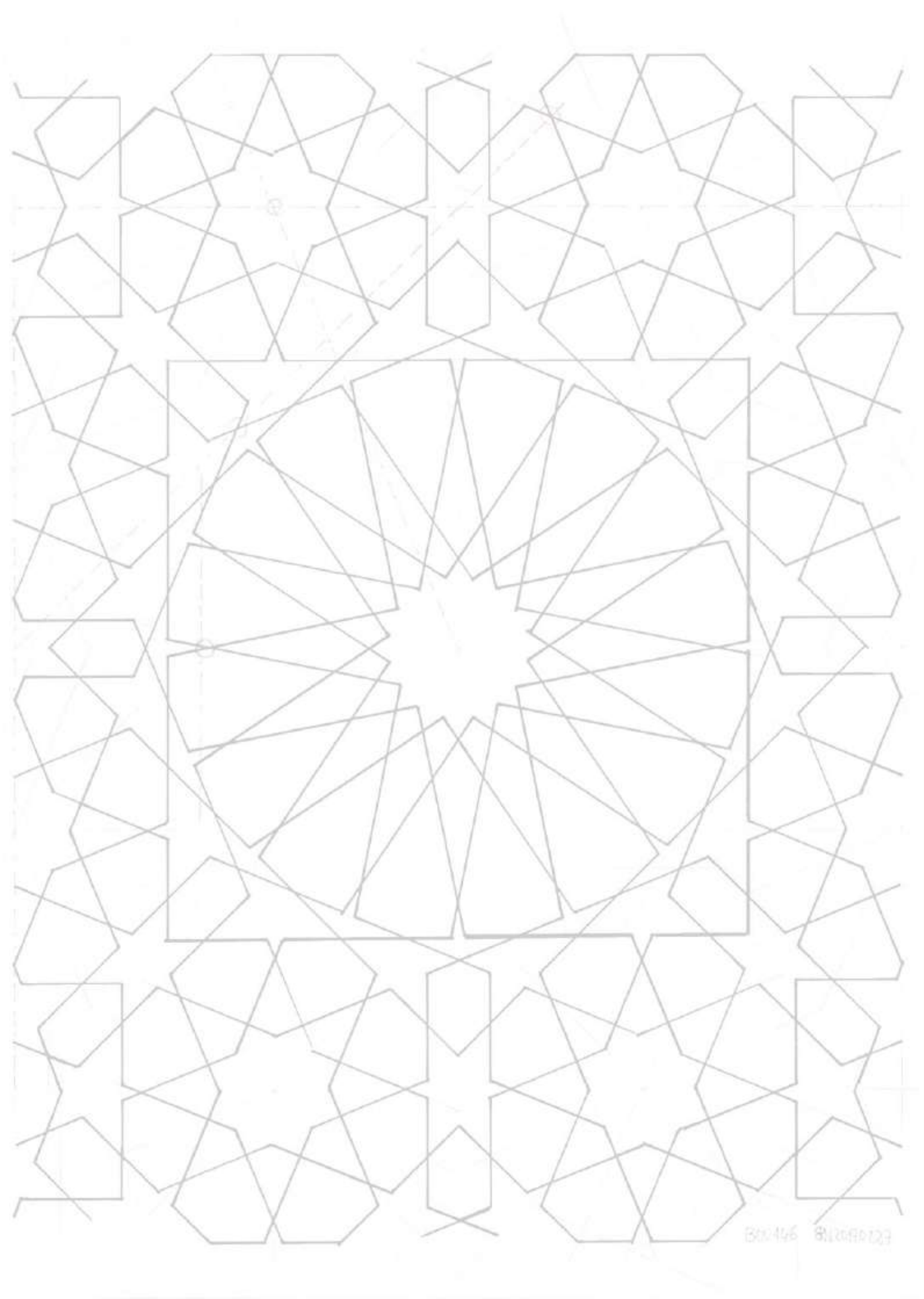

إن نشر ثقافة المحبة، وتعميم مفهومها هو شأن الداعية إلى الله عَزَّوَجَلَّ في كل زمان –ولا سيما في عصرنا الذي ظهرت فيه بعض الصور التي لا تمتُّ إلى الإسلام والمسلمين بصلة، وأساءت إلى سمعة الإسلام والمسلمين-، فعموم محبة الخير للناس هو الذي يعكس سلامة الصدر، وصفاء النفس، وطهارة القلب، ومتانة المنهج؛ فإن المحبة أساس الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ومنطلقها، فالدين محبة ورحمة ومعاملة.

وقد تعامل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع قومه من هذا المنطلق، فكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يحبُّ الخير للناس، ويحرص على هدايتهم، ولو لم تكن المحبة مبتدأ الدعوة وأساسها لما قَبِلَ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ممن قاتله وآذاه، بل وفوق ذلك بوأه المكانة اللائقة به، ولما ظهر منه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ذلك الحرص والاشفاق والاستعطاف.

وقد كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رحمة للعالمين، شديد الشفقة على الخلق أجمعين، حريصًا على هدايتهم إلى الصراط المستقيم، حتى خاطبه ربه عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦]، وقال ﷻ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣].

قال الزمخشري رَحِمَهُٱللَّهُ: "والمراد: بيان حرصه على إسلام قومه وتهالكه عليه، وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها؛ رجاء إيمانهم"(١).

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ومن شأن المؤمن أن يكون حريصًا على هداية الناس، ودعوتهم إلى الخير، وأن يتحمل في سبيل الكثير من المشاق.

إن المؤمن يريد للناس الهداية والخير والرشاد، وهو يدعوهم بقلب مشفق، وبرفق ولين؛ فإن السمات الأخلاقية أعظم سلاح.

---

(١) الكشاف (١٩/٢).

ويحرص المنهج الإسلامي في الدعوة البحث عن أدنى وسيلة لإدخال الناس في دين الله عَزَّوَجَلَّ، بينما يبحث الغلاة للمسلم عن أدنى شبهة لإخراجه من دين الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن شأن المسلم أن يحرص على تشجيع الناس وترغيبهم في الإسلام والتآلف والمحبة والتعاضد والتعاون، ومن شأن الغلاة البحث والتنقير عن شبهات منفرة وصادة.

وفي (الصحيح): قال عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كأني أنظر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحكي نبيًّا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: ((**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**))(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنائم حنين بالجعرانة، قال: فازدحموا عليه، قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إنَّ عبدًا من عباد الله بعثه الله عز وجل إلى قومه، فكذبوه وشجوه، فجعل يمسح الدم عن جبينه، ويقول: رب اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون**)). قال: قال عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فكأني أنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسح جبهته، يحكي الرجل(٢).

وفي (الصحيح): عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حدثته أنها قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: ((**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما**

(١) صحيح البخاري [٣٤٧٧، ٦٩٢٩]، مسلم [١٧٩٢].

(٢) أخرجه أحمد [٤٠٥٧]، والبخاري في (الأدب المفرد) [٧٥٧]، كما أخرجه البخاري في (صحيحه) [٣٤٧٧] مختصرًا، وكذلك مسلم [١٧٩٢]. وأخرجه أيضًا: وأبو يعلى [٥٠٧٢].

شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا))**[1].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِى آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِىَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِى أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِى إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِى إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدُّنْيَا وَلَا فِى الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر:٣٨-٤٤]. فتأمل ذلك الاستعطاف والإشفاق والحرص على هداية قومه.

وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول المحبة، أحب للناس الهداية، ودعاهم إلى ما يسعدهم، وتحمل في سبيل ذلك الإيذاء والتضييق عليه.

والمسلم يرغب في هداية جميع الناس، ويحب ذلك لهم؛ لأنها تستنقذهم من النار، وتخرجهم من الظلمات إلى النور، فهذا أمر محمود ومطلوب، وهو من العموم المقصود من محبة الناس.

قال الجاحظ: "ينبغي لمحبِّ الكمال أن يعوِّد نفسه محبَّة النَّاس، والتَّودُّد إليهم، والتَّحنُّن عليهم، والرَّأفة والرَّحمة لهم؛ فإنَّ النَّاس قبيل واحد متناسبون، تجمعهم الإنسانيَّة، وحلية القوَّة الإلهيَّة هي في جميعهم، وفي كلِّ واحد منهم، وهي قوَّة العقل، وبهذه النَّفس صار الإنسان إنسانًا"[2].

---

(١) صحيح البخاري [٣٢٣١]، مسلم [١٧٩٥]. و(الأخشبين) هما جبلا مكة أبو قبيس، والجبل الذي يقابله.

(٢) تهذيب الأخلاق، للجاحظ (٥٥- ٥٦).

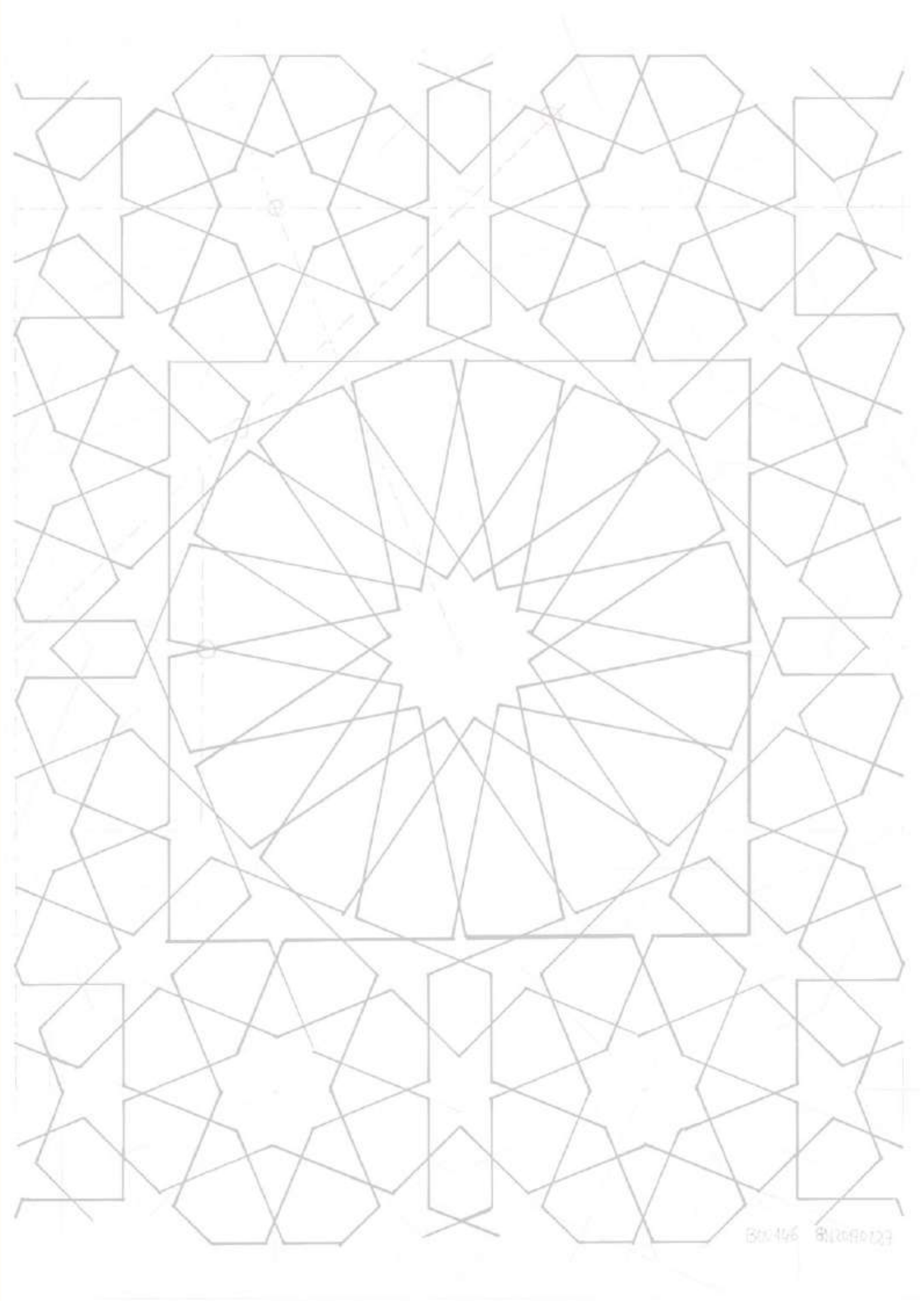

المبحث التاسع عشر

محبة الدنيا

بين المحظور والمطلوب

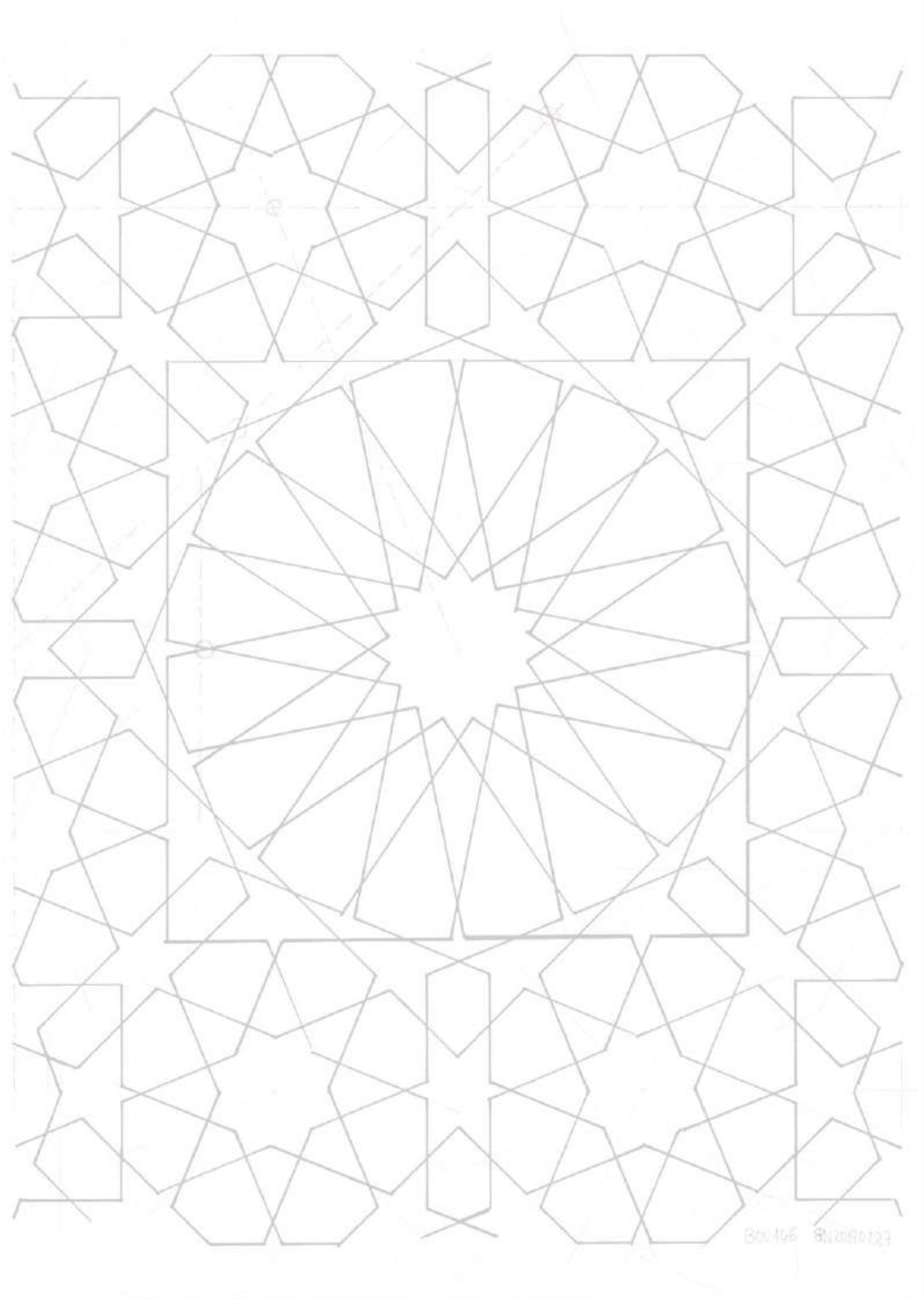

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم جملة من الشهوات والملذات التي يستمتع بها الناس في حياتهم الدنيا، وتتطلبها الغرائز الإنسانية على سبيل الامتنان والتذكير بها، إلَّا أنه بين أن هناك ما هو أولى منها، وهو ما عند الله تعالى في الآخرة؛ حثًّا للإنسان على عدم الاسترسال والإغراق في هذه الشهوات التي تحول بينه وبين ما هو أولى، كما أن الاسترسال في الشهوات له مضار ظاهرة وباطنة وحسية ومعنوية وفردية واجتماعية، فلا ينبغي لهم أن يجعلوا كل همهم في هذا المتاع القريب العاجل، بحيث يشغلهم عن الاستعداد لما هو خير منه في الآجل. قال عزَّ من قائل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران:١٤-١٥].

فهذا بيان لما فطر عليه الناس من حبِّ هذه الشهوات وتزينها في نفوسهم، وتمهيد لتذكيرهم بما هو خير منها، لا لبيان ذمها في نفسها كما قد يُتوهم؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ ما فطر الناس على شيء مذموم، ولا جعل دينه مخالفًا لفطرته، بل موافقًا لها كما قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠].

بل جعل الله عَزَّوَجَلَّ الارتباط بين الزوجين من آياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الدالة على حكمته ورحمته، كما قال: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١].

وجعل المال قوامًا للأمم، ومعززًا للدين، ووسيلة لإقامة ركنين من أركانه(١)، ومن أعظم أسباب التقرب إليه. فعلى المؤمن المتقي ألا يفتنَ بهذه الشهوات، ويجعلَها أكبرَ همه، والشاغلَ له عن آخرته، فإذا اتقى ذلك، واستمتع بها بالقصد والاعتدال، والوقوف عند حدود الله عَزَّوَجَلَّ، فهو السعيد في الدارين..، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْهُم

(١) يعني: الزكاة والحج.

مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة:٢٠١-٢٠٢][1]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء؛ لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في (الصحيح) أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال: ((**ما تركت بعدي فتنة أَضَرَّ على الرجال من النساء**))[2]. فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه، ((**فَتَزَوَّجْ؛ فإنَّ خيرَ هذه الأمَّة أَكْثَرُهَا نِسَاءً**))[3]، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**حبب إلي النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة**))[4].

وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل، وتكثير أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح، كما ثبت في الحديث: ((**تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم**))[5].

---

(١) بتصرف عن (تفسير المنار) (٣/٢٠٢).

(٢) صحيح البخاري [٥٠٩٦]، مسلم [٢٧٤٠، ٢٧٤١].

(٣) صحيح البخاري [٥٠٦٩].

(٤) تقدم.

(٥) أخرجه أبو داود عن معقل بن يسار [٢٠٥٠]، كما أخرجه النسائي في (السنن) [٣٢٢٧]، وفي (الكبرى) [٥٣٢٣]، وابن حبان [٤٠٥٦]، والطبراني [٥٠٨]، والحاكم [٢٦٨٥]، وقال "صحيح الإسناد" ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا: أبو نعيم في (الحلية) (٣/٦٢)، والبيهقي [١٣٤٧٥]. وفي رواية عن أنس: ((تزوجوا الودود الولود، إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة))، وقد أخرجه سعيد بن منصور في (السنن) [٤٩٠]، وأحمد [١٢٦١٣]، وابن حبان [٤٠٢٨]، والطبراني في (الأوسط) [٥٠٩٩]، والبيهقي [١٣٤٧٦]، والضياء [١٨٨٩]. قال الهيثمي (٤/٢٥٢): "رواه أحمد والطبراني في (الأوسط) من طريق حفص بن عمر عن أنس، وقد ذكره ابن أبي حاتم، وروى عنه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح". وقال في موضع آخر (٤/٢٥٨): "وإسناده حسن". قال الحافظ في (البلوغ) (٢/٦٥-٦٦): "رواه أحمد ، وصححه ابن حبان، وله شاهد: عند أبي داود، والنسائي، وابن حبان أيضًا من حديث معقل بن يسار".

وحب المال -كذلك- تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء، والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام والقرابات ووجوه البر والطاعات، فهذا ممدوح محمود شرعًا"(١).

إن الإسلام قد ربط الإنسان بغاياتٍ ومقاصدَ سامية، وهو يحقق توازنًا بين الروحية والمادية، وهو وسط بينهما، بين الدين والدنيا، بين القيم والحاجات، بين الغريزة والعقل، الإنسان كما أراده الله عَزَّوَجَلَّ ليس الذي ينقطع عن العالم، وينسحب من الحياة، ويتفرغ للعبادة، ويتعطل فلا يعمل، ويتقشف فلا يتمتع، ويتبتل فلا يتزوج، ويتعبد فلا يفتر، ليله قائم، ونهاره صائم، ويده من الدنيا صفر، وحظُّه من الحياة: خبز الشعير، ولبس المرقع، ليس هذا هو الإنسان الذي أراده الله عَزَّوَجَلَّ، كما أنه ليس كصاحب الجنتين يفخر على صاحبه منتفخًا بثروته، مختالًا بجنته قائلًا: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف:٣٤-٣٥]. فأرسل الله عَزَّوَجَلَّ على جنته حسبانًا من السماء فأصبحت صعيدًا زلقًا، وأصبح ماؤها غورًا. وليس كقارون الذي آتاه الله عَزَّوَجَلَّ من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، فبغى على قومه، واغترَّ بماله، وعزا الفضل إلى نفسه فقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:٧٨]. فخسف الله عَزَّوَجَلَّ به وبداره الأرض..الإنسان الحق ليس هذا ولا ذاك.

ومن مظاهر التوازن في الشريعة الإسلامية: موقفها من الروحية والمادية، أو بعبارة أخرى: موقفها من الدين والدنيا.

لقد وجدت في التاريخ جماعات وأفراد كل همهم: إشباع الجانب المادي في الإنسان، وعمارة الجانب المادي في الحياة، دون التفات إلى الجوانب الأخرى.

وهذه النزعة المغالية في المادية وفي قيمة الدنيا، جديرةٌ بأن تولِّدَ الترفَ والطغيانَ، والتكالبَ على متاع الحياة، والغرورَ والاستكبارَ عند النعمة، واليأس والقنوط عند الشدة.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٩/٢)، بتصرف.

نرى ذلك واضحًا فيما قصَّه الله ﷻ علينا من مصارع الأفراد والأقوام الذين عاشوا للدنيا وحدها، ولم يلقوا للدين بالًا، ولا للآخرة حسابًا، ولا للروح مكانًا.

وفي الطرف المقابل لهذه النزعة وأصحابها، وجد آخرون من الأفراد والجماعات من نظروا إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة، فحرَّموا على أنفسهم طيبات الحياة وزينتها، وعطَّلوا قواهم عن عمارتها، والإسهام في تنميتها وترقيتها، واكتشاف ما أودع الله عَزَّوَجَلَّ فيها.

عرف ذلك في برهميَّة الهند، ومانويَّة فارس، وبدا ذلك بوضوح وجلاء في نظام الرهبانية الذي ابتدعه النصارى، فعزلوا جماهير غفيرة عن الحياة، والتمتع بها، والانتاج فيها.

وبين هاتين النزعتين قام الإسلام، يدعو إلى التوازن والاعتدال، فصحح مفهوم الناس عن حقيقة الإنسان، وعن حقيقة الحياة.

فالإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة، يقوم كيانه على قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، ففيه عنصر أرضي، يتمثل في جسمه الذي يطلب حظه مما خرج من الأرض من متاع وزينة، وفيه عنصر سماوي يتمثل في روحه التي تتطلع إلى هداها مما نزل من السماء.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الطبيعة المزدوجة في خلق الإنسان الأول: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ -وهو أبو البشر- فقال ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩].

وأشار إلى هذه الطبيعة نفسها في خلق ذرِّية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة:٧- ٩].

وكان من حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن خلق الإنسان على هذه الطبيعة؛ لأنها تتفق مع الرسالة التي كُلِّفَ القيام بها، وهي: الخلافةُ في الأرض.

فهو بعنصره الطيني المادي قادرٌ على أن يسعى في الأرض ويعمرها، ويحسنها، ويكتشف ما أودع الله عَزَّوَجَلَّ فيها من كنوز ونعم، ويسخر قواها المتنوعة بإذن الله؛ لمنفعته، والنهوض بمهمته. فالجسم المادي في الإنسان ليس إذن شرًّا ولا لعنة. ولو كان الإنسان روحًا خالصًا كالملائكة ما وجدت لديه الدوافع التي تحفزه على استخدام المادة، والمشي في مناكب الأرض، والعمل على تعميرها.

وهو بعنصره الروحي السماوي مهيأ للتحليق في أفق أعلى، والتطلع إلى عالم أرقى، وإلى حياة هي خير وأبقى، وبهذا يسخر المادة ولا تسخره، ويستخدم ما على الأرض من ثروات وخيرات دون أن تستخدمه هي وتستعبده.

إنَّ الأرض وما عليها خلقت له.. أما هو فقد خلق لله عَزَّوَجَلَّ: لعبادته، ومعرفته، وإحسان الصلة به.

والحياة ليست سجنًا عوقب الإنسان به، ولا عبئًا فرض عليه حمله، إنما هي نعمة يجب أن تشكر، ورسالة يجب أن تؤدى، ومزرعة لحياة أخرى هي خير وأبقى، يجب ألا تشغل عنها، ولا تحيف عليها.

والقرآن الكريم يدعو إلى العمل للحياة، والضرب في الأرض، والمشي في مناكبها، والاستمتاع بطيباتها، بجوار الحث على الاستعداد للآخرة، والتزود ليوم الحساب، وذلك بالإيمان، والعبادة، وحسن الصلة بالله عَزَّوَجَلَّ، ودوام ذكره الذي تطمئن به القلوب.

والرسول الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يأكل من طيبات هذه الحياة، ولا يحرمها على نفسه، ولكنه لم يجعلها شغل نفسه، ولا محور تفكيره.

وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حريصًا على توجيه أصحابه إلى التوازن المقسط بين دينهم ودنياهم، بين حظ أنفسهم وحق ربهم، بين متعة البدن ونعيم الروح، فإذا رأى في بعضهم غلوًّا في جانب، قوّمه بالحكمة، وردّه إلى سواء الصراط.

ولما رأى في بعض أصحابه إفراطًا في التعبد والصيام والقيام، على حساب جسمه وأهله، قال له: ((**إن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإن لزورك عليك حقًّا**))(١).

وقال للجماعة الذين التزم أحدهم أن يصوم فلا يفطر، والتزم ثانيهم أن يقوم فلا ينام، والتزم الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدًا: ((**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**))(٢).

وحين أقبل أبو عبيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمال من البحرين، فسمعت الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بقدوم أبي عبيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فوافت صلاة الصبح مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلما صلى بهم الفجر انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين رآهم، وقال: ((**أبشروا وأملوا ما يسركم، فو الله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**))(٣).

وهكذا تعلم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أن يوازنوا بين مطالب دنياهم وآخرتهم، وأن يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا، ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل أهل الآخرة، ولم يشعروا بتعارض قط بين عملهم لدينهم، وعملهم لدنياهم، بل شعروا بالوحدة والانسجام والامتزاج كانت شعائرهم وواجباتهم الدينية تعطيهم زادًا وشخصية قوية، يواصلون بها الكفاح لدنياهم، وكانت أعمالهم الدنيوية عونًا لهم على أداء فرائضهم الدينية، كانوا يعتقدون أنهم في عبادتهم ومساجدهم ليسوا مقطوعين عن

---

(١) صحيح البخاري [١٩٧٥، ٦١٣٤].

(٢) صحيح البخاري [٥٠٦٣].

(٣) صحيح البخاري [٣١٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥].

الدنيا، كما أنهم في مزارعهم ومتاجرهم وحرفهم غير بعيدين عن الدين، فأعمالهم هذه عبادة إذا صحت فيها النية، والتزمت حدود الله عَزَّوَجَلَّ(١).

والحاصل أن هناك توازنًا بين القيم الروحية، والقيم المادية، وأن أيَّ طغيان لأحدهما على الآخر يؤدي إلى خلل كبير في الحياتين -الروحية والمادية- معًا.

ومتى خرجت الدنيا عن كونها وسيلة تحولت إلى لهو ولعب، وفقدت القيم الأخلاقية والإنسانية. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت:٦٤]، يعني: باعتبار من آثرها.

وفي المقابل فإنَّ هناك آيات تتحدث عن مهمة أساسية للإنسان في هذه الحياة، وهي مهمة إعمار الأرض، واستثمار الخيرات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون.

فالمراد من حُبِّ الدنيا بالمعنى الصحيح: عِمارتها(٢) ونشر الخير والسلام والمحبة فيها.

فالإسلام لا يعرف المؤمن إلَّا كادحًا عاملًا مؤديًا دوره في الحياة، آخذًا منها، معطيًا لها، مستجيبًا لما أراده الله عَزَّوَجَلَّ من بني آدم حين جعلهم خلفاء في الأرض. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:٦١]. فلم يقل: إنه عَمَّرَ الأرض لكم، ولكنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خلق هذا الكون، وأودع فيه الثروات والخيرات والإمكانات، وحثَّهم على عمارتِهَا، واكتشافِ ما فيها من الخيرات، بإصلاحها وإحيائها، وإشاعة الحياة والنَّماء فيها، وذلك لا يكون إلَّا بالتقدم العلمي، والعمل

---

(١) بتصرف عن مقالة للشيخ يوسف القرضاوي، مجلة الأزهر، السنة الثامنة والأربعون، جزء: [٨]، شوال [١٣٩٦هـ].

(٢) عمارة الارض: إحياؤها بالبناء أو الغرس أو الزرع والعمل الصالح. قال ابن فارس: "يقال: عَمَّر الناس الأرض عِمَارة، وهم يعمرونها، وهي عامرة معمورة. وقولهم: عامرة، محمول على عَمَرَت الأرض، والمعمورة من عُمِرَتْ. والاسم والمصدر: العمران: واستعمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الناس في الأرض ليُعَمِّروها. مقاييس اللغة، مادة: (عمر) (١٤١/٤).

الدؤوب، والتعاون بأن يقوم كل فرد بما يمكنه من جهد[١]. فلا يجوز أن يعمل البعض، ويظل آخرون كَلًّا عليهم، فيأخذون ولا يعطون، ويستهلكون ولا ينتجون. فهذا ليس من العدل.

فالمتعطِّل عن الكسب والكدح[٢] في الحياة عالة على غيره، ولو اقتدى به المسلمون لفسدت الأرض، وأمسوا عبيدًا لغيرهم من الأقوياء العاملين.

كذلك ينبغي أن تكون الريادة لهذه الأمة في مجالات العمل والتقدم العلمي؛ فإن تقليد الآخرين هو عين التقهقر والانحطاط.

"ولقد علمتنا التَّجارِب أن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها، وطلائع لجيوش الغالبين، وأرباب الغزوات، يمهدون لهم السبل، ويفتحون لهم الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم.

وتستطيعون أن تروا مصداق هذه الكلمات إذا نظرتم إلى واقعنا المعاصر، إلى المبشرين بالنظريات الغربية الذين يريدون أن يجعلوا من أمتنا مسخًا مشوهًا للفكر الغربي"[٣].

ومن الأحاديث التي فيها: الحثُّ على عمارة الأرض وتنميتها -حتى ولو كانت في آخر أيامها- قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة**[٤] **فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**))[٥].

---

(١) (الجهد) -بفتح الجيم وضمها-: الطاقة.

(٢) (الكَدْح): العمل والسعي والكد والكسب.

(٣) الأعمال الكاملة، لجمال الدين الأفغاني (ص:٥٣٣).

(٤) "(الفَسِيلُ): صغار النخل، وهي: الوَدِيُّ، والجمع: فُسْلَان، مثل: رغيف ورغفان، الواحدة: فَسِيلَة، وهي التي تقطع من الأُمِّ، أو تقلع من الأرض فتغرس. و(رجل فَسْل): رديء. المصباح المنير، مادة: (فسل) (٤٧٣/٢)، وانظر: لسان العرب (٥١٩/١١).

(٥) أخرجه أحمد [١٢٩٨١]، وعبد بن حميد [١٢١٦]، والبخاري في (الأدب المفرد) [٤٧٩]، والبزار [٧٤٠٨]. قال الهيثمي (٦٣/٤): "رواه البزار، ورجاله أثبات ثقات، لعله أراد بقيام الساعة: أمارتها." وأخرجه أيضًا: ابن الأعرابي في (معجمه) [١٧٩]، والضياء [٢٧١٤]، وقال: "إسناده صحيح".

وهو مبالغة في الحثِّ على غرس الأشجار، وحفر الأنهار؛ لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها ﷻ، فكما غرس لك غيرُك فانتفعت به، فاغرس لمن يجيء بعدَك؛ لينتفعَ -وإن لم يبق من الدنيا صُبَابَة-[1].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة**))[2].

وفي رواية: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السَّبُعُ منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يَرْزَؤُهُ أحد إلا كان له صدقة**))[3]. ففيه: حثٌّ على عمارة الأرض، ولو كان المنتفع من الزرع البهائم لنال الزارعَ الأجرُ.

ولكن عمارة الأرض لا تعني: الركون إلى الدنيا، والغفلة عن الآخرة، ولكن المسلم يقف موقف الموازنة بين المتطلبات الدنيوية -وما تقتضيه من الوفاء بالحقوق تجاه الآخرين- وبين العمل للآخرة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧].

---

(١) فيض القدير (٣/٣٠). و(الصَّبَابة) -بالفتح-: رقة الشوق وحرارته. و(الصُّبَابة) -بالضم-: بقية الماء واللبن وغيرهما تبقى في الإناء والسقاء. والمعنى: وإن لم يبق من الدنيا إلا الوقت اليسير.

(٢) صحيح البخاري [٢٣٢٠]، مسلم [١٥٥٣].

(٣) صحيح مسلم [١٥٥٢]. قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ولا يرزؤه)) أي: لا ينقصه ويأخذ منه.

والأحاديث الدالة على التقلل من الدنيا والزهد بها[1] كثيرة، فمنها: قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**))[2]، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا يزال قلب الكبير شابًّا في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل**))[3].

وفي رواية: ((**قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: حب العيش، والمال**))[4].

وفي رواية: ((**يهرم ابن آدم وتَشِبُّ منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر**))[5].

كما أن (حبَّ الدنيا) من أسباب انحطاط الهمم عن طلب الهداية، وقد بيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن حبَّ الدنيا والتنافس عليها من أسباب الضعف، والاختلاف، والتَّفرق، وضياع العمر. وحذَّرنا من هذا المرض الخطير الذي يصيب الأفراد والجماعات حيث قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**))، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: ((**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**))، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: ((**حب الدنيا، وكراهية الموت**))[6].

---

(١) يعني: من حيث اعتبار ما يصيب المكلف منها بسبب جعله إياها غاية، واتباعه هواه وشهواته.

(٢) صحيح مسلم [٢٧٤٢].

(٣) صحيح البخاري [٦٤٢٠]. قوله: ((قلب الكبير))، أي: الشيخ. ((في اثنتين))، أي: في خصلتين. ((شابًّا)) سماه شابًّا؛ لقوة استحكامه في محبة المال. (وطول الأمل) المراد بالأمل هنا: طول العمر.

(٤) صحيح مسلم [١٠٤٦]. قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا مجاز واستعارة، ومعناه: أن قلب الشيخ كامل الحب للمال، محتكم في ذلك، كاحتكام قوة الشاب في شبابه. قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وتشب منه اثنتان)) -بفتح التاء وكسر الشين-، وهو بمعنى: قلب الشيخ شاب على حب اثنتين". شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٣٨/٧).

(٥) صحيح مسلم [١٠٤٧].

(٦) أخرجه الطيالسي [١٠٨٥]، وابن أبي شيبة [٣٧٢٤٧]، وأحمد [٢٢٣٩٧]، وأبو داود [٤٢٩٧]، وابن الأعرابي [٢١٧٠]، وأبو نعيم في (الحلية) (١٨٢/١)، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٩٨٨٧].

وفي رواية: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول لثوبان: ((**كيف بك يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منه؟**))، قال ثوبان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أمن قلة بنا؟ قال: ((**لا، أنتم يومئذ كثير، ولكن يلقى في قلوبكم الوهن**))، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: ((**حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال**))(١).

وعن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خرج يومًا، فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: ((**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض- وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**))(٢).

كما أنَّ حبَّ الدنيا والطمعَ فيها، والحرصَ على ما فيها من متاعٍ زائل يورثُ الهموم والأحزان. قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "وانما تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين:

إحداهما: الرغبة في الدنيا والحرص عليها.

والثاني: التقصير في أعمال البرِّ والطاعة"(٣).

أما (حب المال والولد) فهو كذلك من الغرائز التي يعرض للناس فيها الإسراف والإفراط إذا لم تُهذَّبْ بهداية الدين، ولم تُشذَّبْ(٤) بحسن التربية والتعليم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:٢٨].

---

(١) أخرجه أحمد [٨٧١٣]، قال الهيثمي (٧/٢٨٧): "رواه أحمد والطبراني في (الأوسط) بنحوه، وإسناد أحمد جيد".

(٢) صحيح البخاري [١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠]، مسلم [٢٢٩٦].

(٣) عدة الصابرين (ص:٢٥٦).

(٤) أصله من النَّخلة الطَّويلة التي شُذِّبَ عنها جريدها، أي: قطع وفرق، فهو تشبيه بما يشذَّب من الشّجر؛ لأنَّه يطول بذلك ويسرع في شطاطه. و(الشطط) -بفتحتين- مجاوزة القدر في كل شيء.

وقد شاءت إرادة الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل الإنسان خليفة في الأرض؛ ليقوم بعمارتها، وأعطاه من النِّعم ما يعينه على القيام بهذه المهمة. وحيث إنَّ الإنسان مدنيٌّ بالطَّبع لا يستطيع أن يعيش وحده، ولا بدَّ له من معاملة غيره، فقد أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ نعمة المال، يتبادل بواسطته المنافع، ويقضي الحوائج.

ولأن كل شيء -من النعم والمتاع- ابتلاء واختبار من الله عَزَّوَجَلَّ، فقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ المال من أعظم أنواع الابتلاء؛ وذلك لما يحقق من المصالح.

وفي الحديث: عن ابن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**))(١).

وعن حكيم بن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعطاني، ثم سألته، فأعطاني، ثم سألته، فأعطاني ثم قال: ((**يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى**))(٢).

قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: "إشراف النفس: تطلعها إليه، وتعرضها له، وطمعها فيه. وأما طيب النفس فذكر القاضي فيه احتمالين؛ أظهرهما: أنه عائد على الآخذ، ومعناه: من أخذه بغير سؤال ولا إشراف وتطلع بورك له فيه. والثاني: أنه عائد إلى الدافع، ومعناه: من أخذه ممن يدفع منشرحًا بدفعه إليه طيب النفس لا بسؤال اضطره إليه أو

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٢٣٧٦]، وأحمد [١٥٧٨٤]، والدارمي [٢٧٧٢]، والترمذي [٢٣٧٦]، وقال: "حسن صحيح"، وأخرجه أيضًا: ابن حبان [٣٢٢٨]، والطبراني [١٨٩]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٩٧٨٣]. قوله: ((بأفسد لها)) أي: بأكثر فسادًا للغنم. ((والشرف)) أي: الجاه، معطوف على المال. واللام في قوله: ((لدينه)) لام البيان، كهي في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة:٢٣٣]، كأنه قيل لمن؟ قال: لمن أراد. وكذا هنا، كأنه قيل: بأفسد لأي شيء؟ فقيل: لدينه. ولا يصح جعلها متعلقة بأفسد؛ لأنه لا يجوز تعلق حرفي جرٍّ بلفظ واحد، ومعنى واحد بعامل واحد إلا على سبيل البدل" انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان البكري الشافعي (٤/٤١٩-٤٢٠). وفيه مبالغة في الذم لمن جعل المال والجاه غاية.

(٢) صحيح البخاري [١٤٧٢،٢٧٥٠، ٣١٤٣]، مسلم [١٠٣٥].

نحوه مما لا تطيب معه نفس الدافع. وأما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**كالذي يأكل ولا يشبع**))، فقيل: هو الذي به داء لا يشبع بسببه. وقيل: يحتمل أن المراد التشبيه بالبهيمة الراعية. وفي هذا الحديث وما قبله وما بعده: الحث على التعفف والقناعة والرضا بما تيسر في عفاف -وإن كان قليلًا- والإجمال في الكسب، وأنه لا يغتر الإنسان بكثرة ما يحصل له بإشراف ونحوه؛ فإنه لا يبارك له فيه، وهو قريب من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦]"(١).

فالمال وسيلة وليس غاية؛ لأنه متى أصبح غاية قضى على صاحبه؛ لأنه سيعيش لاهثًا خلفه، طالبًا للزيادة، خائفًا من زواله، فيورث صاحبه من الهموم والغموم والأحزان، وتنفتح أمامه أبواب الفتن والفساد بسبب المال..فمهما كان غنيًا فإن فقره بين عينيه، والآفات محدقة بماله، وبجسده من المرض إلى الموت..

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**))(٢).

فينبغي على المسلم أن يتذكر دائمًا أن التوسعة في الرزق ليست إلا اختبارًا له من مولاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليست دليلًا على الرضا، فقد نفى القرآن الكريم أن تكون كثرة المال أو الولد دليلًا على رضى المولى تعالى، وإنما العمل الصالح هو الوسيلة للحصول على هذا الرضوان والقرب من الله عَزَّوَجَلَّ. يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ

---

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٢٦/٧)، إكمال المعلم، للقاضي عياض (٢٩٨/٣).

(٢) الحديث مروي عن أنس وعن زيد بن ثابت. حديث أنس: أخرجه هناد (٣٥٥/٢)، والترمذي [٢٤٦٥]، وأبو نعيم في (الحلية) (٣٠٧/٦). حديث زيد بن ثابت: أخرجه الطيالسي [٦١٧]، وأحمد [٢١٥٩٠]، وابن ماجه [٤١٠٥]، وابن حبان [٦٨٠]، والطبراني في (الكبير) [٤٨٩١]، وتمام [١٤٦١]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٩٨٥٥]. قال العراقي في (المغني عن حمل الأسفار) (ص:١٧٣٢): "أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيد".

الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]، ويقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:٢٨].

وقد أخبر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن الإنسان أنه لحب الخير لشديد، فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨]. والخير هنا: المال اتفاقًا[1].

ومعناه: وإنه لأجل حب المال لبخيل ممسك، أو إنه لحب المال لقوي، وهو لحب عبادة الله عَزَّوَجَلَّ ضعيف، أي: إنه لأجل حب المال بخيل؛ فلذلك يحتجب به غارزًا رأسه في تحصيله وحفظه وجمعه ومنعه، مشغولًا به عن الحق، معرضًا به عن جنابه.

وفي الحديث: ((**إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلَّا من أعطاه الله خيرًا، فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه، وعمل فيه خيرًا**))[2].

ومن أدل الآيات على أن حب المال غريزة في النفس مقتضية للحرص على المنع -الذي هو البخل- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

فالموفق من يوق شح نفسه فيخالفها فيما يغلب عليها من حب المال، وبغض الإنفاق، وهو الفائز بالسعادتين.

ومن الآيات التي تحذر من حب المال مع الحرص والطمع قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر:١٩-٢٠]، أي: حبًّا كثيرًا مع حرص وطمع. ثم قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ إلى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ الآيات [الفجر:٢١-٢٦]، وهي ردع عن أكل التراث، وعن حب المال؛ فماذا يفيد أكل حقوق الغير عند دخول القبر؟ وماذا يجدي حب المال عند المآل؟ وماذا يفيد النعيم الزائل عند العذاب الدائم؟

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٥/ ٣٩٨).

(٢) صحيح البخاري [٦٤٤٣]، مسلم [٩٤]. والمراد بـ: ((يمينه وشماله)) ما سبق أنه جميع وجوه المكارم والخير. و((نفح)) -بالحاء المهملة-، أي: ضرب يديه فيه بالعطاء والنفح: الرمي والضرب.

فينبغي أن يطهر المسلم نفسه عن أدران الشح وأوضار التخلف، وعن حب المال الذي كان التخلف بسببه، وعن سائر الأخلاق الذميمة. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣].

والحق أن شهوة حب المال عمت غالب الخلق حتى فُتِنوا بالدنيا وزهرتها، وصارت غاية قصدهم، فلها يطلبون، وبها يرضون، ومن أجلها يغضبون، وبسببها يوالون، وعليها يعادون. فكم قطعت أرحام في سبيلها، وسفكت دماء بسببها، ووقعت فواحش من أجلها، ونزلت القطيعة وحلَّت البغضاء، وفُرِّق بين الأخ وأخيه، وتقاتل الأب مع ابنه، وتعادى الأصحاب والخلان.

وفي الحديث: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: ((**إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟**))، قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض**))(١).

وقد بين الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن الإيمان ليس بالادعاء، وإنما هو مجموعة من الصفات ينبغي أن يتصف الإنسان حتى يكون مؤمنًا، ومنها: بذل المال، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٢-٤]، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وفي ذلك إشارة إلى أن النفوس يجب أن تكون كريمة مهما ألحَّ عليها الفقر، وأن تتعوَّدَ الإحسان بقدر الطاقة، كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في آية أخرى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق:٧].

---

(١) صحيح مسلم [٢٩٦٢].

ولذلك فإنك ترى أن الشارع جعل من أهم علامات التقوى: بذل المال، وإعانة المحتاج، محذرًا من الشح، مبينًا عاقبته، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**))[1].

---

(١) صحيح مسلم [٢٥٧٨].

المبحث العشرون

محبة الأماكن الفاضلة

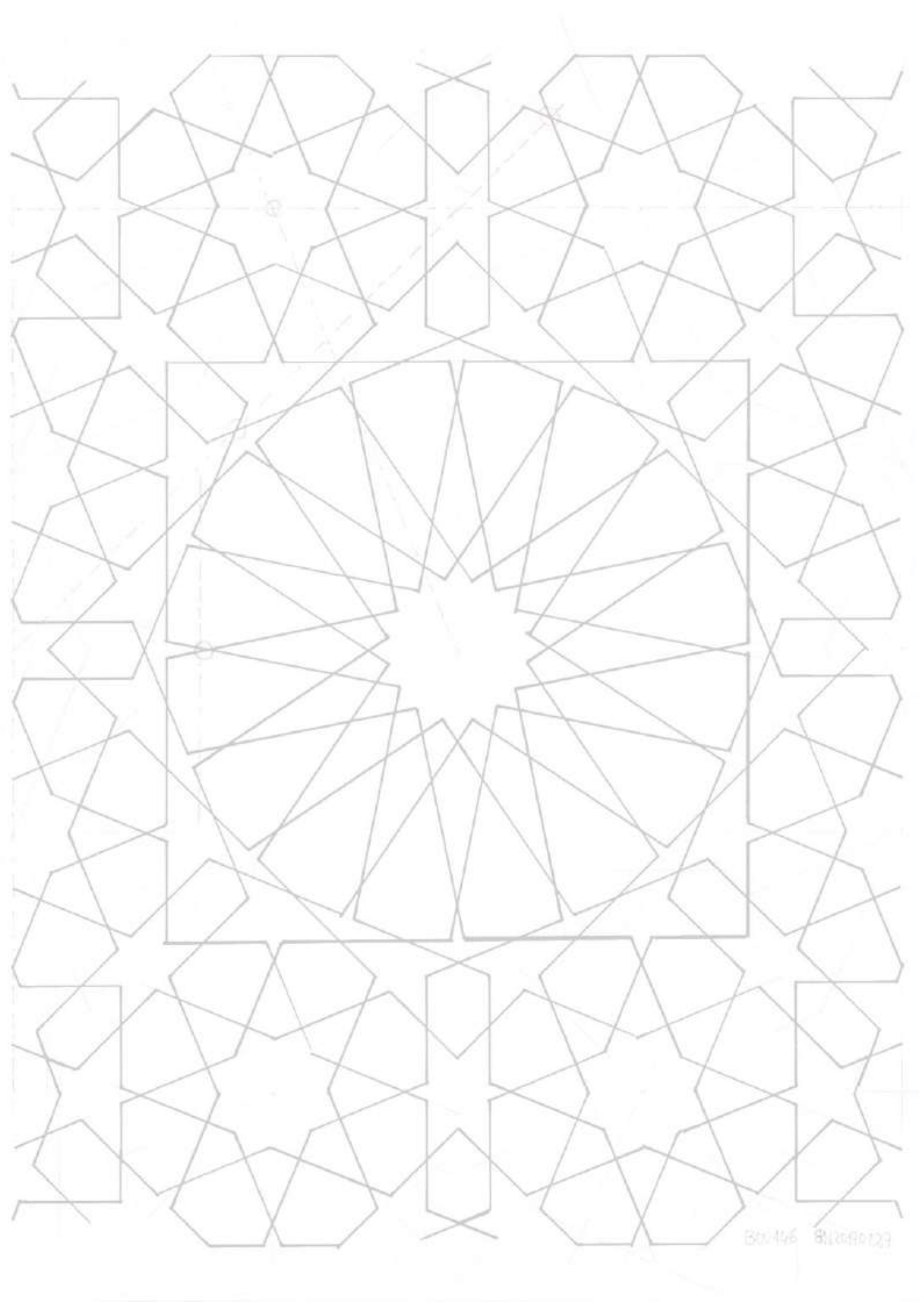

لقد اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعض الأزمنة والأمكنة بمزايا وفضائل دائمة، كما في تفضيل شهر رمضان، ويوم الجمعة، وعشر من ذي الحجة، وكما في تفضيل مكة والمدينة وبيت المقدس.

وقد تقدَّم أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد شرَّف بعض البقاع على بعض، وجعل لها ميزة ومكانة، وهي أماكن أحبَّها اللهُ عَزَّوَجَلَّ. فينبغي على كل مسلم أن يحبها؛ فإن محبة بعض الأماكن وبعض البقاع مطلوب شرعًا؛ فقد تقدم أنَّ أحب البقاع إلى الله مساجدها(١)؛ فهي بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، تضاعف فيها الأجور كما في الحديث: ((**صلاة أحدكم في جماعة، تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعًا وعشرين درجة، وذلك بأنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لا ينهزه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفع بها درجة، أو حطت عنه بها خطيئة، والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه، اللهم صل عليه، اللهم ارحمه ما لم يحدث فيه، ما لم يؤذ فيه، وقال: أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه**))(٢).

وفي الحديث: ((**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله**))(٣)، ((**أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم، فأبعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذي يصلي، ثم ينام**))(٤)..إلى غير ذلك.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لما كانت المساجد في الأرض بيوت الله عَزَّوَجَلَّ أضافها الله عَزَّوَجَلَّ إلى نفسه؛ تشريفا لها، وتعلقت قلوب المحبين لله عَزَّوَجَلَّ بها؛ لنسبتها إلى

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح البخاري [٦٥١]، مسلم [٦٤٩]. قوله: ((بضعًا)) البضع: -بفتح الباء وكسرها- من ثلاث إلى تسع على الأصح. و((ينهزه)) -بفتح الياء والهاء وإسكان النون بينهما-، ومعناه: لا يدفعه وينهضه ويحركه إلا الصلاة.

(٣) صحيح مسلم [٦٥٦].

(٤) صحيح البخاري [٦٥١]، مسلم [٦٦٢].

محبوبهم، وارتاحت إلى ملازمتها؛ لإظهار ذكره فيها، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝٣٧﴾ [النور:٣٦- ٣٧]. أين يذهب المحبون عن بيوت مولاهم؟ قلوب المحبين ببيوت محبوبهم متعلقة، وأقدام العابدين إلي بيوت معبودهم مترددة"[١].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "المساجد بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أضافها الله عَزَّوَجَلَّ إلى نفسه بقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة:١٨]، حسبك بهذا شرفًا لها، وقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ [النور:٣٦] الآية. فهي أفضل بيوت الدنيا، وخير بقاع الأرض، وقد تفضل الله عَزَّوَجَلَّ على بانيها بأن بنى له قصرًا في الجنة[٢]، وأجر المسجد جار لمن بناه في حياته وبعد مماته ما دام يذكر الله عَزَّوَجَلَّ فيه ويصلى فيه، وهذا مما جازت المجازاة فيه من جنس الفعل"[٣].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولهذا منعت من اتخاذها لأمور الدنيا من بيع وتجارة، كما في الحديث: ((**إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا له: لا أربح الله تجارتك**))[٤]، وكذلك إنشاد الضالة؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إذا سمعتم من**

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، لابن رجب (ص:٧١).

(٢) جاء في (الصحيح): ((من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة)) صحيح البخاري [١٥٩٧]، مسلم [٥٣٣]، وفي رواية: ((بنى الله له بيتًا في الجنة)) صحيح مسلم [٥٣٣].

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠١/٢).

(٤) أخرجه الدارمي [١٤٤١]، والترمذي [١٣٢١] وقال: "حديث أبي هريرة حديث حسن غريب، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم كرهوا البيع والشراء في المسجد، وهو قول أحمد، وإسحاق، وقد رخص فيه بعض أهل العلم في البيع والشراء في المسجد"، وأخرجه أيضًا: البزار [٨٢٦٠]، والنسائي في (الكبرى) [٩٩٣٣]، وابن خزيمة [١٣٠٥]، وابن حبان [١٦٥٠]، والطبراني في (الأوسط) [٢٦٠٥]، والحاكم [٢٣٣٩]، وقال: "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضًا: البيهقي في (الكبرى) [٤٣٤٥].

ينشد ضالة بالمسجد، فقولوا له: لا ردها الله عليك؛ فإن المساجد لم تبن لذلك))(١).

وفي حديث الأعرابي الذي بال في المسجد قال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن هذه المساجد لم تبن لذلك؛ إنما هي لذكر الله وما والاه**))(٢)،

وفي (موطأ مالك رَحِمَهُ اللَّهُ): أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنى رحبة في ناحية المسجد تسمى: البطحاء. وقال: ((**من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعرًا، أو يرفع صوته، فليخرج إلى هذه الرحبة**))(٣). و(اللغط) هو: الكلام الذي فيه جلبة واختلاط. و(أل) في المساجد: للاستغراق؛ فتفيد شمول جميع المساجد، كما تدل في عمومها على المساواة، ولكن جاءت آيات تخصص بعض المساجد بمزيد فضل واختصاص، وهي: المسجد الحرام، خصه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما جاء في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٦-٩٧]، فذكر هنا سبع خصال ليست لغيره من المساجد من أنه: أول بيت وضع للناس، ومبارك، وهدى للعالمين، وفيه آيات بينات، ومقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنًا، والحج والعمرة إليه، وآيات أخر.

وقال أبو القاسم القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ [التين:١-٢]. قوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: "الجبل الذي كلم الله عَزَّ وَجَلَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه. ولموضع قدم الأحباب حرمة. ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين:٣] يعني: مكة، ولهذا البلد شرف كبير، فهي بلد الحبيب، وفيها البيت، ولبيت الحبيب وبلد الحبيب قدر ومنزلة(٤).

---

(١) صحيح مسلم [٥٦٨].

(٢) في (صحيح مسلم) [٢٨٥]: ((إنما هي لذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، والصلاة وقراءة القرآن)).

(٣) موطأ الإمام مالك [٦٠٢].

(٤) لطائف الإشارات (٣/٧٤٥).

و(المسجد الأقصى)، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، فخص بكونه مسرى رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، وبالبركة حوله، وأري صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه من آيات ربه. وقد كان من الممكن أن يعرج به إلى السماء من جوف مكة، ومن المسجد الحرام، ولكن ليريه من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، كعلامات الطريق؛ لتكون دليلًا له على قريش في إخباره بالإسراء والمعراج، وتقديم جبريل له الأقداح الثلاثة: بالماء، واللبن، والخمر، واختياره اللبن رمزًا للفطرة. واجتماع الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ له والصلاة بهم في المسجد الأقصى، بينما رآهم في السموات السبع، وكل ذلك من آيات الله أريها صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد الأقصى. و(المسجد النبوي)، و(مسجد قباء).."(١).

وكما أن المساجد أحب البقاع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فهي كذلك أحب البقاع إلى المؤمنين الصالحين، فهي محل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وعبادته والتفقه في دينه، وحضور حلقات العلم..

ذكر الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن عطاء بن يسار رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يقول لمن أراد أن يبيع في المسجد: عليك بسوق الدنيا، فإنما هذا سوق الآخرة(٢).

فينبغي للتاجر أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة، فيكون عمره ضائعًا، وصفقته خاسرة، وما يفوته من الربح في الآخرة ،لا يفي به ما ينال في الدنيا، فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة.

والمسجد هو بيت كل مؤمن وتقي كما جاء في الحديث: ((**المسجد بيت كل تقي**))(٣).

---

(١) أضواء البيان (٨/٣٢٢).

(٢) موطأ الإمام مالك [٦٠١]، وانظر: الزهد، للإمام أحمد [١٨٤٦].

(٣) الحديث مروي عن أبي الدرداء وعن سلمان. حديث أبي الدرداء: عبد الرزاق عن معمر في (الجامع [٢٠٠٢٩]، والطبراني في (الأوسط) [٧١٤٩]، والشهاب [٧٢]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [١٠١٧٤]. حديث سلمان: البزار [٢٥٤٦]، والطبراني في (الكبير) [٦١٤٣]، أبو نعيم في (الحلية)=

ومن تعلق قلبه بحب المساجد فهو في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، كما جاء في الحديث: ((**سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله**))، وذكر منهم: ((**ورجل قلبه معلق في المساجد**))[(١)].

وأحبُّ المساجد هي التي أخبر النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الرِّحال تشدُّ إليها، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ومسجد الأقصى**))[(٢)].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام**))[(٣)].

وفي رواية: ((**صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**))[(٤)].

وفي الحديث: عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيهما أفضل: مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى، وليوشكن أن لا يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض**

=(١٧٦/٦)، والشهاب [٧٣]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٢٦٨٩]. قال الهيثمي (٢٢/٢): "رواه الطبراني في (الكبير) و(الأوسط) والبزار وقال: إسناده حسن، قلت: ورجال البزار كلهم رجال الصحيح".

(١) صحيح البخاري [٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦]، مسلم [١٠٣١]. ومعناه: شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها، وليس معناه: دوام القعود في المسجد.

(٢) صحيح البخاري [١١٨٩، ١١٩٧، ١٨٦٤، ١٩٩٥]، مسلم [١٣٩٧].

(٣) صحيح البخاري [١١٩٠]، مسلم [١٣٩٤].

(٤) أخرجه أحمد [١٤٦٩٤]، وابن ماجه [١٤٠٦]، وابن الأعرابي في (معجمه) [١٤٦٧]. قال الهيثمي (٤/٤): رواه أحمد، والبزار ولفظه: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام، فإنه يزيد عليه مائة))، والطبراني في (الكبير) بنحو البزار، ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح".

حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا، أو قال: خير من الدنيا وما فيها))[1].

ومحبة الروضة الشريفة في المسجد النبوي؛ لحديث: ((**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**))[2].

وعن يزيد بن أبي عبيد، قال: كنت آتي مع سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف، فقلت: يا أبا مسلم، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال: ((**فإني رأيت النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يتحرى الصلاة عندها**))[3].

و(الأسطوانة) هي بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء، وهي السارية قوله: (التي عند المصحف) هذا دال على أنه كان للمصحف موضع خاص به. قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: "والأسطوانة المذكورة حقق لنا بعض مشايخنا أنها المتوسطة في (الروضة المكرمة)، وأنها تعرف بأسطوانة المهاجرين. قال: وروي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تقول: لو عرفها الناس لاضطربوا عليها بالسهام، وأنها أسرتها إلى ابن الزبير فكان يكثر الصلاة عندها"[4].

وفي رواية: عن سلمة وهو ابن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يتحرى موضع مكان المصحف يسبح فيه، وذكر: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتحرى ذلك المكان، وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة[5].

---

(١) أخرجه الطبراني في (الأوسط) [٦٩٨٣، ٨٢٣٠]، وفي (مسند الشاميين) [٢٧١٤]، والحاكم [٨٥٥٣]، وقال: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. كما أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) [٣٨٤٩]. قال الهيثمي (٧/٤): "رواه الطبراني في (الأوسط)، ورجاله رجال الصحيح".

(٢) صحيح البخاري [١١٩٥، ١١٩٦، ١٨٨٨، ٦٥٨٨، ٧٣٣٥]، مسلم [١٣٩٠، ١٣٩١].

(٣) صحيح البخاري [٥٠٢]، مسلم [٥٠٩].

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٥٧٧/١)، وانظر: نيل الأوطار، للشوكاني (٢٣٤/٣)، فيض القدير (٣٨٩/١)، منار القاري (٥٢/٢) وانظر ذلك مفصلًا في (فتح الباري)، لابن رجب (٤٩/٤).

(٥) صحيح مسلم [٥٠٩]. (يتحرى) أي: يجتهد ويختار. و(مكان المصحف) هو المكان الذي وضع فيه صندوق المصحف في المسجد النبوي الشريف، وذلك المصحف هو الذي سمي إمامًا من عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان في ذلك المكان أسطوانة تعرف بأسطوانة المهاجرين، وكانت متوسطة في الروضة=

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد روي في بيت المقدس التفضيل بخمسمائة، وهو أشبه"(١).

ويضاف إلى المساجد الثلاثة في الأهمية: مسجد قباء، فالصلاة فيه لها مزية عن بقية المساجد؛ لما جاء في الحديث: عن سهل بن حنيف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة))**(٢).

وهذا الجبل -أعني: جبل أُحد- الذي يحبه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُه، وهو يحبُّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((أحد جبل يحبنا ونحبه))**(٣).

"في الحجِّ أمكنةٌ خاصةٌ ينبغي للمسلم أن يقف بها ويتحرَّى فيها الدعاء؛ اقتداءً بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث ثبت عنه أنَّه كان يقف فيها ويستقبل القبلة ويدعو الله عَزَّ وَجَلَّ(٤)، وهي بالأخصِّ ستة أماكن: في (عرفة)، وفي (المشعر الحرام) كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٨]، وقد جاء في حديث: جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صفة حجَّة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((أنَّه ركب القصواءَ حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبَّره وهلله ووحده، فلم**

=المكرمة. و(ممر الشاة) وهو موضع مرورها فكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين الجدار نظير مسافة ما بين المنبر والجدار، وهذه المسافة بين المنبر وجدار القبلة كقدر مر الشاة. انظر: عون المعبود (٣/٢٩٨).

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص:٩٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة [٧٥٣٠]، وأحمد [١٥٩٨١]، وابن ماجه [١٤١٢]، والنسائي [٦٩٩]، والحاكم [٤٢٧٩]، وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، كما أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) [٣٨٩٣]. قال العراقي (ص:٣٠٧): "أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بإسناد صحيح".

(٣) صحيح البخاري [١٤٨٢، ٢٨٨٩، ٢٨٩٣، ٣٣٦٧، ٤٠٨٣، ٤٠٨٤، ٤٤٢٢، ٥٤٢٥، ٦٣٦٣، ٧٣٣٣]، مسلم [١٣٦٥، ١٣٩٢، ١٣٩٣].

(٤) جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المناسك ومواقف الحج أمكنة؛ للتخلص من الذنوب، وطلب الرحمة من الله عَزَّ وَجَلَّ.

يزل واقفاً حتى أسفر جدًّا، فدفع قبل أن تطلع الشمس))[1]. وكذلك على (الصفا والمروة)؛ لما ثبت في (صحيح مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في حديث: جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدِّم: **((أنَّ النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان إذا وقف على الصفا يُكبِّر ثلاثًا ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيء قدير، يصنع ذلك ثلاث مرَّات ويدعو، ويصنع على المروةِ مثلَ ذلك))**[4]، وكذلك بعد رمي (الجمرتين الصغرى والوسطى)؛ لما ثبت في (صحيح البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ): **((أنَّ عبد الله بن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات يُكبِّر على إثر كلِّ حصاة، ثمَّ يتقدَّم حتى يُسهلَ، فيقوم مستقبلَ القبلة فيقومُ طويلًا يدعو ويرفع يديه، ثمَّ يرمي الوسطى، ثمَّ يأخذ ذات الشمال فيسهل، ويقومُ مستقبلَ القبلة فيقومُ طويلًا ويدعو ويرفع يديه ويقوم طويلًا، ثمَّ يرمي جمرة العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها، ثمَّ ينصرف فيقول: هكذا رأيتُ النبيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يفعله))**[2]. فهذه ستة مواضع ثبت أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف فيها ويتحرَّى الدعاء ويرفع يديه، وعمومًا فالدعاءُ له شأنٌ عظيم في الحج والصلاة والصيام، بل له شأنٌ بالغٌ في العبادات كلِّها، بل هو روح العبادة ولُبُّها"[3].

وأخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن (مكة) أحب البقاع إلى الله عَزَّوَجَلَّ[4]. وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [البقرة:٩٦-٩٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥].

---

(١) صحيح مسلم [١٢١٨].

(٢) صحيح البخاري [١٧٥١، ١٧٥٢]. ((الجمرة الدنيا)): الصغرى وهي أول الجمرات التي ترمى أيام التشريق، وسميت الدنيا؛ لأنها أقرب الجمرات إلى منى وأبعدها من مكة. ((يسهل)): ينزل إلى السهل من بطن الوادي حتى لا يصيبه ما يتطاير من الحصى.

(٣) فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (١/٣٧٨- ٣٧٩).

(٤) تقدم.

ومن مقتضيات محبة الأمكنة الفاضلة -من حيث كونها وسيلة إلى مرضاة الله ومحبته للعبد-: بغض الأمكنة التي هي وسيلة إلى سخط الله عَزَّوَجَلَّ وعقابه في الآخرة، كأماكن الفسق والفجور، والأماكن التي يجاهر فيها بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ، وأماكن الشبهات، وكذلك الأسواق؛ لأنها مواطن الغفلة والغش والحرص والفتن والطمع والخيانة والأيمان الكاذبة في الأعراض الفانية، وقد تقدم أن ((**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**))(١). قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**أحب البلاد إلى الله مساجدها**))؛ لأنها بيوت الطاعات وأساسها على التقوى. قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**))؛ لأنها محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة وإخلاف الوعد والإعراض عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وغير ذلك مما في معناه، والحب والبغض من الله تعالى: إرادته الخير والشر أو فعله ذلك بمن أسعده أو أشقاه، والمساجد محل نزول الرحمة والأسواق ضدها"(٢).

وفي (المرقاة): "المراد بحب الله عَزَّوَجَلَّ المساجد: إرادة الخير لأهلها وبالبغض خلافه، وهذا بطريق الأغلبية وإلا فقد يقصد المسجد بقصد نحو الغيبة، وقد يدخل السوق لطلب الحلال، ولذا قيل: كن ممن يكون في السوق وقلبه في المسجد لا بالعكس، والجمع بين القلب والقالب في المسجد أكمل"(٣).

وكذلك المجالس التي يخوض الناس فيها بالباطل، ولا يأمن فيها على نفسه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]. وكذلك الأماكن

(١) تقدم.

(٢) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٧١/٥).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥٩١/٢).

التي لا يتسنى للمسلم فيها إقامة الشعائر الإسلامية، وقد تقدم بيان ذلك في (محبة الوطن).

وتعظيم الأماكن الفاضلة هو من تعظيم شعائر الله عَزَّوَجَلَّ، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]. قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "الحرمات جمع حرمة، وهي ما يجب احترامه، وحفظه من الحقوق، والأشخاص، والأزمنة، والأماكن، فتعظيمها توفيتها حقها، وحفظها من الإضاعة"(١).

"وكلما عظمت حرمة الزمان والمكان ازداد تعظيمًا"(٢) ومحبة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦]. قال القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُٱللَّهُ: قيل: "بارتكاب الذنوب فيهن؛ فإن الله إذا عظم شيئًا من جهة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظمه من جهتين أو من جهات صارت حرمته متعددة بعدد جهات التحريم، ويتضاعف العقاب بالعمل السوء فيها، كما ضاعف الثواب بالعمل الصالح فيها؛ فإن من أطاع الله عَزَّوَجَلَّ في الشهر الحرام في البلد الحرام والمسجد الحرام ليس كمن أطاعه في شهر حلال في بلد حلال في بقعة حلال. وكذلك العصيان والعذاب مثله في الموضعين والحالين والصفتين؛ وذلك كله بحكم الله وحكمته. وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب:٣٠]؛ لعظمهن وشرفهن في أحد القولين"(٣).

وقال ابن بطال رَحِمَهُٱللَّهُ: "الحرمة الباقية لمكة على ما كانت في الجاهلية، وهو تعظيم الذنب فيها عند الله عَزَّوَجَلَّ على سائر الأرض. قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم**)) الحديث(٤): فهذا نص من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على المعنى الباقي للحرم، ويؤيد هذا قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لما ذكر تحريم الأربعة الأشهر: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾؛ تعظيمًا للظلم فيهن؛ إذ الظلم في

(١) مدارج السالكين (٢/٧٣).

(٢) المفاضلة في العبادات، سليمان النجران (ص:٦٦١).

(٣) أحكام القرآن، لابن العربي (٢/ ٤٩٩).

(٤) صحيح البخاري [٦٨٨٢]. وقد تقدم.

غيرهن محرم أيضًا، فدل تخصيصهن بالنهى عن الظلم؛ على أنها مزية على غيرها فى إثم الظلم والقتل وغيره"(١).

وقال الله عَزَّوَجَلَّ عن المسجد الحرام: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥]. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنَّ المعصية في مكان فاضل أعظم من المعصية في مكان مفضول؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فتوعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أراد فيه أي من هم فيه بإلحاد فضلًا عمن ألحد"(٢). "وهذا من خصائص الحرم؛ فإنه يعاقب الناوي للشر فيه إذا عزم عليه ولم يفعله. وذهب بعض الصحابة إلى أن السيئات تتضاعف فيه كالحسنات"(٣). قال العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: ومن يهم فيه بمحرم عذب عليه؛ لعظم حرمة المكان"(٤).

"وكان جماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتقون سكنى الحرم؛ خشية ارتكاب الذنوب فيه"(٥).

وعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: "تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات"(٦).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "المعاصي في الأيام المعظمة والأمكنة المعظمة تغلظ معصيتها وعقابها بقدر فضيلة الزمان والمكان"(٧).

ومحبة الأشياء والأماكن الفاضلة؛ لكونها وسيلة للقرب من الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبته للعبد، ولمضاعفة الأجر والثواب فيها كما تقدم(٨)، وهذا ما فقهه الفاروق عمر بن

---

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٨/٥٠٩).

(٢) تفسير جزء عم (ص:٣٢٣).

(٣) فيض القدير (١/٨١).

(٤) المصدر السابق (١/١٨٢)، وانظر: مرعاة المفاتيح (٨/١٠٠).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/٣١٨).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر كما في (الدر المنثور)، للسيوطي (٦/٢٩)، وانظر: تفسير البغوي (٥/ ٣٧٧)، وزاد المسير (٣/٢٣٢)، جامع العلوم والحكم (٢/٣١٨).

(٧) المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/١٨٢).

(٨) وكذلك محبة الأزمنة كما سيأتي بيانه.

الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلمه الناس، ففي الحديث: عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، فقال: ((**إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقبلك ما قبلتك**))[١].

وفي رواية: عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للركن: ((**أما والله، إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **استلمك ما استلمتك**))، فاستلمه ثم قال: ((**فما لنا وللرمل إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله**))، ثم قال: ((**شيء صنعه النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فلا نحب أن نتركه**))[٢].

"والحديث يرشدنا إلى أن الحجر لا مزية له في ذاته فهو كسائر الحجارة، وإنما استلامه أمر تعبدي في معنى استقبال الكعبة، وجعل التوجه إليها توجها إلى الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يحده مكان، ولا تحصره جهة من الجهات، على أنه قد غرز في طبائع البشر: تكريم البيوت والمعاهد، والآثار والمشاهد التي تنسب للأحياء، أو تضاف إلى العظماء:

أمرُّ على الدِّيار ديار ليلى   أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا[٣]

وإنما يكون التعظيم والتكريم للديار، في حال غيبة الساكن والديار؛ لأنَّ النَّفس إذا حرمت من المشاهدة التي تذكي نار الحب، وتهيج الإحساس والشعور بلذة القرب، تحاول أن تذكي تلك النار، بالتعلل بالأطلال والآثار، ولا يقال: لماذا خصص الحجر الأسود بالتقبيل؟ فإنَّ كل مشعر من تلك المشاعر قد خص بمزية تثير شعورًا دينيًا خاصًّا يليق به، فلا يقال: لماذا كان الوقوف والاجتماع، وتعارف أهل الآفاق والأصقاع، مخصوصا بعرفة دون غيرها من البقاع؟"[٤].

---

(١) صحيح البخاري [١٥٩٧].

(٢) صحيح البخاري [١٦٠٥].

(٣) البيتان لقيس بن الملوح (مجنون ليلى) من (الوافر). انظر: خزانة الأدب (٤/٢٢٧-٢٢٨)، زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/٧٦).

(٤) تفسير المنار (١/ ٣٨٤- ٣٨٥).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنما قال ذلك عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -والله أعلم-؛ لأنَّ الناس كانوا حديث عهد بعبادة الأصنام، فخشى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يظن الجهال أنَّ استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله في الجاهلية، فأراد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يعلم أن استلامه لا يقصد به إلَّا تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والوقوف عند أمر نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ إذ ذلك من شعائر الحج التي أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بتعظيمها، وأنَّ استلامه مخالف لفعل أهل الجاهلية في عبادتهم الأصنام؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، فنبه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على مجانبة هذا الاعتقاد، وأنه لا ينبغي أن يعبد إلَّا من يملك الضر والنفع، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ"(١).

وقال الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **((إنما أنت حجر))** يريد أن ينفي عنه ظن من يظن أن تعظيم النبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الحجر وأمته إنما كان على حسب تعظيم الجاهلية الأوثان؛ لاعتقادهم أنها آلهة، وأنها تضر وتنفع، فأراد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يعلم الناس أنَّ تعظيمه للحجر إنما كان لتعظيم النبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ طاعة لله عَزَّ وَجَلَّ، وإفرادًا له بالعبادة على حسب ما أمرنا بتعظيم البيت، وعلى حسب ما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ عبادة لله عَزَّ وَجَلَّ لا على أن آدم معبود بذلك، وأنه يضر وينفع فقال: **((إني لأعلم أنك حجر))** يريد من سائر أجناس الحجارة التي لا تقبل. وفي بعض الروايات أنه قال: **((لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع))**"(٢).

وقال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فيه دليل على استحباب تقبيل الحجر الأسود. وقول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذا الكلام في ابتداء تقبيله؛ ليبين أنه فعل ذلك اتباعًا؛ وليزيل بذلك الوهم الذي كان ترتب في أذهان الناس في أيام الجاهلية، ويحقق عدم الانتفاع بالأحجار من حيث هي هي، كما كانت الجاهلية تعتقد في الأصنام"(٣).

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٢٧٨/٤). فتح الباري، لابن حجر (٤٦٢/٣)، حاشية السندي على سنن النسائي (٢٢٧/٥)، نيل الأوطار، للشوكاني (٤٩/٥)، تحفة الأحوذي (٥٠٧/٣)، منار القاري (٩٥/٣).

(٢) المنتقى شرح الموطأ (٢٨٧/٢).

(٣) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام (٧٠/٢).

وقال الخطابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فيه من العلم أن متابعة السنن واجبة -وإن لم يوقف فيها على علل معلومة وأسباب معقولة-، وأن أعيانها حجة على من بلغته -وإن لم يفقه معانيها-.

ومن المعلوم أن تقبيل الحجر إكرام وإعظام لحقه. وقد فضل الله عَزَّوَجَلَّ بعض الأحجار على بعض، كما فضل بعض البقاع والبلدان، وكما فضل بعض الليالي والأيام والشهور. وباب هذا كله التسليم، وهو أمر سائغ في العقول، جائز فيها غير ممتنع ولا مستنكر"(١).

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في (الفتح): "وفي قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا: التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يفعله -ولو لم يعلم الحكمة فيه-. وفيه: دفع ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر الأسود خاصة ترجع إلى ذاته. وفيه: بيان السنن بالقول والفعل، وأن الإمام إذا خشي على أحد من فعله فساد اعتقاد أن يبادر إلى بيان الأمر، ويوضح ذلك"(٢).

والحاصل أن محبة الأشياء والأماكن الفاضلة؛ لكونها وسيلة للقرب من الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبته للعبد، ولمضاعفة الأجر والثواب فيه، ولاختصاصها بمزايا تفضل غيرها.

وقال الجصاص رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإنما وجه تفضيل الأوقات والأماكن بعضها على بعض؛ لما يكون فيها من الخير الجزيل والنفع الكثير"(٣).

وتتميز بعض الأزمنة وكذلك بعض الأمكنة بعبادات تختص بها(٤). ففي البيت الحرام -مثلًا- من الخصائص الكثيرة التي اختصه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها دون غيره(٥).

---

(١) بتصرف عن (معالم السنن)، للخطابي (١٩١/٢)، وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤٠/٩)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٢٨/٩).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٤٦٣/٣).

(٣) أحكام القرآن، للجصاص (٣٧٣/٥).

(٤) انظر: المفاضلة في العبادات، سليمان النجران (ص:٦٦٦-٦٦٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص:٦٦٦).

كما تتميز بمضاعفة الأجر ورفع الدرجات[1]، كما تعظم فيها الخطايا بقدر فضيلة المكان، كما تتميز بإجابة الدعاء[2] -كما تقدم-.

(١) انظر: المصدر السابق (ص:٦٦٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص:٦٧٣).

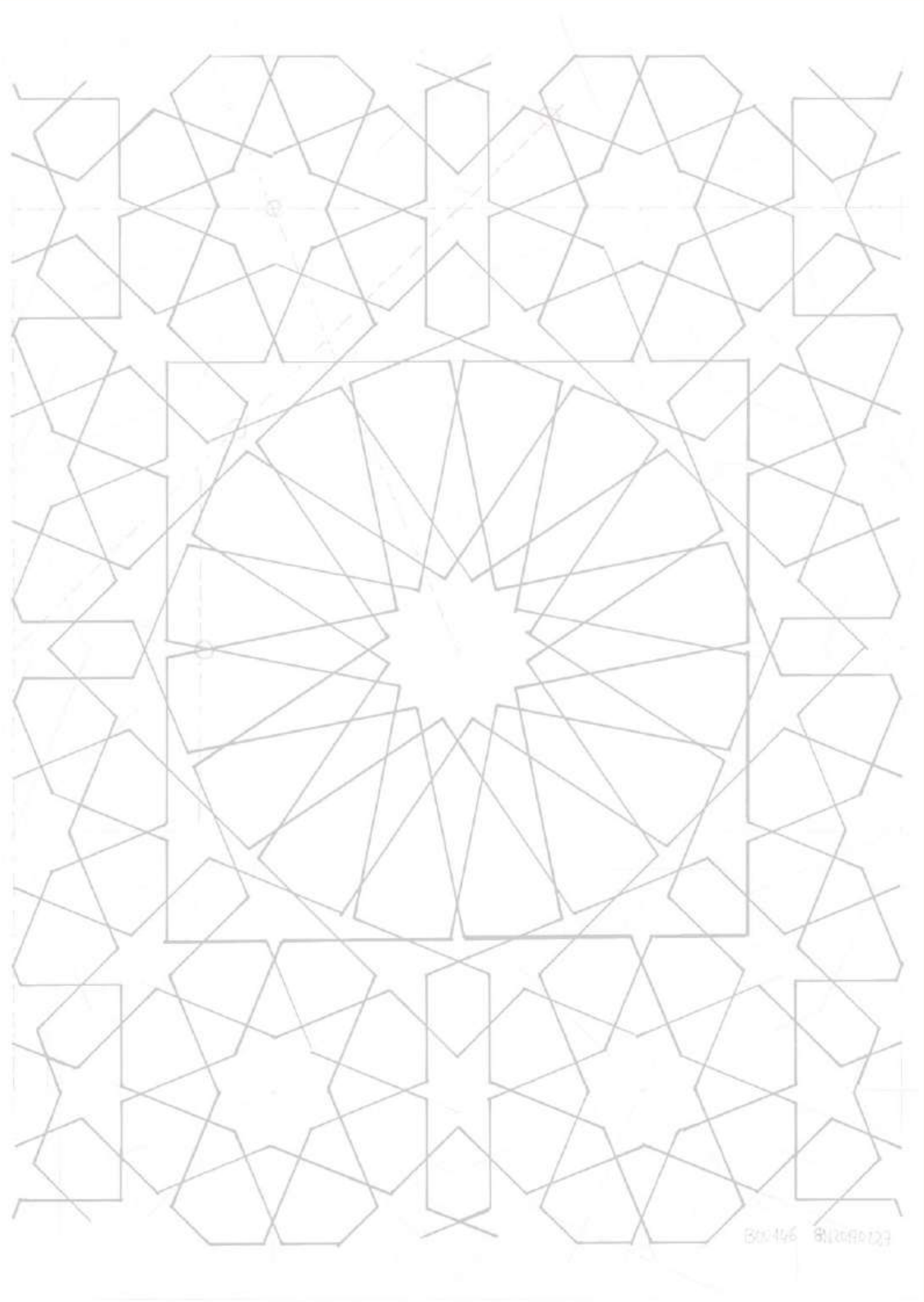

المبحث الحادي والعشرون

محبة الأزمنة الفاضلة

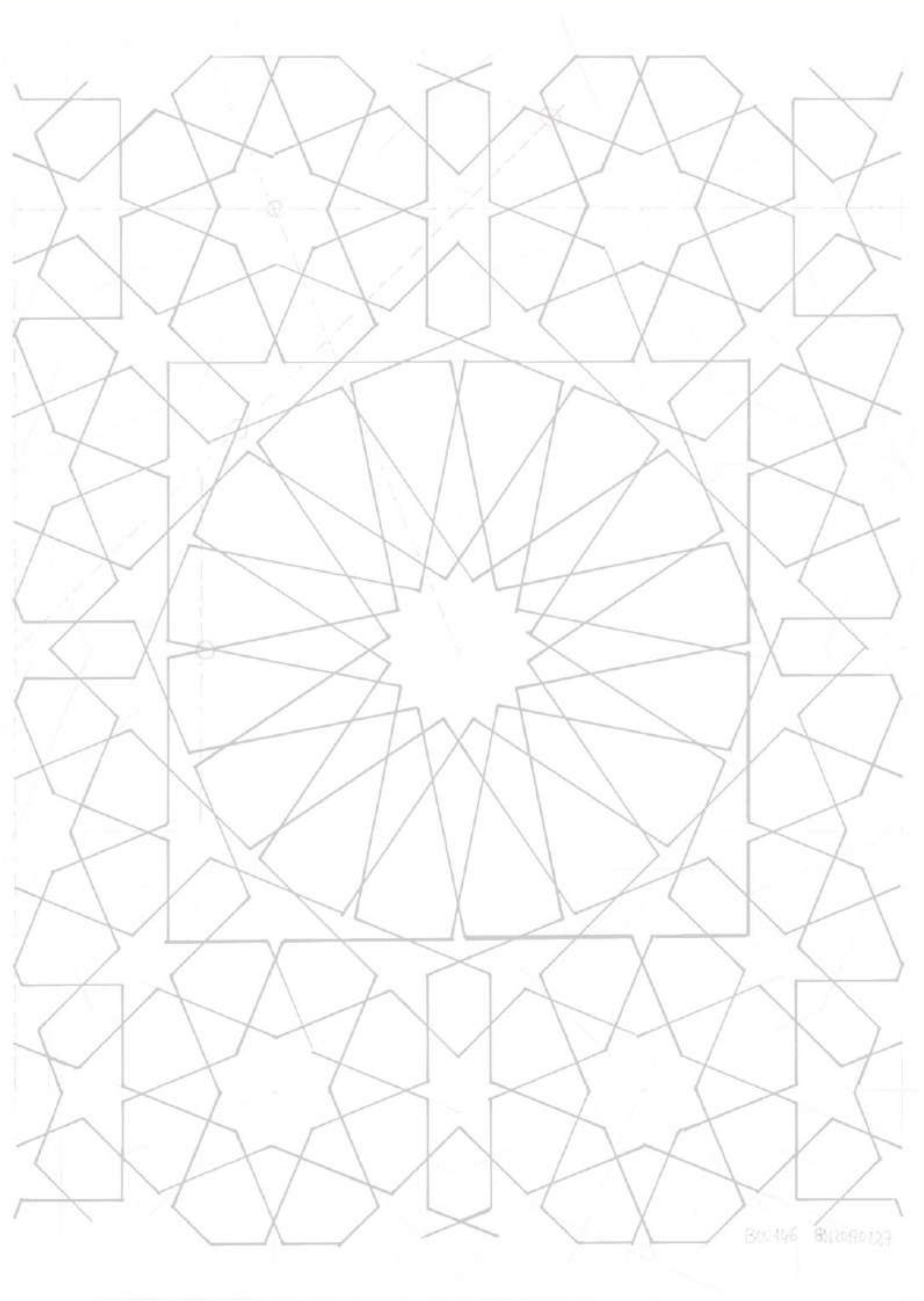

لقد اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعض الأزمنة وشرفها بمزايا وفضائل دائمة مستمرة غير منقطعة، وخصَّها بقرب تؤدى فيها، وضاعف لعباده الأجر فيها، وحثهم على التعبد له فيها، كشهر رمضان، والعشر الأواخر منه، وليلة القدر، والعشر الأُول من ذي الحجة، ويوم النحر، ويوم عرفة، وأيام التشريق، ويوم الجمعة، والأشهر الحرم –ولا سيما شهر الله المحرم–، ويوم عاشوراء، وشهر شعبان. ووقت الأسحار، والثلث الأخير من الليل، والأيام البيض، وفي وقت الصلاة والصيام.

ومن الأوقات التي يُرجى فيها قبولُ الدعاء، وهي من الأزمنة الفاضلة: ما بين الأذان والإقامة، والدعاء عند النداء للصلاة، وفي جوف الليل الآخر، ودُبر الصلوات المكتوبات، وفي رمضان عند فطر الصائم، والساعة التي في يوم الجمعة، والدعاء في الصلاة والسجود، وفي الصيام، والسفر، ودعاء الغازي في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، والحاج والمعتمر، وفي يوم عرفة.

وقد فاضَل الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين الأزمنة كما فاضَلَ بين الأمكنة، وكما فاضَلَ بين الخلائق. فمن الأزمنة الفاضلة من أيام الأسبوع: يوم الجمعة، ومن أيام السنة: يوم عرفة، ومن ليالي السنة: ليلة القدر، ومن شهور السنة: شهر رمضان.

وقد نصَّ العلماء على أن الأعمال الصالحة يتضاعف ثوابها؛ لشرف الزمان، أو شرف المكان، أو بهما معًا، وكذا المعصية يتضاعف وزرها في الأماكن المفضلة، كمكة –شرفها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–، وفي الأزمنة المفضلة، كرمضان وغيره.

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا أحبَّ عبدًا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال، وإذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيء الأعمال؛ ليكون ذلك أوجع في عقابه، وأشد لمقته؛ لحرمانه بركة الوقت، وانتهاكه حرمة الوقت"(١).

---

(١) إحياء علوم الدين (١/١٨٨).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "العمل المفضول في الوقت الفاضل يلتحق بالعمل الفاضل في غيره ويزيد عليه لمضاعفة ثوابه وأجره"(١).

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الآداب الشرعية): "زيادة الوزر كزيادة الأجر في الأزمنة والأمكنة المعظمة"(٢). قال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "المعاصي في الأيام المعظمة والأمكنة المعظمة تغلظ معصيتها وعقابها بقدر فضيلة الزمان والمكان"(٣).

ولذلك قال بعض الفقهاء في الإعلان عن النكاح -مثلًا-: يراعى فيه المكان والزمان الفاضل. قال ابن الهمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يستحب مباشرة عقد النكاح في المسجد؛ لكونه عبادة وكونه في يوم الجمعة"(٤).

وقد ذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أنه يندب عقد النكاح يوم الجمعة. قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ويستحب عقد النكاح يوم الجمعة؛ لأن جماعة من السلف استحبوا ذلك؛ منهم ضمرة بن حبيب، وراشد بن سعد، وحبيب بن عتبة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ ولأنه يوم شريف، ويوم عيد، فيه خلق الله عَزَّوَجَلَّ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ"(٥).

والبركة في النكاح مطلوبة، فاستحب له أشرف الأيام طلبًا للبركة"(٦)..والله أعلم.

فالمسلم إنما يحب الأزمنة الفاضلة؛ لأنها مواسم للخير، يسارع الموفقون من عباد الله عَزَّوَجَلَّ إلى اغتنام لحظاتها ودقائقها، ويتعرضون لنفحات الله عَزَّوَجَلَّ، ويتلذذون بالطاعات والمناجاة والقرب من الله عَزَّوَجَلَّ. فلا شكَّ أنهم يحبون تلك المواسم،

---

(١) لطائف المعارف (ص:٢٦١).

(٢) الآداب الشرعية (٣/٤٣٠).

(٣) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٣/٤١٢).

(٤) مرقاة المفاتيح (٥/٢٠٧٢)، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي (٢/٩٥)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم المصري (٣/٨٦)، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠/٧٤).

(٥) المغني، لابن قدامة، الشرح الكبير على متن المقنع (٧/٣٦٧)، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠/٧٥). والحديث في (صحيح مسلم) [٨٥٤]، ونصه: ((خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة)).

(٦) دقائق أولي النهى، لمنصور بن يونس البهوتي (٢/٦٣٠)، كشاف القناع (٥/٢٠)، كشف المخدرات (٢/٥٨١)، مطالب أولي النهى (٥/٢٦).

وينتظرونها، ويعدون العدة لها كحال تجار الدنيا الذين ينتظرون المواسم؛ لعظيم الرواج فيها، فإذا جاءت تلك المواسم شمَّروا عن ساعد الجد، وقد تحملهم شدة الحرص على التضحية براحتهم، ويتعرضون للمخاوف والأخطار غير مبالين بما ينالهم من شدة وعناء، بل يستسهلون في سبيل الربح جميع الصعاب..هذا حال تجار الدنيا الذين يطلبون ربحًا غير مضمون، فقد يكون وقد لا يكون، فكيف إذا كان موسم التجارة موسمًا لا خسارة فيه ولا غش ولا كساد؟ بل هي تجارة مأمونة رائجة رابحة لن تبور..هل سمعتم أن المشتري يعطي التاجر أكثر من الثمن؟ لكن الله تعالى الغني الكريم يأخذ عمل العبد، ويعطيه على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والله عَزَّوَجَلَّ يضاعف لمن يشاء، فكما أن للدنيا تجارًا منهمكين في تجارتها كذلك فإن للآخرة تجارًا صادقين، أوفياء مخلصين. ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور:٣٧-٣٨].

ويكون حال الصالحين بعد تلك المواسم أفضل من حالهم قبلها؛ وذلك لما تتركه من الأثر في نفوسهم، فهي بمثابة دورة تدريبية فعالة، تحمل الإنسان على ترك الماديات والشهوات، وترتقي به إلى أفق أسمى من المحبة والقرب من المحبوب..وإن كان لتلك المواسم تميزها عن سائر الأيام الأخرى من حيث الاجتهاد في اغتنام أوقاتها، والتشوق لقدومها. وفي الحديث: ((**كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود بالخير من الريح المرسلة**))[1].

(١) صحيح البخاري [٦، ١٩٠٢، ٣٢٢٠، ٣٥٥٤، ٤٩٩٧]، مسلم [٢٣٠٨].

وقد نبَّه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغافلينَ عن اغتنام الأزمنة الفاضلة، فحثَّهم على اغتنامها فقال عن (شهر شعبان) -مثلًا-: ((**ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى ربِّ العالمين**))(١).

وقال عن العشر الأول من ذي الحجة: ((**ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟**))، قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ((**ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء**))(٢).

وعند الترمذي بلفظ: ((**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**))، فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**))(٣).

ومن أيام العشر: يوم النحر، هذا اليوم العظيم من أيام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى: يوم النحر، ثم يوم القرِّ**))(٤). و(يوم القر): هو اليوم الذي يلي يوم النحر، سمي بذلك؛ لأن الناس يقرون فيه بمنى، وقد فرغوا من طواف الإفاضة والنحر فاستراحوا، وقروا.

ومن الأيام الفاضلة: يوما الاثنين والخميس، جاء في الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٩٧٦٥]، وأحمد [٢١٧٥٣]، والبزار [٢٦١٧]، والنسائي [٢٣٥٧]، وأبو نعيم في (الحلية) (٩/١٨)، والضياء [١٣١٩] وقال: "إسناده حسن". قال الحافظ فى (الفتح) (٤/٢١٥): "صححه بن خزيمة عن أسامة بن زيد".

(٢) صحيح البخاري [٩٦٩].

(٣) سنن الترمذي [٧٥٧]، وقال: "حسن صحيح غريب".

(٤) أخرجه أحمد [١٩٠٧٥]، وأبو داود [١٧٦٥]، وابن أبي عاصم [٢٤٠٧]، والنسائي في (الكبرى) [٤٠٨٣]، وابن خزيمة [٢٨٦٦]، وابن حبان [٢٨١١]، والحاكم [٢٨٦٦]، وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي.

شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا))(١).

وفي رواية: ((**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**))(٢).

والشهور عند الله عَزَّوَجَلَّ اثنا عشر شهرًا اختص منها أربعةً؛ فجعلهن حرمًا، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أكرم. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]، وقد بين رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذه الأشهر، ففي الصحيحين: عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خطب في حجة الوداع، فقال في خطبته: ((**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان**))(٣).

وقد ختم الله عَزَّوَجَلَّ الآية السابقة بقوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، فالظلم محرَّم في كل وقت، ولكنه في الأشهر الحرم أعظم من الظلم فيما سواها، وتعظيم ما عظم الله عَزَّوَجَلَّ من صفات المؤمنين السالكين طريق النجاة.

وفي المقابل فإن اجتراح السيئات، ومقارفة الآثام من ظلم النفس، وهو في الشهر الحرام أشد سوءًا، وأعظم شؤمًا، وأفدح ظلمًا؛ لأنه يجمع بين الذنب وبين امتهان حرمة

---

(١) صحيح مسلم [٢٥٦٥].

(٢) أخرجه الترمذي [٧٤٧]، وقال: "حديث أبي هريرة في هذا الباب حديث حسن غريب". قال ابن الملقن رَحِمَهُٱللَّهُ: "هذا الحديث صحيح" البدر المنير (٧٥٥/٥). قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ (٤٦٧/٢): "حديث: ((تعرض الأعمال على الله يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم)) الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة. وأبو داود والنسائي من حديث أسامة بن زيد. قال قلت: يا رسول الله إنك تصوم حتى تكاد لا تفطر، وتفطر حتى تكاد لا تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتهما، قال: أي يومين؟ قلت: يوم الاثنين والخميس، قال: ((ذانك يومان تعرض الأعمال فيهما على رب العالمين فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم)) ورواية النسائي أتم، ورواه أحمد به وأتم منه"اهـ.

(٣) صحيح البخاري [٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٤٤٧]، مسلم [١٦٧٩].

ما حرم الله ﷻ وعظمه؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾ [البقرة:٢١٧]، وهذا فيمن ابتدأ القتال، أما من اعتدي عليه، فإنه يدافع عن نفسه؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:١٩١]، كما أن أجر العمل الصالح في الشهر الحرام أعظم.

لقد جعل الله فاتحة العام شهرًا مباركًا نجى الله عَزَّوَجَلَّ فيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه من فرعون وقومه، فشرع فيه الطاعة والعبادة والصوم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أفضل الصيام، بعد رمضان، شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة، بعد الفريضة، صلاة الليل**))[1].

ومن عظيم فضل الله عَزَّوَجَلَّ أن جعل آخر شهر في العام شهر عبادة وطاعة، وأول شهر في العام شهر عبادة وطاعة ليفتتح المرء عامه بإقبال ويختتمه بإقبال، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "فمن صام شهر ذي الحجة سوى الأيام المحرم صيامها منه وصام المحرم فقد ختم السنة بالطاعة وافتتحها بالطاعة، فيرجى أن تكتب له سنته كلها طاعة، فإن من كان أول عمله طاعة وآخره طاعة فهو في حكم من استغرق بالطاعة ما بين العملين"[2].

وقد سمى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الشهر: شهر الله المحرم، فاختصه بإضافته إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وإضافته إلى الله عَزَّوَجَلَّ تدل على شرفه وفضله، ولما كان هذا الشهر مختصاً بإضافته إلى الله وكان الصيام من بين الأعمال مختصًا بإضافته إلى الله عَزَّوَجَلَّ[3] ناسب أن يختص هذا الشهر المضاف إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالعمل المضاف إليه المختص به وهو الصيام.

وقد قيل في معنى إضافة هذا الشهر إلى الله عَزَّوَجَلَّ: إنه إشارة إلى أن تحريمه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ليس لأحد تبديله كما كانت الجاهلية يحلونه، ويحرمون مكانه صفرًا. فقد

---

(١) صحيح مسلم [١١٦٣].

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص:٣٥).

(٣) جاء في الحديث: ((كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به..)) صحيح البخاري [١٩٠٤، ٥٩٢٧]، مسلم [١١٥١].

تلاعب أهل الجاهلية بالأشهر الحرم زيادةً ونقصانًا، تقديمًا وتأخيرًا، وهو الذي سماه الله عَزَّوَجَلَّ: النسيء، فقال: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة:٣٧].

ومن فضائل شهر الله المحرم: أنه يستحب الإكثار فيه من صيام النافلة؛ ففي الحديث عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**أفضل الصيام، بعد رمضان، شهر الله المحرم**))(١).

ويتأكد صيام يوم عاشوراء وهو العاشر من محرمٍ؛ لأنه يومٌ معظمٌ، فقد حث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على صيامه؛ لنيل ثوابه واغتنامه، فعن أبي قتادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: ((**أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**))(٢).

ويسن صيام التاسع معه؛ فعن عبد الله بن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**لئن بقيت إلى قابلٍ لأصومن التاسع**))(٣).

وأصح ما قيل في سبب صوم تاسوعاء مع عاشوراء: هو مخالفة اليهود في اقتصارهم على صوم العاشر. قال الإمام النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: "قال بعض العلماء: ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر: أن لا يتشبه باليهود في إفراد العاشر. وفي الحديث إشارةٌ إلى هذا. وقيل: للاحتياط في تحصيل عاشوراء، والأول أولى –والله أعلم–"(٤).

ولم يكن صوم يوم عاشوراء بدعًا من الأعمال، ولا افتراءً من الأقوال، بل صامه نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وحث أمته على صيامه، وصامه موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وقومه من قبل، وكانت العرب تصومه في الجاهلية، فله منزلةٌ عظيمةٌ وحرمةٌ قديمةٌ، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: كانت قريشٌ تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يصومه،

---

(١) صحيح مسلم [١١٦٣]، وقد تقدم.

(٢) صحيح مسلم [١١٦٢].

(٣) صحيح مسلم [١١٣٤].

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/٨).

فلما هاجر إلى المدينة، صامه وأمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال: ((**من شاء صامه، ومن شاء تركه**))(١).

والحكمة من صيامه: أنه اليوم الذي نجى الله فيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه من فرعون وجنوده، فصامه موسى شكرًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ روى ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدم المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يومٌ عظيمٌ أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا فنحن نصومه. فقال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأمر بصيامه**))(٢).

والحاصل أن الأزمنة يفضل بعضها على بعض. فيرى ابن تيمية وابن القيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ أن الليالي العشر الأخيرة من رمضان -مثلًا- هي أفضل ليالي العام كله؛ لما خصت به من المزايا والفضائل العظيمة، ففيها ليلة القدر. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وإذا تأمل الفاضل اللبيب هذا الجواب. وجده شافيًا كافيًا؛ فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة، وفيها: يوم عرفة ويوم النحر ويوم التروية. وأما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحييها كلها، وفيها ليلة خير من ألف شهر. فمن أجاب بغير هذا التفصيل لم يمكنه أن يدلي بحجة صحيحة"(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "ليالي العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة، وأيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام عشر رمضان، وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويدل عليه أن ليالي العشر من رمضان إنما فضلت باعتبار ليلة القدر، وهي

---

(١) أخرجه البخاري [٢٠٠٢]، مسلم [١١٢٥].

(٢) أخرجه البخاري [٢٠٠٤]، مسلم [١١٣٠].

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨٧/٢٥)، بدائع الفوائد (١٦٢/٣).

من الليالي، وعشر ذي الحجة إنما فضل باعتبار أيامه؛ إذ فيه يوم النحر ويوم عرفة ويوم التروية"(١).

وفي المقابل يرى آخرون أن ليالي العشر الأول من ذي الحجة أفضل؛ لعموم النصوص التي فضلت العشر الأول من ذي الحجة، وأن تفضيلها ليس قاصرًا على النهار، بل لياليها مثل نهارها في الفضل، وإنما تستثنى من ذلك: ليلة القدر. قال العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفيه فضل بعض الأزمنة على بعض"(٢). ومحبة الأزمنة؛ لكونها وسيلة للقرب من الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبته للعبد، بسبب مضاعفة الأجر فيها. قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديثه عن (ليلة القدر): "وتفضيلها بالخير على ألف شهر إنما هو بتضعيف فضل ما يحصل فيها من الأعمال الصالحة، واستجابة الدعاء، ووفرة ثواب الصدقات، والبركة للأمة فيها؛ لأن تفاضل الأيام لا يكون بمقادير أزمنتها، ولا بما يحدث فيها من حر أو برد، أو مطر، ولا بطولها أو بقصرها؛ فإن تلك الأحوال غير معتد بها عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يعبأ بما يحصل من الصلاح للناس أفرادًا وجماعات، وما يعين على الحق والخير ونشر الدين. وقد قال في فضل الناس: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣]، فكذلك فضل الأزمان إنما يقاس بما يحصل فيها؛ لأنها ظروف للأعمال، وليست لها صفات ذاتية يمكن أن تتفاضل بها كتفاضل الناس ففضلها بما أعده الله لها من التفضيل"(٣).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الأيام العشر من ذي الحجة: "والذي يظهر أنَّ السبب في امتياز عشر ذي الحجة؛ لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره"(٤).

"فينبغي أن تُخصَّص الأيامُ والأوقات التي فضَّلَها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمزيد من الاهتمام والاجتهاد. ولكن مع الأسف فإنَّ الكثيرين تمرُّ عليهم أعمارُهم، وتمرُّ عليه

(١) زاد المعاد (١/٥٧). و
(٢) فيض القدير (٢/٥١).
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/٤٥٩).
(٤) فتح الباري (٢/٤٦٠).

الأيامُ الفاضلة، والأوقاتُ الشريفة، ولا يستفيدونَ منها، وتذهبُ عليهم سدىً، وقد لا يكفي أنهم لا يستفيدونَ منها، بل يستغلونها في الحرام والمعاصي والسيئات، خصوصًا في هذا الزمان الذي فشتْ فيه الشواغلُ والملهياتُ، فالمسلمُ يتنبه لنفسه، ويتنبه لأوقات الفضائل، والغافل يقول: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر:٥٦]، ويواجه ما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أصحابِ النار، إذا القوا فيها، قالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧]، فمن ضيَّع وقته وحياته فهذا مصيره، ولا حول وقوة إلا بالله"(١).

ومن الأزمنة الفاضلة التي يحبها المسلم: قرن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لحديث: ((**بعثت من خير قرون بني آدم، قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه**))(٢). و((**القرون**)) جمع: قرن وهو الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد. وقيل: هو مائة سنة، وقيل غير ذلك. و((**قرنا فقرنا**)) أي: نقيت من القرون، وأفضلها حال كونها قرنا بعد قرن.

وفي الحديث: ((**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**))(٣)، وقد اتفق العلماء على أن خير القرون قرن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واختلفوا في المراد بالقرن، والصحيح أن المراد من قرنه: أصحابه ، والثاني: التابعون، والثالث: تابعوهم.

---

(١) بتصرف عن مقالة للشيخ صالح الفوزان في (فضل العشر من ذي الحجة).

(٢) صحيح البخاري [٣٥٥٧].

(٣) صحيح البخاري [٢٦٥١، ٢٦٥٢، ٣٦٥٠، ٣٦٥١، ٦٤٢٨، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨، ٦٦٩٥]، مسلم [٢٥٣٣، ٢٥٣٤، ٢٥٣٥].

المبحث الثاني والعشرون

محبة الجَنَّة

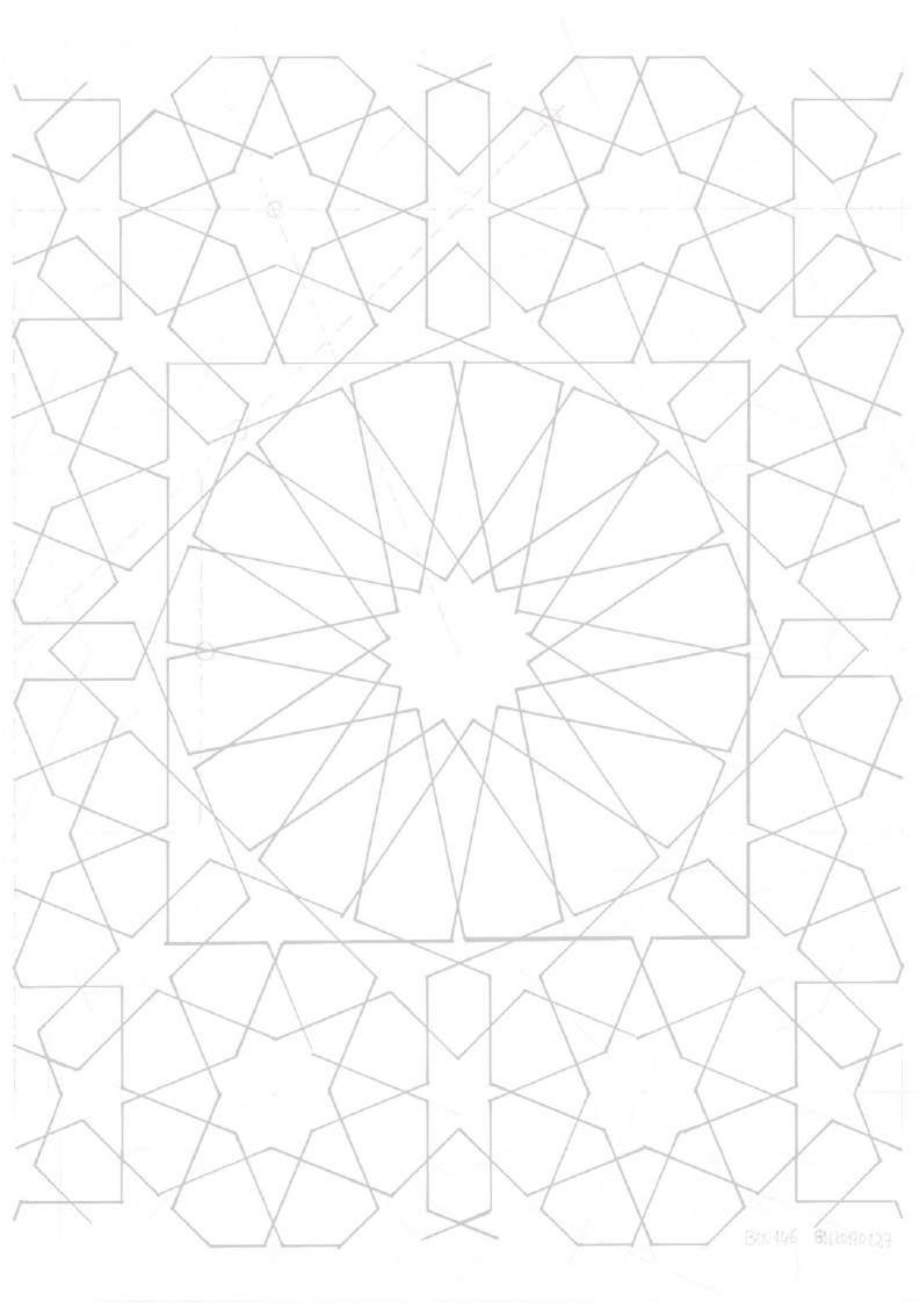

إن السعادة والنعيم مطلب وغاية لكل إنسان، فالكل يسعى ويحب من متاع الدنيا أن يكون له مسكن واسع، ومركب هنيء، ومال وافر، وطعام شهي، وملابس فاخرة، وزوجة حسناء جميلة.

وقد تقدم ذكر جملة من الشهوات والملذات التي يستمتع بها الناس في حياتهم الدنيا..فهذا هو النعيم الدنيوي العاجل، وقد تعلَّقت به قلوب كثيرين إلى أن صار غاية عندهم، فأفنوا في سبيله أنفسهم، وضيَّعوا حقوقًا وواجبات. يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨]، ويقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٣٥].

فهذا نعيم الدنيا الذي يُرى ويُحسُّ ولكنَّه لا يدوم، وما عند الله عَزَّوَجَلَّ أعظمُ وأبقى. ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧].

قال الشاعر:

أشد الغـم عندي في سرور ... تيـقن عنه صاحبه انتقـالا[(١)]

يعني أن السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه هو أشدُّ الغمِّ؛ لأنه يراعي وقت زواله، ولا يطيب له ذلك السرور، وهذا من أبلغ الكلام وأوعظه.

وإنما يُعْنى العاقل بسرور لا ينقطع، فيعمل في الدنيا صالحًا؛ ليحيا حياة طيبة، ثم يوفى الأجر والثواب في الآخرة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

إنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى خَلَقَ الجنَّة وأعدَّها لعباده المتقين، وخصَّهم فيها بمزيدٍ من الإحسان، فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس:٢٦].

وجعلَ لعبادِه أسبابًا للفوز برضوانه ورحمته، ودخولِ جنَّته، وليغنموا جوارَ أرحم الراحمين، وليسعدوا بالنَّظر إلى وجهه الكريم، وذلك من رحمته سبحانه وفضله ومنِّه وكرمِه.

---

(١) ديوان المتنبي (ص:١٤٠).

فمحبَّةُ الجنَّة؛ لكونها غايةً للسَّعادة الكاملة، والنَّعيم الدَّائم، ومحبَّتُها كذلك؛ لكونها دارٌ يلتقي فيها المحبون لقاءً دائمًا لا فراق بعده، ويتحقَّقُ المقصودُ فيها من جوارِ أكرم الأكرمين، وأرحمِ الراحمين، وأعظمِ محبوب، ويغنمُ الصالحونَ بالنَّظر إلى وجهه الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والفوز بغاية الغايات، وأرفع المقامات.

و"لا شكَّ أن سعادة المؤمنين لا تعادلها سعادة عندما يساقون معززين مكرَّمين زمرًا إلى جنَّات النَّعيم، حتى إذا ما وصلوا إليها فتحت أبوابها، واستقبلتهم الملائكة الكرام يهنِّئونهم بسلامة الوصول، بعدما عانوه من الكربات، وشاهدوه من الأهوال. ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]، أي: طابت أعمالكم وأقوالكم وعقائدكم، فأصبحت نفوسكم زاكية، وقلوبكم طاهرة؛ فبذلك استحققتم الجنات"[(١)].

و"نعيم الجنَّة يفوق الوصف، ويقصر دونه الخيال، ليس لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا، ومهما ترقى الناس في دنياهم، فسيبقى ما يبلغونه أمرًا هينًا بالنسبة لنعيم الآخرة.

وقد سأل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بناء الجنة، فأسمعنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإجابة وصفًا عجبًا، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صفة بنائها"[(٢)]: ((**لَبِنَةٌ من ذهب، ولَبِنَةٌ من فضة، ومِلَاطُهَا المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران من يدخلها يَنْعَمُ لا يَبْؤُس، ويَخْلُدُ لا يَمُوت، لا تَبْلَى ثِيَابُهُ، ولا يَفْنَى شَبَابُه**))[(٣)].

---

(١) الجنة والنار، عمر بن سليمان الأشقر (ص:١١٩).

(٢) المصدر السابق (ص:١٤٧).

(٣) الحديث مروي عن أبي هريرة وعن ابن عمر وعن أبي سعيد بألفاظ متقاربة. حديث أبي هريرة: أخرجه ابن المبارك في (الزهد) [١٠٧٥]، والطيالسي [٢٧٠٦]، وأحمد [٩٧٤٤]، والدارمي [٢٨٦٣]، وابن حبان [٧٣٨٧]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٦٦٩٩]، حديث ابن عمر: أخرجه الطبراني في (الكبير) [١٣٩٩٢]، قال الهيثمي (٣٩٧/١٠): "رواه الطبراني بإسناد حَسَّنَ الترمذي لرجاله. حديث أبي=

قال الحافظ أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الحمد لله.. الذي رَغَّبَنا في كرامته وجَنَّته بعد أن حَلَّاهَا لنا ورَغَّبَنَا فيها، فهو السَّلام، وداره دار السَّلام، والسَّلام على من سارعَ إلى طاعته، وسابقَ إلى مرضاتِه؛ ليحظى بدخول داره التي يُؤْمَنُ فيها من الآفات، وَيُسْلَمُ فيها من العَاهَات، التي من دخلها أَمِنَ من البوار، وسَلِمَ من الدَّمار، وحَظِيَ بجوار المنعم الجبَّار.

وفي كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحثُّ على المسابقة إلى جنَّته العريضة، وساحته الفسيحة، التي خلقها عُدَّةً لمن وَحَّده، وألْقَى الشِّرْكَ وعَبَدَه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]"(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكيف يقدر قدر دار غرسها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيده، وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهَّرها من كل عيب وآفة ونقص.

فإن سألت عن أرضها وتربتها، فهي المسك والزعفران.

وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن.

وإن سألت عن بلاطها، فهو المسك الأذفر.

=سعيد: عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك)). وفي رواية: ((وحائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك وقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة: طوباك منزل الملوك)). قال الهيثمي (٣٩٧/١٠): "رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا، والطبراني في (الأوسط)، إلا أنه قال: عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((إن الله خلق جنة عدن بيده، لبنة من ذهب، ولبنة من فضة))، والباقي بنحوه، ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف".

(١) بتصرف عن (صفة الجنة) (ص:٢٩- ٣٠).

وإن سألت عن حصبائها، فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن بنائها، فلبنة من فضة، ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها، فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب.

وإن سألت عن ثمرها، فأمثال القلال، ألين من الزبد، وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها، فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها، فأنهار ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد:١٥].

وإن سألت عن طعامهم، ففاكهة ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة:٢٠- ٢١].

وإن سألت عن شرابهم، فالتسنيم، والزنجبيل والكافور.

وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام.

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها.

وإن سألت عن ظلها، ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن سعتها، فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألف عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة، طولها ستون ميلًا من تلك الخيام.

وان سألت عن علاليها وجواسقها[1] فهي ﴿غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الزمر:٢٠].

---

(١) (الجوسق): القصر.

وإن سألت عن ارتفاعها، فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها، فهو الحرير والذهب.

وإن سألت عن فرشهم فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم، فعلى صورة القمر.

وإن سألت عن أسنانهم، فأبناء ثلاث وثلاثين، على صورة آدم عليه السلام أبي البشر.

وإن سألت عن أسماعهم، فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلى منهما خطاب رب العالمين"(١).

وينبغي أن يعلم أنه لا يقاس شيء من أحوال الآخرة على الدنيا. ولكن ذكر لمحات عن الجنة وصفتها يدلل على النعيم المرجو، وما أعدَّه الله عَزَّوَجَلَّ لعباده الصالحين، وأنه لا يقاس على نعيم الدنيا، فيبلغ المنعمون في الجنة غاية النعيم الذي لا ينقطع، وكمال السعادة. فلا يصلح القياس على نعيم الدنيا لا من حيث تركيب البدن، حيث يختلف عن الدنيا بما يتلاءم مع المنعم به، ولا من حيث ذات النَّعيم. وهذا معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: ((**أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ذخرًا بَلْهَ ما أُطْلِعْتُمْ عليه، ثم قرأ:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧](٢).

فما يخطر ببالك فإن الأمر في ذاته وحقيقته خلاف ذلك، وأرفع منه. أما ما في الدنيا من لمحاتِ نعيمٍ آنيٍّ فهو يُقرِّب ذلك؛ ليكون متقبلًا من حيث الإمكان، وإن اختلف في حقيقته عما في الدنيا.

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص:٢٨٠– ٥٧٨)، بتصرف يسير.

(٢) صحيح البخاري [٤٧٨٠]، مسلم [٢٨٢٤]. ((بله ما أطلعتم عليه)) أي: دعوا ما أطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها؛ فإنه سهل يسير في جانب ما ادَّخرته لكم.

والإنسانُ في الدنيا من حيث الخلق مركَّبٌ من كثيرٍ من الصِّفات التي هي على طرفي نقيضٍ بين الخير والشَّر، تتجاذبُهُ نوازعُ الخير ونوازعُ الشَّر، والعقيدةُ تُوجِّه الإنسانَ إلى الميول الخيرة، والشيطان يزِّينُ له الشَّهوات، ويغريه بنعيمٍ آنيٍّ سرعان ما ينقضي، وتبقى آثاره، فمن يتبعُ خطوات الشيطان فليس له من الملذات إلَّا ما حصل له في الدنيا على قلَّته وتكديره بالمنغصات، ثم يجني بعد ذلك جزاء ما قدمت يداه. أما في الجنة فيختلف الحال من حيث الخلق بما يتلاءم مع سعادة باقية لا تشوبها نوازع الشر، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف:٤٣]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر:٤٥- ٤٨].

وفي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**أول زمرة تَلِجُ الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يَبْصُقُونَ فيها، ولا يَمْتَخِطُون، ولا يَتَغَوَّطُون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّة، وَرَشْحُهُمُ المِسْك، ولكل واحد منهم زوجتان، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبِّحون الله بكرة وعشيًا**))[1].

وقد وعد الله عَزَّوَجَلَّ عباده المتقين بسعادة كاملة، وتتحقق هذه السعادة لكلٍّ من الذكر والأنثى بالتساوي. أما الكيفية فيقصر في ذلك على ما ورد في النص، ويبقى في علم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ما طوي ذكره، ولا شك أن ذلك من الغيب. فهناك ما هو مسكوت عنه، ولا سيما بالنسبة للأنثى؛ لأنها مكرَّمة في الخطاب بما يتلاءم مع حالها

---

(١) صحيح البخاري [٣٢٤٥]، ونحوه في (مسلم) [٢٨٣٤]. ((مجامرهم)): جمع مجمرة، وهي المبخرة سميت بذلك؛ لأنها يوضع فيها الجمر؛ ليفوح به ما يوضع فيها من البخور. ((الألوة)): العود الهندي الذي يتبخر به. ((رشحهم)): عرقهم كالمسك في طيب رائحته. ((مخ سوقها)) ما داخل العظم من الساق. ((قلب واحد)) أي: كقلب رجل واحد. ولا تكليف في الجنة، ولكن أهلها يلهمون التسبيح والذكر.

من العفَّة والحياء والستر. فمهما تكلم المتكلمون فقد جانبوا الصواب؛ لأن الأمر غيبي، وتبقى الغاية، وهي كمال السعادة والنعيم متحققة بوعد من الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فما ذكر وراء ذلك فإنما هو تسور على الغيب، وحكم على أمر لم تتضح معالمه، وخفي منه ما خفي. وقد اختصر الحديث القدسي السابق ذلك: ((**أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**)).

والقرآن إنما يعنى بالمقاصد الشريفة والغايات النبيلة، ونحن بالنسبة للغيبيات إنما نقرأ النقل بالعقل لكن ضمن ضوابط فهم النصوص من حيث عدم الخروج عن حدود اللغة أو التفسير فما دامت المقاصد متحققة فكفى.

أما الخوض فيما وراء ذلك فلا يثمر؛ لأنا لم نحط علمًا بمقومات السعادة في الآخرة، فما هو مطويٌّ أعظم في حقيقته مما لوَّحتْ به النُّصوص من الوصف، والنصوص تقرب ذلك وفي الوقت نفسه تذكر أنه فوق كل تصور.

فلا شك أن ما هو معدٌّ للمرأة -مثلًا- أعظم وأسمى مما يتصور، وهو يحقق لها من السعادة ما تصبو إليه كاملًا غير منقوص بما يتلاءم مع حالها. هذه الغاية التي تطلب بالنسبة للذكر والأنثى.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:٣٢]. "هذا خبر مؤكد بلام القسم، يفيد بمقابلته أن نعيم الآخرة ليس كنعيم الدنيا لعبًا ولهوًا يعبث به العابثون، أو يتشاغلون ويتسلون به عن الأكدار والهموم، بل هو مما يقصده العاقل لفوائده ومنافعه الثابتة الدائمة"(١).

وفي (الصحيحين): عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب،**

---

(١) تفسير المنار (٧/٣٠٤).

وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أَسْخطُ عليكم بعده أبدًا))[1].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢].

فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢]. "دون ما يعده الناس فوزًا من حظوظ الدنيا؛ فإنها مع قطع النظر عن فنائها وتغيُّرها وتنغُّصِها وتكدُّرِها ليست بالنسبة إلى أدنى شيءٍ من نعيم الآخرة بمثابة جناحِ البعوض[2]. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((لو كانتِ الدُّنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سَقَى الكافرَ منها شربة ماء))**[3].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ في بيان حال كثيرٍ من النَّاس الذين يقدِّمونَ الحياةَ الدُّنيا على الآخرة، ويؤثرونَ متاعها العاجل على ما فيه نفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٦-١٧]، "أي: ثواب الله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريبًا، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟!"[4].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها فهي إنما تذم إذا أعقبت ألما أعظم منها، أو منعت لذة خيرًا منها، وتحمد إذا أعانت على اللذة الدائمة المستقرة، وهي لذة الدار الآخرة ونعيمها الذي هو أفضل نعيم وأجله كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف:٥٦-٥٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ

---

(١) صحيح البخاري [٦٥٤٩، ٧٥١٨]، مسلم [٢٨٢٩].

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (٨٤/٤)، روح المعاني (٣٢٧/٥).

(٣) أخرجه الترمذي [٢٣٢٠] وصححه، وأبو نعيم في (الحلية) (٢٥٣/٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٨٢/٨).

وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٧﴾ [الأعلى:١٦-١٧]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤]، وقال العارفون بتفاوت ما بين الأمرين لفرعون: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٧٢ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝٧٣﴾ [طه:٧٢-٧٣]. والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إنما خلق الخلق لدار القرار، وجعل اللذة كلها بأسرها فيها كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]. وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((**يقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**))(١)، بله ما اطلعتم، أي: غير ما اطلعتم عليه، وهذا هو الذي قصده الناصح لقومه الشفيق عليهم حيث قال: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝٣٨ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝٣٩﴾ [غافر:٣٨-٣٩] فأخبرهم أن الدنيا متاع يتمتع بها إلى غيرها، والآخرة هي المستقر والغاية"(٢).

وتفيد النصوص أن هناك من اللذات ما يفوق بعضها الآخر، وأن العطاءَ الأكبر، والنعيمَ الأعظم الذي يتضاءَلُ أمامَه كلُّ نعيمٍ هو النَّظرُ إلى وجهِ الله الكريم؛ فعن جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنَّا عند النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فنظر إلى القمر ليلة -يعني البدر- فقال: ((**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**))(٣). وهذا العطاء للذكر والأنثى على التساوي، وهو فوق كل عطاء. فالمعايير في الآخرة مختلفة عنها في الدنيا، والحكم على الشيء فرع تصوره، ولا نملك تصورًا كاملًا عن أحوال الآخرة، فلا مجال للعقل إلا فيما هو مذكور من النصوص. أما ما

---

(١) صحيح البخاري [٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٧٤٩٨]، مسلم [٢٨٢٤].

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص:١٥٦- ١٥٧).

(٣) صحيح البخاري [٥٥٤، ٧٤٣٤]، مسلم [٦٣٣].

هو مطويٌّ أو مسكوت عنه فإنَّ الخوض فيه تسوُّرٌ على ضوابط التفسير واللغة والقواعد العامة وهو من الخوض في الغيبيات التي لا يستقل العقل بمعرفتها.

وفي (صحيح مسلم): عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبَيِّضْ وجوهنا؟ ألم تُدْخِلْنَا الجنة، وتُنَجِّنَا من النَّار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعْطُوا شيئا أَحَبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**))، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. وزاد: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦](١).

ومن أفضل الدعاء ما جاء عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صلَّى صلاة، فأوجز فيها، فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة، فقال: أما على ذلك، فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما قام تبعه رجل من القوم هو أبي غير أنه كنى عن نفسه، فسأله عن الدعاء، ثم جاء فأخبر به القوم: ((**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**))(٢).

---

(١) صحيح مسلم [١٨١].

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة [٤٤٢]، وأحمد [١٨٣٢٥]، وابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني) [٢٧٦]، والبزار [١٣٩٢]، والنسائي [١٣٠٥]، وابن حبان [١٩٧١]، والطبراني في (الدعاء) [٦٢٤]، والحاكم [١٩٢٣]، وقال: "صحيح الإسناد". وأخرجه أيضًا: تمام [١٣٨٧]، والبيهقي في (الدعوات الكبير) [٢٥١].

قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قيد النظر باللذة، لأن النظر إلى الله تعالى إما نظر هيبة وجلال في عرصات القيامة، وإما نظر لطف وجمال في الجنة؛ ليؤذن بأن المطلوب هذا"(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن أفضل نعيم الآخرة وأجله وأعلاه على الإطلاق هو النظر إلى وجه الرب جل جلاله، وسماع خطابه، كما في (صحيح مسلم): عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** عَزَّ وَجَلَّ))(٢). فبين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم ربهم في الجنة، لم يعطهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وإنما كان ذلك أحب إليهم؛ لأن ما يحصل لهم به من اللذة والنعيم والفرح والسرور وقرة العين فوق ما يحصل لهم من التمتع بالأكل والشرب والحور العين، ولا نسبة بين اللذتين والنعيمين البتة. ولهذا قال سبحانه وتعالى فى حق الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ۝١٦﴾ [المطففين:١٥-١٦]. فجمع عليهم نوعي العذاب: عذاب النار، وعذاب الحجاب عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما جمع لأوليائه نوعى النعيم: نعيم التمتع بما في الجنة. ونعيم التمتع برؤيته، وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الأنواع الأربعة في هذه السورة فقال في حق الأبرار: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين:٢٢-٢٨].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن) (١٩٣٣/٦)، وانظر: مرقاة المفاتيح (١٧٣٥/٥)، فيض القدير (١٤٦/٢).

(٢) صحيح مسلم [١٨١].

ولقد هضم معنى الآية من قال: ينظرون إلى أعدائهم يعذبون، أو ينظرون إلى قصورهم وبساتينهم، أو ينظر بعضهم إلى بعض، وكل هذا عدول عن المقصود إلى غيره، وإنما المعنى ينظرون إلى وجه ربهم، ضد حال الكفار الذين هم عن ربهم لمحجوبون. ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ [المطففين:١٦].

وتأمل كيف قابل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما قاله الكفار في أعدائهم في الدنيا وسخروا به منهم، بضده فى القيامة، فإن الكفار كانوا إذا مر بهم المؤمنون يتغامزون ويضحكون منهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين:٣٢]، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤] مقابلة لتغامزهم وضحكهم منهم، ثم قال: فأطلق النظر، ولم يقيده بمنظور دون منظور، وأعلى ما نظروا إليه وأجله وأعظمه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. والنظر إليه أجل أنواع النظر وأفضلها، وهو أعلى مراتب الهداية، فقابل بذلك قولهم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين:٣٢]. فالنظر إلى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مراد من هذين الموضعين ولا بد، إما بخصوصه، وإما بالعموم والإطلاق، ومن تأمل السياق لم يجد الآيتين تحتملان غير إرادة ذلك، خصوصًا أو عمومًا.

ثم قال: فصل: (في أن لذة النظر إلى وجه الله يوم القيامة تابعة للتلذذ بمعرفته ومحبته في الدنيا) وكما أنه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلى وجه الأعلى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته ومعرفته والشوق إليه والأنس به، بل لذة النظر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تابعة لمعرفتهم به ومحبتهم له؛ فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة. فكلما كان المحب أعرف بالمحبوب، وأشد محبة له كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم"(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان ما يستفاد من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر:٢١]. قال: "إنه متضمن لكنز من الكنوز، وهو أن يطلب كل شيء لا يطلب إلا ممن عنده خزائنه، ومفاتيح تلك الخزائن بيديه، وأن طلبه من غيره طلب ممن ليس عنده ولا يقدر عليه. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (ص:٣٢-٣٣). بتصرف.

[النجم:٤٢] متضمن لكنز عظيم، وهو أن كل مراد إن لم يرد لأجله ويتصل به وإلا فهو مضمحل منقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فانتهت إلى خلقه ومشيئته وحكمته وعلمه، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يحب لأجله فمحبته عناء وعذاب، وكل عمل لا يراد لأجله فهو ضائع وباطل، وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه، فاجتمع ما يراد منه كله في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾، واجتمع ما يراد له كله في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾، فليس وراءه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ غاية تطلب، وليس دونه غاية إليها المنتهى.

وتحت هذا سِرٌّ عظيم من أسرار التوحيد، وهو أن القلب لا يستقرُّ ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحد إليه المنتهى، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين، كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك، وزال عنه، وفارقه أحوج ما كان إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد.

العبد دائما متقلب بين أحكام الأوامر، وأحكام النوازل، فهو محتاج، بل مضطر إلى العون عند الأوامر، وإلى اللطف عند النوازل، وعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل، فإن كمل القيام بالأوامر ظاهرًا وباطنًا ناله اللطف"(١).

فإذا تبين لك ذلك علمتَ أن الجنة هي الغاية المرجوة لكلِّ من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى، فإذا تحقَّقَ العبدُ بذلك أحبَّ الجنَّة وما يوصل إليها، وكره النَّار وما يوصل إليها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر:٢٠].

(١) الفوائد، لابن القيم (ص:٢٠٢).

أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يجعل أعمارنا عامرة بالعمل الصالح والقرب، وأن يفرج عنا الهموم والكرب، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بها يوم لا ينفع مال ولا بنين، إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يرزقنا حبه، وحب من يحبه، وحب العمل الذي يقربنا إليه، وأن يرزقنا حسن العبادة ومتابعة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ..، والفوز الجنة، وجوار أرحم الرحمين، ولذَّه النَّظر إلى وجهه الكريم آمين..آمين..

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

خاتمة

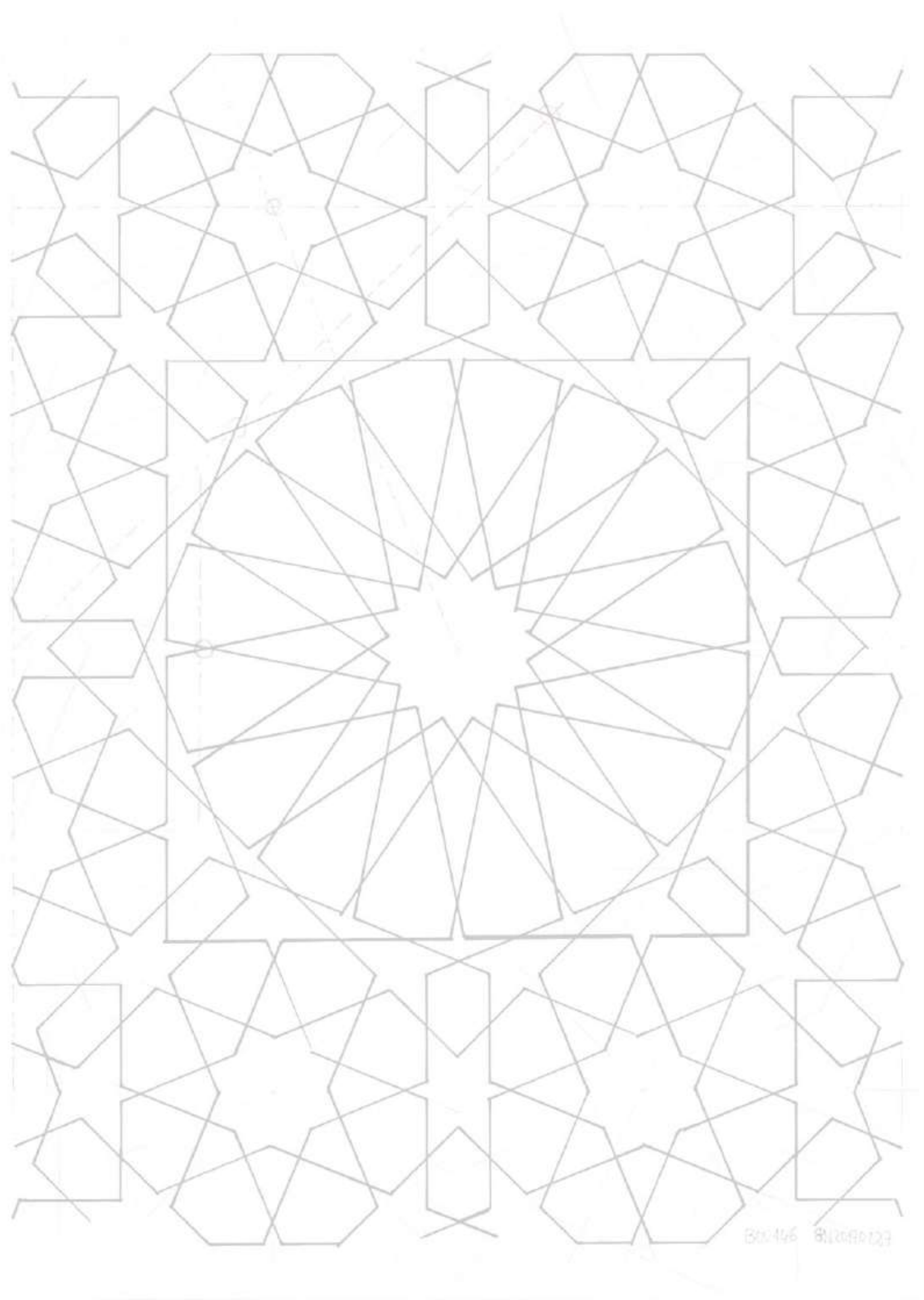

إجمال فضائل المحبة المحمودة وآثارها:

١ – المحبة النافعة والمحمودة من وسائل الاقتناع والرضا النفسي، فهي التي تحرك القلب والعاطفة، وهي من محفزات الاتباع، بل هي أسماها.

٢ – الحبُّ النافع والمحمود محفِّزٌ على الإبداع الفكري والثقافي والأدبي.

٣ – محفِّزٌ على البذل والعطاء، والإيثار، والعمل والإنتاج؛ لأنه يحشد طاقات المحبِّ في خدمة المحبوب.

٤ – محفِّزٌ على الصِّدق في القول والتَّعامل.

٥ – محفِّزٌ على إخلاص النية، واجتناب الرياء والعجب والافتخار والمنِّ.

٦ – محفِّزٌ على التَّعاون والوفاء، واجتناب الغدر.

٧ – محفِّزٌ على حفظ الأمانة وصيانتها.

٨ – محفِّزٌ على الصبر وتحمل مشكلات الحياة.

٩ – الحبُّ محفِّزٌ على العفة وعزَّة النفس.

١٠ – إن الحب النافع والمحمود يعود المحب على الإحسان مهما ألحَّ الفقرُ.

١١ – محفِّزٌ على التفاعل مع الآخرين، والتعاون على البر والتقوى.

١٢ – محفِّزٌ على المودة في الصداقة.

١٣ – محفِّزٌ على القناعة والرضا.

١٤ – طالب الفضيلة يعرف عيوب نفسه، فيستر عيوب غيره.

١٥ – الحبُّ المنبثق من العقيدة لا يعرف الشر، ولا يسعى إلَّا لتحقيق السعادة للآخرين.

١٦ – الحب النافع والمحمود يعمل على تدعيم القيم البشرية، ويقوي الرابطة مع الآخرين.

١٧ – الحب النافع والمحمود يلبي أسمى احتياجات النفس البشرية.

١٨- إن البُعْدَ الديني يضفي على المحبة التوازن بين مقتضيات العاطفة وبين مقتضيات العقل والشرع من حيث النظر إلى مآلات الحكم، وما يحقق المصلحة في العاجل والآجل.

١٩- إن الحب النافع والمحمود يعني التلاحم والتعاضد والقوة؛ فإن المحب يخجل أن يتصرف في حضرة محبوبه تصرف الجبناء. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]، فدل على أن التآلف والمحبة من أعظم أسباب القوة، وأن التفرق والاختلاف من أسباب الضعف.

٢٠ – إن الحب النافع والمحمود يسمو بالغرائز، ويطهر الروح، وهو غذاء القلب وبهجة الحياة.

٢١ – محفِّزٌ على كمال الأدب، وجمال الأخلاق.

٢٢ – إنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير أنموذج تطبيقي للأخلاق الفاضلة.

٢٣ – جمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين تقوى الله عَزَّوَجَلَّ وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله عَزَّوَجَلَّ يصلح ما بين العبد وبين ربه عَزَّوَجَلَّ.

٢٤ – إن الحب النافع والمحمود سبب للفوز بالجنَّة، والنَّجاة من النَّار.

٢٥ – إن الحب النافع والمحمود علامة على صلاح العبد واستقامته.

٢٦ – يورث هداية في القلب.

٢٧ – إن محبة العبد لله عَزَّوَجَلَّ تثمر: محبَّة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد ورضاه عنه وتوفيقه.

٢٨ – إن محبة الله عَزَّوَجَلَّ تدفع النِّقم، وتجلب النِّعم.

٢٩ – إن محبة الله عَزَّوَجَلَّ حصن حصين من أخطار المعاصي والذُّنوب.

٣٠ – إن محبة الله عَزَّوَجَلَّ علامة على حسن الخاتمة.

٣١ – المحبة النافعة والمحمودة صمام أمن للبيوت وعمارة لها.

٣٢ – إن الحبُّ الذي لا يترك وجعًا في القلب ولا ألمًا في الروح هو حبُّ الله عَزَّوَجَلَّ..

٣٣ – إن الدافع الأقوى للاتباع هو المحبة، فهي التي تثمر ثباتًا واستقامة على طاعة الله ﷻ، وطمأنينة وأمنًا.

٣٤ – إنَّ فَقْدَ المحبة لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أو ضعفها أو تأخرها من أسباب السقوط في أودية الضلال.

٣٥ – إن المحبة من أعظم أسباب الهداية والاستقامة.

٣٦ – الذنوبُ تُنْقِص من محبة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بِقَدْر ذلك، لكن لا تزيلُ المحبةَ لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إذا كانت ثابتة في القلب ولم تكن الذنوب عن نفاق.

٣٧ – لا يجتمع الحبُّ مع الجهلِ بالمحبوب وعدم العناية بأمره ونهيه.

٣٨ – الإيثارُ يشهدُ للحب، فعلامةُ حبِّه إيثارُه على نفسك.

٣٩ – إنما يُعْنَى العاقلُ بسعادةٍ لا تنقطع.

٤٠ – إنَّ محبَّة الجنَّة لكونها؛ غاية للسعادة الكاملة، والنعيم الدائم؛ ولكونها دارٌ يلتقي فيها المحبون لقاءً دائمًا لا فراق بعده، ويتحقَّقُ المقصودُ فيها من جوارِ أكرم الأكرمين، وأرحمِ الراحمين، وأعظمِ محبوب، ويغنمُ الصالحونَ بالنَّظر إلى وجهه الكريم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وفي الختام أسأل الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن ينفع ويوفق من ساهم في نشره..

اللهم إنا نسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك..

وصلى الله وسلم وبارك على نبيا محمد وعلى آله وأصحابه..

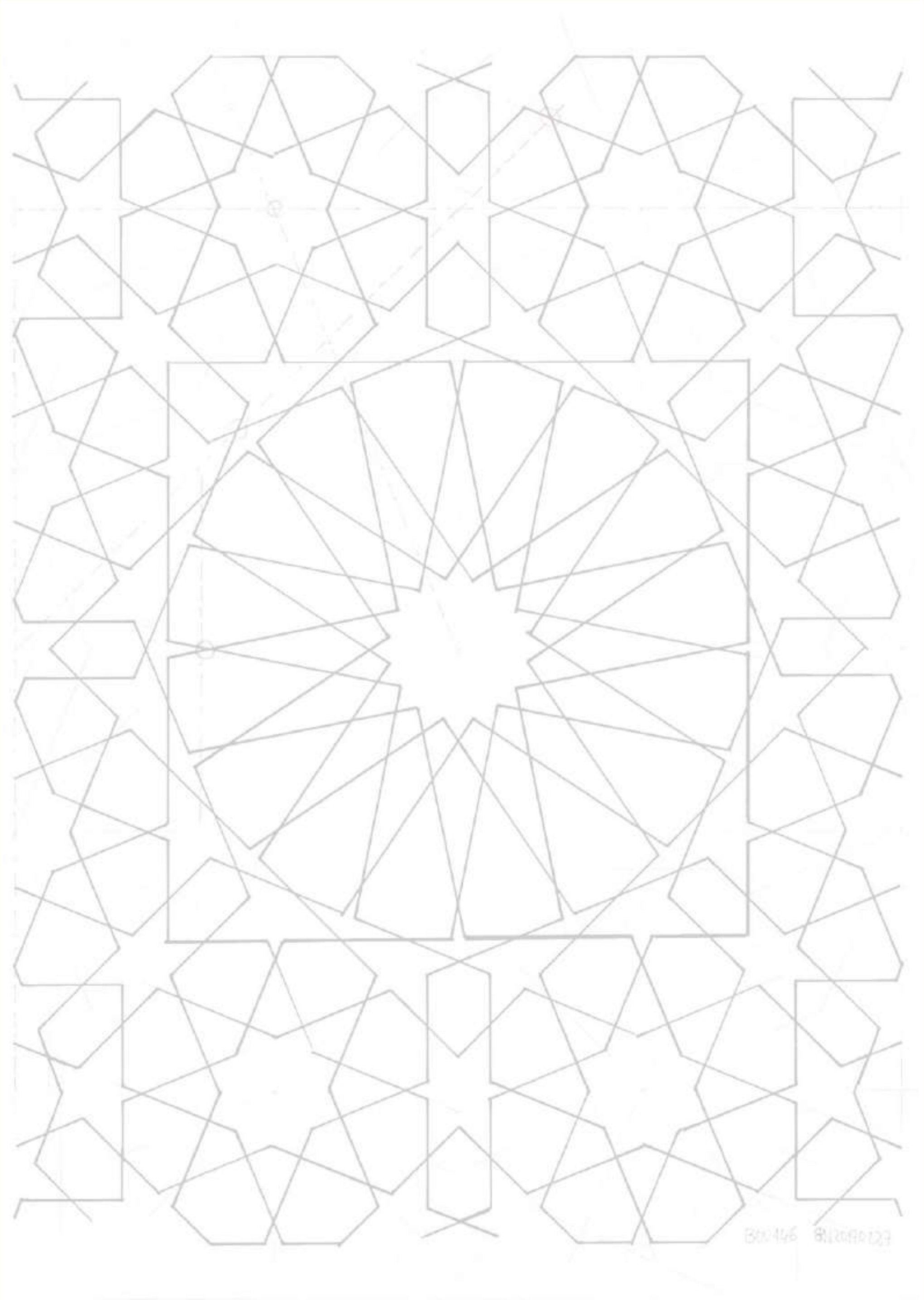

فهرس المصادر والمراجع

١. إتمام الدراية لقراء النقاية، للسيوطي، مظهر العجائب في (الهند) [١٨٦٤]. وقد حقق الكتاب قريبا مع الشرح والمقابلة على خمس مخطوطات، وهو في طور الإعداد للطباعة، تحقيق ودراسة: د. عبد القادر محمد المعتصم دهمان، د. عبد الرقيب صالح الشامي، وفضيلة الشيخ مصطفى محمود سليخ، طبع دار الضياء، الكويت.

٢. آثار ابن باديس، دار ومكتبة الشركة الجزائرية [١٣٨٨هـ].

٣. أحكام الجنائز، لإبراهيم بن يوسف البولوي، ومعه: تنوير المستبصر الفائز ببيان أحكام الجنائز، تحقيق ودراسة وشرح: د. عبد القادر محمد المعتصم دهمان، مصطفى محمود سليخ، دار الضياء، الكويت [١٤٣٥هـ].

٤. أحكام القرآن، لأبي بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤٢٤هـ].

٥. أحكام القرآن، للجصاص، دار إحياء التراث العربي، بيروت [١٤٠٥هـ].

٦. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٧. اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، لابن رجب، مكتبة دار الأقصى، الكويت [١٤٠٦هـ].

٨. الإخنائية، لابن تيمية، دار الخراز، جدة [١٤٢٠هـ].

٩. الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح، عالم الكتب.

١٠. أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، دار مكتبة الحياة، بدون طبعة [١٩٨٦م].

١١. أدب الطلب ومنتهى الأرب، لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن حزم، لبنان [١٤١٩هـ].

١٢. الأذكار، للإمام النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، دار الفكر، بيروت [١٤١٤هـ].

١٣. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر [١٣٢٣هـ].

١٤. الاستقامة، لابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة [١٤٠٣هـ].

١٥. استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار الصحابة للتراث بطنطا [١٤١١هـ].

١٦. أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت [١٤١٥هـ].

١٧. إعانة المستفيد، لصالح الفوزان، مؤسسة الرسالة [١٤٢٣هـ].

١٨. الاعتصام، للشاطبي، دار ابن عفان، السعودية [١٤١٢هـ].

١٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤١١هـ].

٢٠. الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين [٢٠٠٢م].

٢١. الأعمال الكاملة، لجمال الدين الأفغاني، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، القاهرة [١٩٦٨م].
٢٢. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، مكتبة المعارف، الرياض.
٢٣. اقتضاء الصراط، لابن تيمية، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان [١٤١٩هـ].
٢٤. الإكليل في استنباط التنزيل، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤٠١هـ].
٢٥. إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: الأستاذ الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، مصر [١٤١٩هـ].
٢٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية [١٤١٨هـ].
٢٧. أمراض القلب وشفاؤها، لابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة [١٣٩٩هـ].
٢٨. الإنسان وصحته النفسية، للدكتور سيد صبحي، الدار المصرية اللبنانية، ضمن مشروع مكتبة الأسرة.
٢٩. الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت ودمشق وعمان.
٣٠. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم المصري، دار الكتاب الإسلامي.
٣١. بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان
٣٢. بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير، دار المعارف، بدون تاريخ.
٣٣. البيان والتبيين، للجاحظ، دار الهلال، بيروت [١٤٢٣هـ].
٣٤. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت [١٤٠٨هـ].
٣٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت [١٤١٣هـ].
٣٦. التاريخ الكبير، للبخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.
٣٧. تاريخ دمشق، لابن عساكر، دار الفكر [١٤١٥هـ].
٣٨. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة [١٣١٣هـ].
٣٩. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر [١٩٨٤هـ].
٤٠. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤١. تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم، مكتبة دار البيان، دمشق [١٣٩١هـ].
٤٢. الترغيب والترهيب، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤١٧هـ].
٤٣. تسلية أهل المصائب، لمحمد بن محمد، شمس الدين المنبجي، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤٢٦هـ].
٤٤. تغليق التعليق، للحافظ ابن حجر، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان الأردن [١٤٠٥هـ].
٤٥. تفسير ابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض [١٤١٩هـ].
٤٦. تفسير ابن باديس، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤١٦هـ].
٤٧. تفسير ابن جزي، دار الأرقم، بيروت [١٤١٦هـ].

٤٨. تفسير ابن عادل (اللباب في علوم الكتاب)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت [١٤١٩هـ].
٤٩. تفسير ابن عجيبة (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة [١٤١٩هـ].
٥٠. تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت [١٤١٣هـ].
٥١. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٢. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، دار الفكر، بيروت [١٤٢٠هـ].
٥٣. تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، دار إحياء التراث العربي، بيروت [١٤٢٠هـ].
٥٤. تفسير البقاعي (نظم الدرر)، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤١٥هـ].
٥٥. تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت [١٤١٦].
٥٦. تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٥٧. تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، دار إحياء التراث العربي، بيروت [١٤٢٢هـ].
٥٨. تفسير الزمخشري (الكشاف)، دار الكتاب العربي، بيروت [١٤٠٧هـ].
٥٩. تفسير السمعاني، دار الوطن، الرياض [١٤١٨هـ].
٦٠. تفسير السيوطي (الدر المنثور)، دار الفكر، بيروت [١٩٩٣].
٦١. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، مؤسسة الرسالة [١٤٢٠هـ].
٦٢. تفسير العز بن عبد السلام (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، دار ابن حزم، بيروت [١٤١٦هـ].
٦٣. تفسير الفاتحة والبقرة، لمحمد بن صالح العثيمين دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية [١٤٢٣هـ].
٦٤. تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، دار الكتب العلميه، بيروت [١٤١٨هـ].
٦٥. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع [١٤٢٠هـ].
٦٦. تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، دار الغرب الإسلامي [٢٠٠٣م].
٦٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار الشعب، القاهرة [١٣٧٢].
٦٨. تفسير القشيري (لطائف الإشارات)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
٦٩. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن النسخة الأصلية من المطبعة البهية المصرية [١٣٠٢هـ].
٧٠. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧١. تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب [١٩٩٠م].
٧٢. تفسير النسفي، دار الكلم الطيب، بيروت [١٤١٩هـ].
٧٣. تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، دار الكتب العلميه، بيروت [١٤١٦هـ]
٧٤. تفسير جزء عم، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض [١٤٢٣هـ].
٧٥. تفسير مجاهد، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر [١٤١٠هـ].
٧٦. تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، لابن النحاس الدمشقي، دار

الكتب العلمية، بيروت [١٤٠٧هـ].
٧٧. تهذيب الأخلاق، للجاحظ، القاهرة، دار الصحابة للتراث، بدون تاريخ.
٧٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، مؤسسة الرسالة، بيروت [١٤٠٠هـ].
٧٩. تهذيب اللغة، للأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت [٢٠٠١م].
٨٠. التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، عالم الكتب، القاهرة [١٤١٠هـ].
٨١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة [١٤٢٠هـ].
٨٢. التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض [١٤٠٨هـ].
٨٣. جامع الرسائل، لابن تيمية، دار العطاء، الرياض [١٤٢٢هـ].
٨٤. جامع العلوم والحكم، لابن رجب، مؤسسة الرسالة، بيروت [١٤٢٢هـ].
٨٥. جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، دار العروبة، الكويت [١٤٠٧هـ].
٨٦. الجنة والنار، لعمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن [١٤١٨هـ].
٨٧. الجواب الكافي لابن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب [١٤١٨هـ].
٨٨. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، مطبعة المدني، القاهرة.
٨٩. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة.
٩٠. حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت، بدون طبعة.
٩١. حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب [١٤٠٦هـ].
٩٢. حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.
٩٣. حقوق آل البيت، لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩٤. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، مكتبة الخانجي، القاهرة [١٤١٨هـ].
٩٥. خلاصة علم النفس، للدكتور أحمد فؤاد الأهواني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة [١٩٥٣].
٩٦. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية [١٤١١ هـ].
٩٧. دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، لمنصور بن البهوتي الحنبلي، عالم الكتب [١٤١٤هـ].
٩٨. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي بن محمد بن علان البكري الشافعي، دار المعرفة، بيروت [١٤٢٥هـ]
٩٩. الديباج على صحيح مسلم، للسيوطي، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية [١٤١٦هـ].
١٠٠. ديوان المتنبي، دار بيروت [١٤٠٣هـ].
١٠١. ديوان طرفة بن العبد، بتحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية [١٤٢٣هـ].
١٠٢. ديوان عبد الله بن المبارك، دار اليقين، المنصورة، مصر [١٤٢٩هـ].
١٠٣. ديوان عبيد الله بن قيس، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.

١٠٤. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت [١٤١٢هـ].
١٠٥. رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، دار الفكر، بيروت [١٤١٢هـ].
١٠٦. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري، دار المعارف، القاهرة.
١٠٧. رسائل الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة [١٣٨٤هـ].
١٠٨. الروح، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠٩. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، لمحمد بن قاسم، دار القلم العربي، حلب [١٤٢٣هـ].
١١٠. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لمحمد بن حبان أبو حاتم الدارمي البستي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١١. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤٠٣هـ].
١١٢. رياض الصالحين، للإمام النووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت [١٤١٩هـ].
١١٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت [١٤١٥هـ].
١١٤. الزهد الكبير، للبيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت [١٩٩٦م].
١١٥. الزهد والورع والعبادة، لابن تيمية، مكتبة المنار، الأردن [١٤٠٧هـ].
١١٦. زهر الآداب وثمر الألباب، لإبراهيم بن علي الحصري القيرواني، دار الجيل، بيروت.
١١٧. زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن بن مسعود بن محمد، نور الدين اليوسي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب [١٤٠١هـ].
١١٨. الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، دار الفكر [١٤٠٧هـ].
١١٩. سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الحديث، القاهرة.
١٢٠. سبيل الوصول إلى عنوان الأصول (في الأصول)، وهو شرح وتحقيق ودراسة لعنوان الأصول في أصول الفقه، لأبي حامد المطرزي. مطبوع في دار الضياء، الكويت، د. عبد القادر محمد المعتصم دهمان، ومصطفى محمود سليخ، الطبعة الأولى [١٤٣٦هـ].
١٢١. سر تأخر العرب والمسلمين، للشيخ محمد الغزالي، الدار الشامية، بيروت، وطبعة دار نهضة مصر.
١٢٢. السراج المنير، للخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة [١٢٨٥هـ].
١٢٣. سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت [١٤١٣هـ].
١٢٤. شرح ابن عباد على الحكم، مركز الأهرام، القاهرة [١٤٠٨هـ].
١٢٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم اللالكائي، دار طيبة، السعودية [١٤٢٣هـ].
١٢٦. شرح الأربعين النووية، لابن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور رياض منسي العيسى، وعبد القادر مصطفى طه، دار الفتح، الأردن [١٤٣٤هـ].
١٢٧. شرح الأربعين النووية، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض.
١٢٨. شرح الأصول الثلاثة، لصالح الفوزان، مؤسسة الرسالة [١٤٢٧هـ].
١٢٩. شرح الرسالة التدمرية، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء [١٤٢٥هـ].
١٣٠. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة

[١٤٢٤هـ].

١٣١. شرح السنة، للبغوي، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت [١٤٠٣هـ].

١٣٢. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة، الرياض) [١٤١٧هـ].

١٣٣. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد [١٤١٨هـ].

١٣٤. الشرح الكبير على متن المقنع، لابن قدامة، دار الكتاب العربي.

١٣٥. الشرح الممتع على زاد المستقنع، لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي [١٤٢٢هـ].

١٣٦. شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض [١٤٢٦هـ].

١٣٧. شرح صحيح البخاري، لابن بطال، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض [١٤٢٣هـ].

١٣٨. الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، دار الوطن، الرياض [١٤٢٠هـ].

١٣٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، دار الفيحاء، عمان [١٤٠٧هـ].

١٤٠. صفة الجنة، لأبي نعيم الأصبهاني، دار المأمون، دمشق.

١٤١. صفة الصفوة، لابن الجوزي، دار الحديث، القاهرة [١٤٢١هـ].

١٤٢. صفحات مضيئة في التصور والسلوك الديني، لفضيلة الشيخ إسماعيل المجذوب، دار مهرات للعلوم، حمص سوريا [٢٠٠٦م].

١٤٣. الصوارف عن الحق، للدكتور حمد العثمان، دار الإمام أحمد.

١٤٤. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، للقاضي حسين بن محمد المهدي، وزارة الثقافة، الجمهورية اليمنية [٢٠٠٩م].

١٤٥. صيد الخاطر، لابن الجوزي، دار القلم، دمشق [١٤٢٥هـ].

١٤٦. الطبقات، لابن سعد، طبعة دار صادر، بيروت [١٩٦٨م].

١٤٧. طرح التثريب في شرح التقريب، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وأكمله ابنه، الطبعة المصرية القديمة.

١٤٨. طرح التثريب في شرح التقريب، للعراقي، الطبعة المصرية القديمة.

١٤٩. طريق الهجرتين، لابن القيم، دار السلفية، القاهرة [١٣٩٤هـ].

١٥٠. طوق الحمامة، لابن حزم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت [١٩٨٧م].

١٥١. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، لابن العربي المالكي، ودار الكتب العلمية، بيروت، من غير تاريخ.

١٥٢. العبودية، لابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت [١٤٢٦هـ].

١٥٣. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق [١٤٠٩هـ].

١٥٤. العشق، حقيقته، خطره، أسبابه، علاجه، لمحمد بن إبراهيم الحمد، طبعة خاصة بجهاز الإرشاد والتوجيه

بالحرس الوطني [١٤٢٢هـ].
١٥٥. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤٠٤هـ].
١٥٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥٧. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني ، مؤسسة الرسالة، بيروت [١٤١٥هـ].
١٥٨. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم (تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته)، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤١٥هـ].
١٥٩. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني الحنبلي، مؤسسة قرطبة، مصر [١٤١٤هـ].
١٦٠. الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري، دار المعرفة، لبنان.
١٦١. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، دار الكتب العلمية [١٤٠٨هـ].
١٦٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت [١٣٧٩هـ].
١٦٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية [١٤١٧هـ].
١٦٤. فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار، للحسن بن أحمد، دار عالم الفوائد [١٤٢٧هـ].
١٦٥. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم [١٤٣٤هـ].
١٦٦. فقه الأدعية والأذكار، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مطابع الحميضي، الرياض [١٤٢٤هـ].
١٦٧. فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين، دار صادر، بيروت [١٩٧٤].
١٦٨. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غانم، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي دار الفكر [١٤١٥هـ].
١٦٩. الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت [١٣٩٣هـ].
١٧٠. في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة [١٤١٢هـ].
١٧١. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر [١٣٥٦].
١٧٢. قاعدة في المحبة، لابن تيمية، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
١٧٣. قصيدة عنوان الحكم، لعلي بن محمد البُستي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب [١٤٠٤هـ].
١٧٤. قواعد الفقه، للبركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي [١٤٠٧هـ].
١٧٥. قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب المكي، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤٢٦هـ].
١٧٦. قوت المغتذي على جامع الترمذي، للسيوطي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة [١٤٢٤هـ].
١٧٧. القول المفيد، لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية [١٤٢٤هـ].
١٧٨. الكافي في فقه أهل المدينة، لابن عبد البر، مكتبة الرياض الحديثة، [١٤٠٠هـ].
١٧٩. الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، دار الفكر العربي، القاهرة [١٤١٧هـ].
١٨٠. كتاب الفتاوى، للعز بن عبد السلام، دار المعرفة، بيروت [١٤٠٦هـ].

١٨١. كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس البهوتي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨٢. كشف المخدرات والرياض المزهرات لشرح أخصر المختصرات، لعبد الرحمن الخلوتي الحنبلي، دار البشائر الإسلامية، لبنان [١٤٢٣هـ].
١٨٣. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي دار الوطن، الرياض.
١٨٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الحنفي الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٨٥. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت [١٤٠١هـ].
١٨٦. لباب الآداب، للثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤١٧هـ].
١٨٧. متن القصيدة النونية، لابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة [١٤١٧هـ].
١٨٨. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، لعبد الحميد باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية [١٤٠٣هـ].
١٨٩. المجالس الوعظية، لشمس الدين السفيري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت [١٤٢٥هـ].
١٩٠. مجلة الأزهر، السنة الثامنة والأربعون، جزء: [٨]، شوال [١٣٩٦هـ].
١٩١. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية [١٤١٦].
١٩٢. المحاضرات والمحاورات، للسيوطي، دار الغرب الإسلامي، بيروت [١٤٢٤هـ].
١٩٣. المختار من حلية الأبرار (مختصر أذكار الإمام النووي)، لفضيلة الشيخ إسماعيل المجذوب، مطبعة اليمامة، حمص، سوريا [٢٠٠١م].
١٩٤. مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
١٩٥. المخصص، لابن سيده، دار إحياء التراث العربي، بيروت [١٤١٧هـ].
١٩٦. مدارج السالكين، لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت [١٤١٦هـ].
١٩٧. المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي، بتحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء، الكويت.
١٩٨. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة، والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند [١٤٠٤هـ].
١٩٩. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان الهروي القاري دار الفكر، بيروت [١٤٢٢هـ].
٢٠٠. المستطرف في كل فن مستطرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي، عالم الكتب، بيروت [١٤١٩هـ].
٢٠١. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، دار العربية، بيروت [١٤٠٣هـ].
٢٠٢. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، لمصطفى بن سعد، السيوطي شهرة، الرحيباني مولدًا ثم الدمشقي الحنبلي، المكتب الإسلامي [١٤١٥هـ].

٢٠٣. معالم السنن، للخطابي، المطبعة العلمية، حلب [١٣٥١هـ].
٢٠٤. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، عالم الكتب، بيروت [١٤٠٨هـ].
٢٠٥. معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس، جامعة أم القرى، مكة المرمة [١٤٠٩هـ].
٢٠٦. المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، ليوسف بن موسى، أبو المحاسن جمال الدين الملطي الحنفي، عالم الكتب، بيروت.
٢٠٧. المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت [١٤١٤هـ].
٢٠٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية [١٣٦٤].
٢٠٩. معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض [١٤١٧هـ].
٢١٠. المغني، لابن قدامة، مكتبة القاهرة [١٣٨٨هـ].
٢١١. المفاضلة في العبادات، قواعد وتطبيقات، لسليمان بن محمد بن عبد الله النجران، مكتبة العبيكان، الرياض [١٤٢٥هـ].
٢١٢. مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١٣. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت [١٤١٢هـ].
٢١٤. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت [١٤١٧هـ].
٢١٥. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف.
٢١٦. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب [١٣٩٠هـ].
٢١٧. المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة، مصر [١٣٣٢هـ].
٢١٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت [١٣٩٢هـ].
٢١٩. الموافقات، للشاطبي، دار ابن عفان، السعودية [١٤١٧هـ].
٢٢٠. موسوعة ابن أبي الدنيا، دار أطلس الخضراء، الرياض [١٤٣٣هـ].
٢٢١. موسوعة الأعمال الكاملة، لمحمدالخضر حسين، جمعها وضبطها: ابن أخيه: المحامي علي الرضا الحسيني، الطبعة الأولى دار النوادر [١٤٣١هـ].
٢٢٢. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت [١٤٢٧هـ].
٢٢٣. موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد، أبو ظبي [١٤٢٥هـ]
٢٢٤. الموطأ، للإمام مالك بن أنس مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات [١٤٢٥هـ].
٢٢٥. نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة [١٤٢٣هـ].
٢٢٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، المكتبة العلمية، بيروت [١٣٩٩هـ].

٢٢٧. نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية [١٤٢٤هـ].
٢٢٨. نيل الأوطار، للشوكاني، دار الحديث، مصر [١٤١٣هـ].
٢٢٩. الهداية إلى بلوغ النهاية، لأبي محمد مكي بن أبي طالب، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة [١٤٢٩هـ].
٢٣٠. الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث، بيروت [١٤٢٠هـ].
٢٣١. وفيات الأعيان، لابن خلكان، دار صادر، بيروت.

فِهرِسُ الموضوعات

مُقَدِّمَة.. ٥

تَمْهِيد.. ١٣

أولًا: تعريف المحبة.. ١٣

ثانيًا: بيـان سر التسمية.. ١٦

١ - الحروف ١٦

٢ - الحركات ١٧

ثالثًا: المحبة الحميـدة النافعة.. ١٧

رابعًا: منزلة المحبة... ٢٢

خامسًا: مراتب المـحبة... ٢٤

سادسًا: التحذير من آفة العشق.. ٣٠

١ - خطورته وآثاره.. ٣٠

٢ - سبل الوقاية منه... ٣٤

سابعًا: أقسام المـحبة.. ٣٩

ثامنًا: المحبة والعدالة الاجتماعية... ٤١

المبحث الأول: محبــة الله تعـالى للخلق.............................. ٤٣

أولًا: المحبة صفة من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.......................... ٤٦

ثانيًا: ردُّ ما ادَّعته النصارى في شأن المحبة................................ ٤٩

ثالثًا: الشواهد على محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للعبد الصالح................. ٦٤

١ - التحلي بالصفات الحميدة التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ....................... ٦٥

أ. الإحسان.. ٦٦

ب. التوبة والتطهر من الأنجاس الحسية والمعنوية.......................... ٦٦

ج. الاتباع.. ٦٧
د. التقوى.. ٦٩
هـ. الصبر.. ٦٩
و. التوكل.. ٧٠
ز. العدل والقسط.. ٧٠
ح. التواضع والرحمة للمؤمنين، والعزة على الكافرين.................. ٧٠
ط. الثبات أمام العدو صفوفًا كالبنيان المرصوص.................. ٧١
ي. الابتلاء بالمصائب والكوارث.................................. ٧١
ك. الإيمان وسلامة المعتقد.. ٧٧
ل. الصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله تعالى.......... ٧٧
م. أحب العمل إلى الله عَزَّوَجَلَّ: أدومه........................ ٧٨
ن. أحب الصلاة والصيام إلى الله عَزَّوَجَلَّ صلاة وصيام داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.......... ٧٨
س. العناية والتدبير.. ٧٩
ع. صلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.................. ٧٩
ف. التقي الغني الخفي.. ٨٠
ص. الرفق.. ٨١
ق. الجمال.. ٨١
ر. معرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته وتدبرها وعقل معانيها.......... ٨٣
ش. الحياء والستر.. ٨٤
ت. محبة ما يحبه الله ﷻ وبغض ما يبغضه.................. ٨٦
ث. معالي الأمور.. ٨٦
٢ - اجتناب الأعمال التي لا يحبها الله تعالى.................. ٨٦
أ. الاعتداء.. ٨٦
ب. الفساد.. ٨٧

ج. الربا والكفر والعصيان.................................. ٨٨
د. الظلم.. ٨٩
هـ. التكبر... ٩٠
و. الخيانة... ٩٠
ز. الجهر بالسوء... ٩١
ح. الإسراف... ٩٢
ط. البطر.. ٩٣
ي. قطيعة الأرحام.. ٩٣
ك. الألد الخصم.. ٩٣
ل. أبغض الناس إلى الله عَزَّوَجَلَّ ثلاثة.......................... ٩٤
م. الكذب... ٩٥
ن. بغض أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...................... ٩٦
س. الجعظريُّ الجوَّاظ المستكبر الجَمَّاع المنَّاع.................... ٩٦
ع. الفاحش البذي المتفحش................................. ٩٧
ف. التشدق والتكلف في الكلام.............................. ٩٩
ص. البيَّاع الحلَّاف، والفقير المختَال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر........ ١٠١
ق. الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف......................... ١٠٢
ر. قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال..................... ١٠٢
خاتمة.. ١٠٥
رابعًا: الأسباب الجالبة لمحبة الله عَجَّلَ............................ ١٠٦
خامسًا: ثمرات محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ........................... ١٠٧
١ - التوفيق والحفظ والعناية................................. ١٠٧
٢ - أن يحببه إلى العباد...................................... ١٠٩
٣ - أن يُؤتى المحبُّ الإيمانَ ويتذوق حلاوته....................... ١٠٩

٤ – الأمن من عذاب الله ﷻ.. ١١٠
٥ – القناعة والرضا وغنى النفس.. ١١٠
٦ – حسن الخُلق والرفق بالخَلق.. ١١١
٧ – الخاتمة الحسنة.. ١١١
المبحث الثاني: محبة العبد لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ......... ١١٥
أولًا: بيان معنى محبة العبد لله ﷻ ورسوله ﷺ وحكمها............... ١١٧
١ – بيان المعنى.. ١١٧
٢ – بيان الحُكم والمكانة.. ١١٧
ثانيًا: علامات محبة العبد لله ﷻ.. ١٢٩
١ – محبة لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.. ١٢٩
٢ – كثرة السجود لله ﷻ.. ١٣٠
٣ – التضحية في سبيل الله ﷻ.. ١٣١
٤ – طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ.. ١٣١
٥ – حب القرآن والسنة.. ١٣٢
٦ – محبة أن يكون للعبد من صلبه من يعبد الله ﷻ.................. ١٣٣
٧ – تحقيق الصدق مع الله ﷻ في محبتك له.............................. ١٣٤
٨ – حسن الظن به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتقرب إليه بالذكر وصالح الأعمال.......... ١٣٤
٩ – الاستقامة على طاعة الله ﷻ والاهتداء إلى الطريق الأقوم.................. ١٣٤
١٠ – معرفة المكلف لأسماء الله ﷻ وصفاته وتدبرها وعقل معانيها............ ١٣٤
١١ – الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.. ١٣٤
١٢ – أن تحب لله عَزَّوَجَلَّ، وأن تحب من يحب الله تعالى، وتُبغض من يبغض.... ١٣٥
١٣ – أداء الفرائض والإكثار من النوافل.. ١٣٥
١٤ – ذكر الله عَزَّوَجَلَّ على الوجه الرشيد.. ١٣٥
١٥ – نصرة الدين، والتخلق بأخلاق سيد المرسلين ﷺ.............. ١٣٦

ثالثًا: الأسباب التي تدعو إلى محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ........ ١٣٧
١ - كمال رأفته ورحمته بأمته........ ١٣٧
٢ - خصائصه وخصاله العظيمة، وكماله الخَلقي والخُلقي........ ١٣٩
٣ - تشريفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإنزال القرآن عليه........ ١٣٩
٤ - كونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المبين لآيات الذكر الحكيم........ ١٣٩
٥ - كون طاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ........ ١٣٩
٦ - صلاة الله عَزَّ وَجَلَّ وملائكته عليه........ ١٤٠
٧ - تكريمه بشرح صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره، وإعلاء قدره........ ١٤٠
٨ - اختياره واصطفاؤه لمقام النبوة والرسالة........ ١٤٠
٩ - تشريفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمقام الخلة........ ١٤١
١٠ - ما خصَّه الله عَزَّ وَجَلَّ به........ ١٤١
١١ - ما فضَّل الله جَلَّ وَعَلَا به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سائر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.... ١٤١
١٢ - تشريفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكريمه بالمقام المحمود والوسيلة........ ١٤٢
١٣ - كون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى بالمؤمنين من أنفسهم........ ١٤٤
رابعًا: الأسباب الجالبة لمحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ........ ١٤٤
خامسًا: علامات محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ........ ١٤٦
سادسًا: ثمرات محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ........ ١٥١
المبحث الثالث: محبة الإيمان........ ١٥٥
المبحث الرابع: محبة شرع الله عَزَّ وَجَلَّ........ ١٥٩
أولًا: بيان الحكم والأهمية........ ١٦١
ثانيًا: الأسباب التي تعين على محبة الطاعات........ ١٦٤
١ - مراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ وإخلاص العمل له........ ١٦٤
٢ - مجاهدة النفس........ ١٦٥

٣ – تدبر القرآن ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته........................ ١٦٧
٤ – الإكثار من النوافل.. ١٦٧
٥ – مجالسة العلماء ومصاحبة الصالحين.................................. ١٦٧
٦ – التنويع في العبادات وفي صفاتها..................................... ١٦٨
٧ – الذكر والدعاء والتضرع إلى الله ﷻ................................. ١٦٨
المبحث الخامس: محبة آل البيت.. ١٦٩
المبحث السادس: محبة الصحابة.. ١٧٥
المبحث السابع: محبة الإخوان... ١٨٩
أولًا: رابطة الإخوة.. ١٩١
ثانيًا: ثمرات محبة الإخوان ١٩٤
١ – محبة الله تعالى للمتحابين.. ١٩٤
٢ – عظم الأجر... ١٩٤
٣ – صدق الإيمان واستكماله... ١٩٥
٤ – المحب يجد طعم وحلاوة الإيمان...................................... ١٩٧
٥ – الاستظلال في ظلِّ عرش الرحمن...................................... ١٩٧
٦ – المتحابون على منابر من نور.. ١٩٨
٧ – دخول الجنة.. ١٩٩
٨ – قربهم من الله عَزَّوَجَلَّ.. ١٩٩
ثالثًا: أخلاق تورث المحبة.. ١٩٩
١ – القول الحسن... ١٩٩
٢ – مقابلة الإساءة بالإحسان.. ٢٠٠
٣ – البر.. ٢٠١

٤ – الزهد في الدنيا والتَّعفُّف عن سؤال النَّاس........ ٢٠١
٥ – إفشاء السلام........ ٢٠٢
٦ – الابتسامة وطلاقة الوجه........ ٢٠٢
٧ – الإحسان إلى الناس........ ٢٠٣
٨ – الإهداء........ ٢٠٣
٩ – الزيارة في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى........ ٢٠٤
١٠ – إجابة الدعوة........ ٣٠٥
١١ – التواضع والمداراة ولين الكلام........ ٣٠٦
١٢ – الرفق........ ٣٠٨
١٣ – القيام بحقوق المسلمين والالتزام بها........ ٢٠٩
١٤ – الإيثار........ ٢١٠
١٥ – حسن الخلق........ ٢١٢
١٦ – إصلاح ذات البين........ ٢١٤
١٧ – ذكر النعم........ ٢١٧
خاتمة........ ٢١٧
المبحث الثامن: محبة العلماء والصالحين........ ٢١٩
المبحث التاسع: محبة المساكين........ ٢٣٣
المبحث العاشر: محبة العمل الصالح........ ٢٣٩
المبحث الحادي عشر: محبة الوالدين........ ٢٤٣
المبحث الثاني عشر: محبة الأرحام........ ٢٥٣
المبحث الثالث عشر: محبة الصديق الصالح........ ٢٦١
المبحث الرابع عشر: محبة الأولاد........ ٢٧١

المبحث الخامس عشر: المحبة بين الزوجين........................... ٢٧٧
مسألة: محبة الزوجة الكتابية... ٢٨٦
مسألة: محبة إحدى الزوجات أو أحد الأولاد.................................. ٢٨٦
المبحث السادس عشر: محبة الوطن.................................... ٢٩١
المبحث السابع عشر: محبة النفس...................................... ٣٠٥
المبحث الثامن عشر: المحبة العامة................................... ٣١١
المبحث التاسع عشر: محبة الدنيا...................................... ٣١٧
المبحث العشرون: محبة الأماكن الفاضلة............................. ٣٣٥
المبحث الحادي والعشرون: محبة الأزمنة الفاضلة.................. ٣٥٣
المبحث الثاني والعشرون: محبة الجَنَّة.................................. ٣٦٥
خاتمة... ٣٨١
إجمال فضائل المحبة المحمودة وآثارها.. ٣٨٣

تم بحمد الله

المؤلف في سطور

الاسم: عبد القادر محمد المعتصم دهمان.

الميلاد: من مواليد مدينة حمص في سوريا.

محل الإقامة: الكويت، محافظة الفروانية، ضاحية عبد الله المبارك الصباح.

المؤهل والخبرات:

١ - حاصل على شهادة المعهد العلمي الشَّرعي التابع لجمعيَّة العلماء في مدينة (حمص) بتاريخ (١٤١٣/١٢/١٥هـ)، بتقدير: (امتياز). وعلى شهادة الثَّانوية الأزهريَّة (القسم الأدبي) من (القاهرة).

٢ - حاصل على درجة الإجازة العالية (الليسانس) من كليَّة أصول الدين بجامعة الأزهر في (القاهرة)، بتاريخ (٢) من ربيع الآخر [١٤١٨هـ]، (٦/أغسطس/١٩٩٧م) بتقدير: جيد جدًّا، قسم التفسير وعلوم القرآن.

٣ - حاصل على درجة دبلوم الدِّراسات العليا (الماجستير) في التَّفسير وعلوم القرآن، وذلك بعد مناقشة رسالة بعنوان: (الإقناع بين طريقة القرآن وعرض المفسِّر)، وذلك يوم الأربعاء الواقع في (٧/ذي الحجة/١٤٢٤هـ)، الموافق (٢٩/١/٢٠٠٤م). وقد طبعت رسالة الماجستير مع تحقيقات وزيادات وتعديلات جديدة بعنوان (وسائل الإقناع في القرآن) في دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن [٢٠١٦م].

٤ - حاصل على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، بعد مناقشة رسالة بعنوان: (أساليب الخطاب في القرآن الكريم). دراسة تحليلية شاملة لأساليب الخطاب والطلب في القرآن الكريم. وذلك يوم السبت الواقع في (٣٠/٧/٢٠١١)، الموافق (٢٩/شعبان/١٤٣٢هـ). وقد طبعت رسالة الدكتوراه في مجلدين مع تحقيقات وزيادات

وتعديلات جديدة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، قطاع الشؤون الثقافية، مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار مائة وأحد عشر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت [١٤٣٦هـ].

عمل إمامًا وخطيبًا ومدرِّسًا في (سوريا)، وكذلك في (الكويت) ولا يزال. وعمل مُوَجِّهًا فنيًّا في المراقبة الثَّقافية في وزارة الأوقاف إدارة مساجد محافظة (الفروانيَّة)، ثمَّ باحثًا شرعيًّا متفرغًا للبحث والدراسة والتحقيق [١٤] عامًا في (المراقبة الثقافية في إدارة مساجد محافظة الفروانية)، وإمامًا وخطيبًا في محافظة (الفروانيَّة) [١٥] عامًا، ولا يزال.

ومدرسًا في كلية التربية الأساسية في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي، قسم الدراسات الإسلامية (الكويت - العارضية).

الكتب والمؤلفات:

١ - الإرشادات المنهجية إلى تفسير الآيات الكونية (إضاءات على تعريف التفسير العلمي وضوابطه، ومبادئه العشرة)، العبيكان، الرياض [١٤٤٠هـ]، الموافق [٢٠١٩م]، دار اللؤلؤة، المنصورة [١٤٤١هـ]، الموافق [٢٠٢٠م]م.

٢ - وسائل الإقناع في القرآن الكريم، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن [٢٠١٦م].

٣ - أساليب الخطاب في القرآن الكريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، قطاع الشؤون الثقافية، مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار مائة وأحد عشر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت [١٤٣٦هـ].

٤ - أخطار تهدد الأسرة، وزارة الأوقاف، إدارة مساجد محافظة الفروانية، الكويت [١٤٣٥هـ].

٥ - المحبة صورها وأحكامها، وزارة الأوقاف، دولة الكويت، إدارة مساجد محافظة الفروانية، مطبعة النظائر [١٤٣٧هـ]. أعيد طبع الكتاب بإصلاحات وإضافات وتحقيقات جديدة في (دار اللؤلؤة)، المنصورة، مصر [١٤٣٩هـ]، الموافق [٢٠١٨م]،

الإصدار الثالث بإصلاحات جديدة، العبيكان، الرياض [١٤٤٠هـ]، الموافق [٢٠١٩م].

٦ – عقبات في طريق الهداية، وسبل الوقاية منها، والكتاب يتناول خمسة وخمسين موضوعًا من حيث التعريف وبيان الخطر والتربية الوقائية. طبع في (دار اللؤلؤة)، المنصورة، مصر [١٤٣٩هـ]، الموافق [٢٠١٨م]، الإصدار الثاني، العبيكان، الرياض [١٤٤٠هـ]، الموافق [٢٠١٩م].

٧ – دروس وعبر من رحلة سيد البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كتيب. وزارة الأوقاف، دولة الكويت، إدارة مساجد محافظة الفروانية، الطبعة الأولى [١٤٣٩هـ]، [٢٠١٨م]، الإصدار الثاني، العبيكان، الرياض [١٤٤٠هـ]، الموافق [٢٠١٩م].

٨ – نهج الأبرار في اجتناب ما توعد عليه بالنار. والكتاب يتناول موضوعات كثيرة من حيث التعريف وبيان الخطر والتربية الوقائية. العبيكان، الرياض [١٤٤٠هـ]، الموافق [٢٠١٩م]، دار اللؤلؤة، المنصورة [١٤٤١هـ]، الموافق [٢٠٢٠م]م.

٩ – سبيل الوصول إلى عنوان الأصول (في الأصول)، وهو شرح وتحقيق ودراسة لعنوان الأصول في أصول الفقه، لأبي حامد المطرزي. مطبوع في دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى [١٤٣٦هـ].

١٠ – الإرشاد إلى أسباب النجاة، لم يطبع.

١١ – آيات النداء في القرآن الكريم، دراسة تحليلية لآيات النداء تتناول (الأداة، والمنادَى، والمنادِي، وما ولي الأداة والمنادَى)، العبيكان، الرياض [١٤٤٠هـ]، الموافق [٢٠١٩م]، دار اللؤلؤة، المنصورة [١٤٤١هـ]، الموافق [٢٠٢٠م]م.

١٢ – تنوير المستبصر الفائز ببيان أحكام الجنائز، شرح وتحقيق كتاب الجنائز للفقير إلى رحمة ربِّه العلي إبراهيم بن يوسف البولوي، توفي سنه [١٠٤١هـ]. مطبوع في دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى [١٤٣٥هـ].

١٣ – مذكرة في علوم القرآن. مقرر الفصل الثاني للعام الجامعي [٢٠١٧ – ٢٠١٦م] في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية الأساسية، (الكويت – العارضية).

١٤ – آفات اللسان وسبل الوقاية والعلاج منها، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت [١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م]، العبيكان، الرياض [١٤٤٠هـ]، الموافق [٢٠١٩م].

١٥ – كتب عليكم الصيام، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت [١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م].

١٦ – ثلاث رسائل في الفقه، للعلامة حسن الشرنبلالي المتوفى سنة [١٠٦٩هـ]، وهي على النحو التالي:

أ. دُرُّ الكُنوز فمن عمل بها بالسعادة يفوز. وهي منظومة في أحكام الصلاة.

ب. سعادة الماجد بعمارة المساجد.

ج. إتحاف ذوي الإتقان بحكم الرهان. مطبوع في دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى [١٤٣٦هـ].

١٧ – عنوان الأصول، لأبي حامد المطرزي. مع شرحنا له، مطبوع في دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى [١٤٣٦هـ].

١٨ – أحكام الجنائز، لإبراهيم بن يوسف البولوي، توفي سنه [١٠٤١هـ]. مطبوع في دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى [١٤٣٥هـ].

١٩ – إتحاف المهتدين بمناقب أئمَّة الدِّين مختصر (تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمَّة المجتهدين) للعلاَّمة الشيخ مرعي الحنبلي، للعلامة الشيخ أحمد الدمنهوري المتوفى سنة [١١٠١هـ]، الطبعة الأولى، دار الضياء، الكويت [١٤٣٥هـ].

٢٠ – تحقيق ودراسة وشرح منظومتي الشهداء (أ. داعي الهدى بشرح منظومة الشهدا، للإمام أحمد بن عبد الرَّزاق المغربي الرَّشيدي. وشرح منظومة الشهداء، للإمام علي بن محمَّد الأجهوري)، الطبعة الأولى، دار الضياء، الكويت [١٤٣٤هـ].

٢١ - تحقيق ودراسة رسالتان في الأصول، لإسماعيل بن غنيم الجوهري المتوفى سنة [١١٦٥ هـ]. (أ. رسالة في جواز النسخ. ب. الكلم الجوامع في مسألة الأصولي لجمع الجوامع)، الطبعة الأولى، دار الضياء، الكويت [١٤٣٤هـ].

٢٢ – دراسة وتحقيق (سورة الفاتحة) من التيسير في التفسير المسمى ببحر علوم التفسير، لنجم الدين عمر بن محمد النسفي [٥٣٧هـ]، لم يطبع.

٢٣ – تحقيق ودراسة وشرح لكتاب: (إتمام الدراية شرح نقاية العلوم)، وهي خلاصة مختارة من أربعة عشر علمًا، للإمام جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة [٩١١هـ]، دار الضياء، الكويت، طبع في مجلدين، وقد شارك في تحقيق (إتمام الدراية) الدكتور عبد الرقيب صالح الشامي، وفضيلة الشيخ مصطفى محمود سليخ.

٢٤ - الإفساد في الأرض صوره وأسبابه وسبل الوقاية منه في ضوء الكتاب والسنة، العبيكان، الرياض [١٤٤٠هـ]، الموافق [٢٠١٩م]، دار اللؤلؤة، المنصورة [١٤٤١هـ]، الموافق [٢٠٢٠م]م.

٢٥ - الخيانة صورها وأحكامها وآثارها في ضوء الكتاب والسنة.

٢٦ – تذكرة وبيان من علوم القرآن، لم يطبع.

الأبحاث:

١ - مبادئ التفسير العلمي لنصوص القرآن الكريم وضوابط التعريف، (محكم)، جامعة النيلين، السودان.

٢ - ضوابط التفسير العلمي فيما يخصُّ الظَّاهِرَةَ العلميَّةَ الكونيَّة والمفسِّرَ والنَّص.

٣ - الحوار والمناظرة والجدل من خلال نصوص القرآن الكريم.

٤ - فقه التمثيل بين الإقناع والإمتاع.

٥ - الأقْسَام بين تحقيق الخبر وتوجيه النظر.

٦ – التربية الوقائية من آفات التفكك الأسري.

الدكتور عبد القادر محمد المعتصم دهمان

Abdkader199@yahoo.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر
بالعلم تبنى الأمم

@DarElollaa @DarElollaa
Dar_Elollaa@hotmail.com
الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .
01050144505 - 0225117747
المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .
01007868983 - 0502357979

Elollaa-Designs